



اصبحان

الحاكم



www.

www.

www.

www.

.com

.org

.net

.ir

Ghaemiyeh

الحمد لله

عن أبي عبد الله عليه السلام

٢٣

الحمد لله

عن أبي عبد الله عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه و آله وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
14	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 23
14	هوية الكتاب
14	اشارة
18	تتمة القسم التاسع: فتح مكة
18	الباب الثالث: نهايات فتح مكة
18	اشارة
20	الفصل الأول: الذين أهدر النبي صَلَّى الله عليه وآله دمهم
20	اشارة
22	كذلك نجزي المجرمين:
24	اقتلوهم و لو تعلقوا بأستار الكعبة:
24	اشارة
25	1-عكرمة بن أبي جهل:
25	اشارة
31	لم يقم النبي صَلَّى الله عليه وآله إلا لعكرمة:
34	هل هذا اتهام لخالد؟!
34	غصة عكرمة وأسه:
35	عكرمة مهاجر و مؤمن:
36	لا تسبوا أبا جهل:
38	تناقضات و تشابه بين قصتي صفوان وعكرمة:
38	سر تعظيم عكرمة:
43	2-صفوان بن أمية:
43	اشارة

46	يحسون كل صيحة عليهم:
47	إنقلاب الصورة:
47	ما أسرع ما أحباب!! :
48	هذه هي معاييرهم:
50	صفوان بن أمية في ميزان الإعتبار:
56	3-عبد العزى بن خطل:
56	اشارة
61	تغيير الاسم إحسان و تفصل:
62	الهروب إلى الأمام:
63	الكعبة لا تعيد عاصيا و لا تمنع من إقامة الحد:
64	4-عبد الله بن سعد بن أبي سرح:
64	اشارة
71	ابن أبي سرح أعظم إجراما:
73	بين الحياء، وظن السوء:
74	تبارك الله أحسن الخالقين:
76	عثمان و أخوه، و علي عليه السلام و أخته:
77	كله صواب:
78	استأمن له، ثم أتى به:
79	أين كان علي عليه السلام؟! :
80	الوسطاء لابن أبي سرح:
81	مات و هو ساجد:
83	5-عبد الله بن الزبير:
88	6-الحويث بن نقيدر:
88	اشارة
90	أسلوب استدراجي:

- 7- هبار بن الأسود: 92
- اشارة 92
- ذنب هبار: 95
- جراتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله: 96
- زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله: 99
- موقف الرسول صلى الله عليه وآله من هبار: 100
- و بعد ما تقدم نقول: 102
- سب من سبك: 103
- تقوى هبار؟! : 104
- سب المسلمين لهبار موضع ريب: 105
- 8- الحارث بن هشام: 105
- 9- زهير بن أمية: 105
- 10- عبد الله بن ربيعة: 106
- 11- زهير بن أبي سلمى (3): 106
- 12- مقيس بن صبابه (4): 106
- 13- الحويرث بن الطلائع الخزاعي: 108
- 14- كعب بن زهير: 108
- 15- وحشي بن حرب: 108
- 16- هبيرة بن أبي وهب: 109
- 17- سارة: 109
- 18- أرنب مولاة ابن خطل: 111
- 19- فرتنى: 111
- 20- قرية: 111
- 21- أم سعد: 111
- 22- هند بنت عتبة: 112

112	 اشارة
116	 تعقيب غير ضروري:
116	 هند. . و أموال زوجها البخيل:
121	 الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة
121	 اشارة
123	 لا تحدوا النظر إلى سهيل:
123	 اشارة
124	 1-سبب تعظيم سهيل بن عمرو!!:
125	 2-ليس هذا مدحا لسهيل بن عمرو:
127	 إسلام ابني أبي لهب:
132	 السائب شريك الرسول صلى الله عليه وآله في التجارة:
135	 الخطبة الثانية للنبي صلى الله عليه وآله في مكة:
139	 أحلت لي ساعة من نهار:
140	 دية القتل المشرك:
148	 لما ذا تزوير؟!
149	 أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وآله:
149	 لعلها خطبة أخرى في مكة:
153	 تجديد أنصاب الحرم:
154	 النبي صلى الله عليه وآله يقترض أموالا ويقسمها:
157	 ضفائر أربع!! أم وفرة؟!:
159	 رفع شعر النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء:
160	 شعرات النبي صلى الله عليه وآله لا تحترق:
162	 جبر: الغلام المعذب:
163	 مظاهر تقوى ابن عبادة:
165	 لعل ثمة تزويرا:

167	الفصل الثالث: تشريعات وأحكام
167	إشارة
169	الولد للفراش:
171	الصلاة في مكة، والصلاة في بيت المقدس:
175	ضرب شارب خمر:
176	لا شفاعاة في حد:
178	لو سرقت فاطمة لقطعت يدها:
180	أسامة حب الرسول صلى الله عليه وآله أم زيد؟ !:
182	أشياء يحرم بيعها:
184	كسر الدف والمزمار:
189	روايات مكذوبة:
195	متعة النساء عام الفتح:
198	روايات النسخ يوم الفتح:
200	مناقشة روايات النسخ:
206	تعدد نسخ تشريع المتعة:
209	مدة الإقامة التي يجب فيها القصر:
215	الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتاب . و معاذ
215	إشارة
217	عتاب بن أسيد على مكة:
219	كتاب النبي صلى الله عليه وآله للمكيين مع عتاب:
222	الكتاب مصنوع:
222	عتاب قاض، أم أمير؟ !:
222	تولية عتاب على مكة وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله:
224	فإن الجواب عن ذلك هو:
224	خلاصة وتوضيح:

226	لا حاجة إلى المبالغة في أمر عتاب:
228	تهديد المتخلفين عن الجماعة:
228	إستدلالات واهية أخرى:
229	النبي صَلَّى الله عليه وآله لا يعرف الأب من الابن:
230	أهل مكة أهل الله!!:
230	الشك في كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله لأهل مكة:
231	معاذ يعلم أهل مكة:
232	من هو معاذ بن جبل؟!:
235	القسم العاشر: من الفتح . إلى الشهادة
235	اشارة
237	الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين . . تسع بعوث وسرايا .
237	اشارة
239	الفصل الأول: بعوث وسرايا قبل بني جذيمة
239	اشارة
241	بداية:
241	اشارة
243	1-سرية خالد لهدم العزى:
243	اشارة
246	الحدث في قفص الإتهام:
248	السادن . . بين الذكاء والغباء:
248	هل هذه سرية؟!:
249	قبل قصة بني جذيمة أو بعدها:
251	2-هدم سواع:
253	3-هدم مناة وقتلها:
253	اشارة

- 254 ونحن نسجل هنا الأمور التالية:
- 255 4-سرية خالد بن سعيد إلى عنة:
- 255 5-سرية هشام بن العاص إلى يلملم:
- 256 6-سرية الطفيل الدوسي إلى ذي الكفنين:
- 256 7-سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج:
- 258 8-سرية عمر بن أمية إلى بني الديل:
- 259 9-سرية ابن سهيل بن عمرو إلى بني محارب:
- 261 الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة.
- 261 اشارة .
- 263 قتل بني جذيمة في النصوص والآثار:
- 271 ما بهذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله:
- 272 الغدر . ثم القتل:
- 272 اشارة .
- 275 1-شجاعة . و نبيل:
- 275 2-غدر . و لؤم:
- 275 أما كان فيكم رجل رحيم:
- 276 المعترضون على الجريمة:
- 280 أهمية اعتراض ابن عوف:
- 282 النبي صلى الله عليه وآله نصير المظلومين:
- 282 توضيحات:
- 283 لما ذا هذا العدد؟ !:
- 284 لما ذا خالد دون سواه؟ !:
- 284 خالد معروف بالغدر:
- 285 أسلمنا . أم صباناً؟ !:
- 286 خالد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله:

288	 حقيقة دوافع خالد:
290	 دعوا لي أصحابي:
295	 هل هذا الخلط متعمد:
296	 الإقواء في الشعر المنقول:
296	 اجتهد خالد:
300	 اجتهد خالد عند الخطابي:
301	 اعتراض ابن عوف و سالم و ابن عمر:
302	 التناقض و الاختلاف:
303	 أدفنوا أسراكم:
304	 النداء عند السحر! لما ذا؟! :
305	 فعل خالد من أمر الجاهلية:
305	 لما ذا لم يعاقب النبي صلى الله عليه وآله خالد؟! :
307	 غضب النبي صلى الله عليه وآله عن خالد:
310	 الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح وأصح:
310	 اشارة:
312	 أربع مائة قتيل من بني جذيمة:
314	 القسوة و الغلظة:
314	 ابن واضح يروي ما جرى:
316	 الأموال من اليمن! :
319	 تقديع النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأبويه:
322	 لما ذا ينكسر عمر؟! :
324	 الريب في موقف المهاجرين:
325	 خالد يغضب على الأنصار فقط:
326	 أحقاد بني سليم:
327	 لما ذا يكتف بعضهم بعضا؟! :

327	 النبي صَلَّى الله عليه وآله ينتصر لعمار حين يقع في خالد:
329	 دفاع الأتباع! تزوير واختراع!:
334	 الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق ..
334	 اشارة
336	 نصوص هامة لا بد من التوقف عندها:
336	 اشارة
336	 1-ما جرى لأبي زاهر مثل ما جرى لبني جذيمة:
337	 2-رواية صحيحة عن الإمام الباقر عليه السلام:
339	 3-حديثان آخران:
341	 ذنب بني جذيمة:
342	 كتابة الخسائر:
345	 شكوك لا ميرر لها:
346	 دلالات باهرة في فعل علي عليه السلام:
351	 حكم علي عليه السلام حكم الله تعالى:
352	 فو الله لو لا دين آل محمد:
354	 أنت مني بمنزلة هارون من موسى:
369	 أنت هادي أمتي:
369	 اشارة
369	 1-علي عليه السلام هادي أمة محمد صَلَّى الله عليه وآله:
370	 2-السعيد من أحب عليا عليه السلام:
372	 الفهارس
372	 اشارة
374	 1-الفهرس الإجمالي
376	 2-الفهرس التفصيلي
388	 تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) / جعفر مرتضى العاملى

مشخصات نشر : سحرگاهان ، 1419 ق . = 1377.

مشخصات ظاهرى : ج 35

شابک : 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛
130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسى : فیا

یادداشت : عربى .

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است .

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت : دار السیره

یادداشت : جلد دهم : الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11 ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41 ق.

رده بندى کنگره : BP22/9 /ع 2 ص 3 1377

رده بندى دیویى : 297/93

شماره کتابشناسى ملی : م 77-15929

محرر الرقمى : میثم حیدرى

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامري

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط _ جديد)

تأليف: جعفر مرتضى عامري

الناشر: مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث، سازمان چاپ و نشر

سال انتشار: 1426 ق/1385 ه.ش

ص: 4

تتمة القسم التاسع: فتح مكة

الباب الثالث: نهايات فتح مكة

إشارة

الفصل الأول: الذين أهدر النبي صَلَّى الله عليه وآله دمهم

الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة

الفصل الثالث: تشريعات وأحكام

الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتّاب. . و معاذ

ص: 5

قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهدر دم عدد من الأشخاص لأمر صدرت منهم، قد يصل عددهم إلى عشرين، بين رجل و امرأة. وقد أمر «صلى الله عليه وآله» بقتلهم، ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة (1)، وهم:

1- عبد العزى بن خطل (عبد الله بن خطل).

2- عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

3- عكرمة بن أبي جهل.

4- الحويرث بن ثقيدر.

5- مقيس بن صبابه.

6- هبار بن الأسود.

7- الحويرث بن الطلائع الخزاعي.

8- كعب بن زهير.

9- وحشي بن حرب.

10- سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، بن عبد مناف.

ص: 9

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و مجمع البيان ج 10 ص 557 و البحار ج 21 ص 105 و 131 و تاريخ الخميس ج 2 ص 83 و 90.

11- هند بنت عتبة.

12- أرنب، مولاة ابن خطل.

13- فرتنا. قينة لابن خطل.

14- قريبة. قينة أخرى لابن خطل.

15- أم سعد (1).

16- صفوان بن أمية.

17- الحارث بن هشام.

18- زهير بن أمية، أخو أم سلمة زوج الرسول «صلى الله عليه وآله» (2).

19- عبد الله بن ربيعة.

20- زهير بن أبي سلمى.

و ذكر أيضا إسماء الرباب و خولة، و يحتمل أن تكون بعض هذه المذكورات أسماء و بعضها ألقاب، و التحقيق في ذلك ليس بالأمر المهم (3).

و هناك أشخاص آخرون أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم، ك :

1- أسيد بن إلياس (أناس) .

2- عبد الله ابن الزبعرى.

3- هبيرة بن أبي وهب.

ص: 10

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 223-226 و عن فتح الباري ج 8 ص 10.

2- تاريخ مدينة دمشق ج 59 ص 68.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 82.

وأسباب ذلك لا-تبتعد عن الأسباب التي دعت إلى إهدار دم من ذكرنا أسماءهم آنفا، ولذلك فنحن نحيل القارئ على الكتب التي تعرضت لترجمة هؤلاء أو لقضايا تاريخية تتصل بهم.

فظهر أن ما يذكرونه من عددهم، مثل قول بعضهم: أن عددهم أحد عشر رجلا.

وفي الإمتاع: ستة نفر، وأربع نسوة (1).

وعند الديار بكري: أحد عشر رجلا، وستة نسوة (2).

إن ذلك كله يبقى غير دقيق.

اقتلوهم و لو تعلقوا بأستار الكعبة:

إشارة

وقد يتساءل البعض: عن كيفية التوفيق بين احترام الكعبة وتعظيمها، واعتبار مكة بلدا آمنا. . وبين أمره «صلى الله عليه وآله» بقتل أفراد هذه الجماعة، حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة. فإن تناقض هذين الأمرين يكاد يكون ظاهرا.

والجواب: أن هذين الأمرين في غاية التوافق والإنسجام، بل إن الأمر بقتل هؤلاء الناس هو من مفردات تعظيم الكعبة، وحفظ حرمة الحرم.

لأنهم يشركهم، وبصدهم عن سبيل الله، وسعيهم في الأرض فسادا، وجدهم واجتهادهم لإبطال دين الله، وقتل الأنبياء والمؤمنين من أجل

ص: 11

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و المغازي للواقدي ج 2 ص 825 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 عنه، و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 33.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 90.

نصرة الباطل، وتقويض صرح الحق، و محاربتهم لله تعالى-إنهم بذلك كله- يمثلون الرجس والإثم والقاذورات التي لا بد من تطهير بيت الله و حرمة منها، فقتلهم حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة تكريم للكعبة، و تكريس لمعنى الطهر و القداسة فيها.

و يتأكد هذا المعنى: إذا كان هؤلاء يتخذون من الكعبة وسيلة لمواصلة إجرامهم في حق أنفسهم، و في حق الإنسانية، و سبيلا للإمعان في تمردهم على الله تعالى، و قهر عباده المؤمنين، و إطفاء نور الهداية الإلهية، عن طريق محاربة أنبياء الله، و السعي في قتلهم، أو محاصرتهم بالهموم و المتاعب، و البلايا و المصائب.

إن دخول هؤلاء إلى المسجد الحرام لا- يرضاه الله تعالى، و هو محظور كحظر دخول أي حيوان نجس العين إلى مساجد الله سبحانه، فكيف إذا كان ذلك الحيوان يحمل القاذورات في كل جوارحه، و أجزاء جسده.

فإذا كان ذلك الحيوان عقورا، شرسا، ضاريا، و لا يمكن دفع شره عن عباد الله إلا بقتله، فلا بد من المبادرة إلى ذلك.

هذا. . و لا بأس بأن نشير هنا إلى بعض ما يرتبط بإهدار دم هؤلاء الناس بصورة تفصيلية، فنقول:

1-عكرمة بن أبي جهل:

إشارة

أما عكرمة (1)بن أبي جهل، فإنه إنما أمر بقتله، لأنه كان هو و أبوه أشد

ص: 12

1- العكرمة: هي الأنثى من الحمير.

الناس أذية للنبي «صلى الله عليه وآله»، وكان أشد الناس على المسلمين.

ولما بلغه أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه فرّ إلى اليمن، فاتبعته امرأته وهي بنت عمه، أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد أن أسلمت، فوجدته في ساحل البحر يريد أن يركب السفينة.

وقيل: وجدته في السفينة فردته (1).

وروي: أن عكرمة قال: بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نذر دمي يوم الفتح، وكنت في جمع من قريش بأسفل مكة-وقد ضوى إلي من ضوى-فلقينا هناك خالد بن الوليد، فأوقع بنا، فهربت منه أريد-والله-أن ألقى نفسي في البحر، وأموت تائها في البلاد قبل أن أدخل في الإسلام، فخرجت حتى انتهيت إلى الشعيبة.

وكانت زوجتي أم حكيم بنت الحارث امرأة لها عقل، وكانت قد اتبعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، إن ابن عمي قد هرب يلقي نفسه في البحر، فأمنه (2).

وعن سعد بن أبي وقاص، عن عروة: أن عكرمة ركب البحر، فأصابتهم

ص: 13

-
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و كتاب التوابين ص 123 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 9 و كنز العمال ج 13 ص 542 و تاريخ مدينة دمشق ج 41 ص 63.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 252 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و راجع البحار ج 21 ص 144 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 225 و المنتخب من ذيل المذيل ص 9.

ريح عاصف، فنادى عكرمة اللات والعزى، فقال أهل السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا (1).

فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم لك عهدا، إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده، فلأجده عفو غفورا كريما، فجاء وأسلم (2).

ص: 14

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 252 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91، والبحار ج 9 ص 137 و ج 22 ص 49 و سنن النسائي ج 7 ص 106 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 و مجمع الزوائد ج 6 ص 169 و عون المعبود ج 7 ص 248 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 536 و السنن الكبرى للنسائي ج 2 ص 302 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 101 و شح معاني الآثار ج 3 ص 330 و كنز العمال ج 10 ص 517 و تفسير مجمع البيان ج 8 ص 95 و زاد المسير ج 6 ص 167 و الدر المنثور ج 3 ص 303 و فتح القدير ج 2 ص 436 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 33 و ج 41 ص 59 و أسد الغابة ج 4 ص 5 و الإصابة ج 4 ص 444 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 565 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 111.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 252 عن ابن أبي شيبة، وأبي داود، و النسائي، و البيهقي، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 261 و مجمع البيان ج 8 ص 323 و سنن النسائي ج 7 ص 106 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 و عون المعبود ج 7 ص 248 و السنن الكبرى للنسائي ج 2 ص 303 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 101 و شح معاني الآثار ج 3 ص 330 و كنز العمال ج 10 ص 518 و الدر المنثور ج 3 و فتح القدير ج 2 ص 436 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 33 و أسد الغابة ج 4 ص 5 و الإصابة ج 4 ص 444 و البداية و النهاية ج 4 ص 341 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 565.

وقيل: وقع بصره على دفة السفينة، فرأى عليها مكتوبا: وَ كَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ (1) وكان معه محك، فأراد أن يمحو به تلك الكتابة فلم يستطع، فعلم أنه كلام الحق جل و علا، فوقع في باطنه تغير (2).

وفي المشكاة: أن عكرمة هرب حتى قدم اليمن، فسافرت أم حكيم حتى قدمت عليه اليمن، فدعته إلى الإسلام فأسلم، وثبتا على نكاحهما (3).

وقالوا: إن أم حكيم قالت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، قد ذهب عكرمة عنك (أو هرب عكرمة منك) إلى اليمن، و خاف أن تقتله، فأمنه يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هو آمن» .

فخرجت أم حكيم في طلبه، و معها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنّيه حتى قدمت به على حي من عك، فاستعانتهم عليه، فأوثقوه رباطا، و أدركت عكرمة و قد انتهى إلى البحر، فركب سفينة، فجعل نوتي يقول له: أخلص أخلص.

قال: أي شيء أقول؟

قال: قل: لا إله إلا الله.

قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، و إن هذا أمر تعرفه العرب و العجم حتى النواتي!! ما الدين إلا ما جاء به محمد، و غيّر الله قلبي.

ص: 15

1- الآية 66 من سورة الأنعام.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 91.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 91 عن المشكاة عن مالك، و السيرة الحلبية ج 3 ص 92.

و جاءتني أم حكيم على هذا الأمر، فجعلت تليح إلي و تقول: يا ابن عم، جئتك من عند أبر الناس، وأوصل الناس، و خير الناس، لا تهلك نفسك.

فوقف لها حتى أدركته، فقالت له: إني قد استأمنت لك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمنك.

فرجع معها، وقالت: ما لقيته من غلامك الرومي، وأخبرته خبره، فقتله، و هو يومئذ لم يسلم.

فلما وافى مكة قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا، مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت» (1).

فجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه، و تقول: أنت كافر و أنا مسلمة.

فقال: إن أمرا منعك مني لأمر كبير.

وقالوا: فلما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عكرمة و ثب إليه -و ما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رداء- فرحا بعكرمة، (زاد في بعض المصادر قوله: مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا) (2)، ثم جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوقف عكرمة بين يديه، و معه زوجته متتعبة، فقال:

ص: 16

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 252 و تاريخ الخميس ج 2 ص 92 و السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و كتاب التوايين ص 123 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 9 و كنز العمال ج 13 ص 542 و تاريخ مدينة دمشق ج 41 ص 63.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و (ط دار المعرفة) ص 40 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و 92 و راجع: تحفة الأحمدي ج 8 ص 4.

يا محمد!! إن هذه أخبرتني أنك أمنتني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «صدقت فأنت آمن» .

قال عكرمة: فالأمر تدعو يا محمد؟

قال: «أدعو إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، و تقيم الصلاة، و تؤتي الزكاة، و تفعل و تفعل» حتى عد خصال الإسلام.

فقال عكرمة: والله، ما دعوت إلا إلى خير وأمر حسن جميل، قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا-إلى ما دعوتنا إليه-وأنت أصدقنا حديثا، وأبرنا برا، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ثم قال: يا رسول الله، علمني خير شيء أقوله.

قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله» .

قال عكرمة: ثم ما ذا؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تقول: أشهد الله، وأشهد من حضر أي مسلم، مجاهد، مهاجر» . فقال عكرمة ذلك (1).

ص: 17

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 252 و 253 عن الواقدي، و البيهقي، و المغازي للواقدي ج 2 ص 851 و 852 و دلائل النبوة للبيهقي ج 5 ص 98 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 92 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 9 و 10 و السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و (ط دار المعرفة) ص 40 و راجع: كتاب التوايين ص 124 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 242 و كنز العمال ج 13 ص 543 و تاريخ مدينة دمشق ج 41 ص 64 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 5 و راجع: البحار ج 21 ص 144 و المنتخب من ذيل المذيل ص 9 و كتاب الأم ج 7 ص 230.

قالوا: فرد رسول الله «صلى الله عليه وآله» امرأته بذلك النكاح الأول (1) وقد أسلمت امرأته قبله.

وعن عطاء قال: أسلم أبو سفيان، و حكيم بن حزام، و مخرمة بن نوفل قبل نسائهم، ثم قدموا على نسائهم في العدة، فردهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك النكاح.

مع أنه قد تقدم: أن رد هند على أبي سفيان بالنكاح الأول كان هو الأول بالنسبة إلى من أسلم، مع أنهم يذكرون: أن حكيم بن حزام قد أسلم هو و أبو سفيان معا في مر الظهران.

وفي بعض النصوص: أنه و بديل بن ورقاء قد أسلما قبل أبي سفيان (2).

و أسلمت امرأة صفوان، و امرأة عكرمة قبل أزواجهما، ثم أسلما، فرد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نساءهم عليهم، و ذلك أن إسلامهم كان في عدتهن (3).

لم يقر النبي صلى الله عليه وآله إلا لعكرمة:

قالوا: قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعكرمة قائما، و هو بعد

ص: 18

-
- 1- المغازي للواقدي ج 2 ص 853 و تاريخ الخميس ج 2 ص 92 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 10 و كنز العمال ج 13 ص 544 و تاريخ مدينة دمشق ج 41 ص 64 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 6.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 216 عن الواقدي، و ابن عقبة، و مصادر أخرى تقدمت.
 - 3- راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 855.

مشرك لم يسلم، و لم يقيم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجل داخل عليه من الناس، شريف ولا مشرف إلا عكرمة (1).

ونقول:

أولاً: إن قيام النبي «صلى الله عليه وآله» لرجل مشرك، ليس له في الدين أثر ولا مقام، مما لا يمكن قبوله.

فعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام» من قام من مجلسه تعظيماً لرجل؟

قال: مكروه إلا لرجل في الدين (2).

و النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليقدّم على عمل المكروه.

ثانياً: ما زعمته الرواية: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقيم لأحد دخل عليه إلا لعكرمة، غير صحيح، فلاحظ:

1- ما روي من قيامه «صلى الله عليه وآله» عند إقبال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين «عليهم السلام» عليه، وتقبيله إياهم (3).

2- كان «صلى الله عليه وآله» يقوم لابنته فاطمة إذا دخلت إليه،

ص: 19

1- شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 304.

2- البحار ج 2 ص 43 و ج 72 ص 466 و المحاسن ج 1 ص 233 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 8 ص 56 و مشكاة الأنوار ص 237 و منية المرید للشهيد الثاني ص 209 و درر الأخبار ص 38 و ميزان الحكمة ج 3 ص 2003.

3- البحار ج 27 ص 104 و راجع ج 7 ص 333 و ج 26 ص 238 و ج 38 ص 313 و ج 41 ص 181، و الروضة في المعجزات و الفضائل ص 144 و مدينة المعاجز ج 1 ص 468 و مشارق أنوار اليقين ص 197.

3-قام «صلى الله عليه وآله» لجعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة، فرحا بقدمه (2).

4-قام «صلى الله عليه وآله» للأنصار لما وفدوا عليه (3).

ثالثا: لا ندري ما هو الشيء الذي ميّز عكرمة عن غيره، حتى استحق

ص: 20

1- مستدرك الوسائل ج 9 ص 159 و غوالي اللآلي ج 1 ص 434 و البحار ج 43 ص 40 عن مناقب آل أبي طالب، و سنن أبي داود ج 4 كتاب الأدب حديث 5217 و مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج 2 ص 186، و مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 113 و مناقب أهل البيت ص 233 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 672 و فضائل الصحابة ص 77 و سنن الترمذي ج 5 ص 361 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 160 و فتح الباري ج 8 ص 103 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 26 و الأدب المفرد ص 209 و الآحاد و المثنى ج 5 ص 368 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 96 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 403 و نصب الراية ج 6 ص 156 و موارد الظمآن ص 549 و نور العين في مشهد الحسين «عليه السلام» ص 83 و الجوهرة في نسب الإمام علي و آلّه ص 16 و إعلام الوري ج 1 ص 296 و سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص 151 و ج 11 ص 44 و ينابيع المودة ج 2 ص 55 و اللمعة البيضاء ص 45.

2- مستدرك الوسائل ج 9 ص 159 و جامع أحاديث الشيعة ج 16 ص 23 و مستدرك سفينة البحار ج 8 ص 632 و غوالي اللآلي ج 1 ص 434 و الوسائل كتاب الحج باب 128 حديث 1.

3- غوالي اللآلي ج 1 ص 434 و مستدرك سفينة البحار ج 8 ص 632 و مستدرك الوسائل ج 9 ص 159 و جامع أحاديث الشيعة ج 16 ص 23.

هذا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

هل هذا اتهام لخالد؟ ! :

وقد ذكر عكرمة: أنه كان بأسفل مكة مع بعض الأشخاص، فلقىهم خالد بن الوليد، فأوقع بهم.

وهو تعبير يشير إلى: أن خالدا هو المتعمد للإيقاع بهم، والبادئ بذلك، دون أن يكون لدى الطرف الآخر خطة أو نشاط في هذا الاتجاه. .

وسواء أكان هذا الإستنتاج دقيقا أو غير دقيق. على اعتبار أن من الجائز أن يكونوا هم المعتدين، ثم يوقع بهم المعتدى عليهم. . غير أن الحقيقة هي: أن خالدا كان هو المبادر للقتال، مخالفا بذلك أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله». . ولا يصح ما ادّعوه لتبرير هذه الفعلة من خالد: بأنهم اجتمعوا بالخدمة لحربه، فقاتلهم وقتلهم.

كما لا يصح قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بذلك. .

بل الصحيح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى خالدا عن القتال، فعصى خالد أمره.

غصة عكرمة و يأسه:

ونرى في الحديث المتقدم عن عكرمة كيف أن عكرمة يعيش الغصة، ويهيمن عليه اليأس، ويصدده عمله السيء عن الإيمان بالله، ويفكر بالانتحار غرقا، أو بأن يهيم على وجهه، على أن لا يدخل في دين الله تعالى. .

ولكن هذا الإستكبار والعناد سرعان ما تحول -حسب زعمهم، ونصوصهم المزعومة- إلى إيمان وهجرة، وفضائل وكرامات، وجهاد

ونفقات، و ما إلى ذلك!!

فهل ترى الأمر بهذه السهولة حقاً؟ !

و هل ما رآه من آيات ودلالات كان أعظم وأهم مما كان قد رآه طيلة عشرين سنة سبقت؟ !

إن ذلك يبقى مثارا للريبة بالدوافع التي تدعو لنسج هذه الكرامات و الفضائل لمن لا تدل على حياته قبل إسلامه و بعده على أي تبدل جوهري، في حياته و في ممارساته.

عكرمة مهاجر و مؤمن:

1-و زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا.

مع أنهم قد رووا: أنه لا هجرة بعد الفتح، و عكرمة إنما أسلم بعد الفتح، و بعد ما هرب من مكة إلى اليمن. . أو غيرها.

2-و عن إيمان عكرمة نقول:

كيف يصف النبي «صلى الله عليه وآله» عكرمة: بأنه مؤمن و هم قد صرحوا في روايات إسلامه: بأنه حين جاء إلى النبي لم يكن قد أسلم، فضلا عن أن يكون قد آمن. و إنما أسلم بعد مجيئه. .

غاية الأمر: أنهم يدعون: أنه قد وقع في باطنه تغير، و لكنهم اختلفوا في سببه.

فتارة يقولون: إن السبب هو: أن عاصفة ضربتهم في البحر، فطلب منهم النوتي أن يخلصوا (أي أن يقولوا كلمة الإخلاص) .

ص: 22

و تارة يقولون: إنه رأى آية مكتوبة على دفة السفينة، فأراد أن يمحوها، فلم يستطع، فعلم أنه كلام الحق جل وعلا.

3-سيأتي قصة منام النبي «صلى الله عليه وآله» عن عذق أبي جهل في الجنة، وأنه لما جاءه عكرمة مسلما فرح، وأول ذلك العذق به.

فهذه الرواية تفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما عرف بإسلامه بعد أن جاءه. ولو لم يأت مسلم لم يؤول ذلك العذق به.

ولكنهم يناقضون قولهم هذا، فيقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يدع على أبي جهل في أول بعثته لأن عكرمة كان في صلبه كما سيأتي. وأنه أخبر عن إسلام عكرمة قبل الفتح حين طعن مسلما فقتله في بعض الحروب.

لا تسبوا أبا جهل:

وأما نهى النبي «صلى الله عليه وآله» عن سب أبي جهل، فإن سب الميت يؤذي الحي (1).

فأولاً: إننا لا نعرف السبب في تخصيص أبي جهل بهذا النص الناهي عن التعرض له بالسب، رغم أن العشرات، والمئات، وربما الألوف من الصحابة كان آباؤهم يحاربون الإسلام، وقد قتلوا، وبقي أبنائهم يعيشون بين المسلمين. إلا إن كان سب أبي جهل دون سواه هو المرسوم والشائع والمتداول بين المسلمين!!

ص: 23

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 254 و تاريخ مدينة دمشق ج 41 ص 56 و 67 و كنز العمال ج 13 ص 541 و ذخائر العقبى ص 194 و الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 1082 و شرح النهج للمعتزلي ج 11 ص 68.

ثانيا: إن هذا التعليل الذي ذكره، وهو: أن سب الميت يؤذي الحي لا يختص بأبي جهل، وابنه عكرمة، فلما ذا تأخر إصدار الأمر للمسلمين كل تلك السنين؟! ولما ذا سكت النبي «صلى الله عليه وآله» كل هذه المدة وهو يرى المسلمين واقعين بهذا الخطأ، ولا يحذره منهم؟!!

ثالثا: إنه «صلى الله عليه وآله» قد ذم أبا جهل بما لا مزيد عليه، فهل يجيز للناس أن ينقلوا أقواله فيه؟! أم لا يجيز لهم ذلك؟!!

وإذا نقلوها، فهل يؤذي ذلك أولاده الأحياء أم لا يؤذيهم؟!!

ألا يتوقع أن يكون تأذيتهم به أكبر بكثير مما قد يسمعون من الناس العاديين الذين قد يوصفون بالجهل وسوء الأدب. .

ولكن كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبقى خالدا عبر العصور والدهور. . وإلى يوم القيامة.

و يكفي أن يقول الناس: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي سماه بأبي جهل، مع أن كنيته هي: أبو الحكم (1).

وروا: أن عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عدّه من الفراعنة (2)، ولم يكن «عليه السلام» ليخالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، ولا في غيره. .

ص: 24

-
- 1- البحار ج 10 ص 37 و ج 17 ص 284 و ج 18 ص 237 عن الإحتجاج ج 1 ص 323 و الثاقب في المناقب ص 110 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 292 و 300 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 50 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 113.
 - 2- البحار ج 10 ص 35 و ج 17 ص 282 عن الإحتجاج ج 1 ص 321 و حلية الأبرار ص 125 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 35 و ج 4 ص 555.

تناقضات و تشابه بين قصتي صفوان و عكرمة:

1-إن ملاحظة ما جرى لصفوان، و ما جرى لعكرمة تعطي: أن ثمة تشابها بينهما، فكلاهما قصد اليمن.

و كلاهما يريد أن يلقي بنفسه في البحر.

و كلاهما يأتيه قريب له بالأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

و كلاهما يدركه و سيطه عند البحر.

و كلاهما يقول له و سيطه: جئتك من عند أبر الناس، و أوصل الناس، و نحو ذلك.

و كلاهما يذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» و يقول له: إن فلانا زعم أنك أمنتني.

غير أن في قصة صفوان زيادة طلب العلامة، و في قصة عكرمة زيادات، فيما يرتبط بمقامه، و ثناء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، و قيامه له، و وصفه بالمؤمن المهاجر، و ما إلى ذلك.

2-إن هناك تناقضات ظاهرة في رواية عكرمة يمكن استخلاصها بالمراجعة و المقارنة.

سر تعظيم عكرمة:

إن عكرمة بن أبي جهل هو أحد من أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، حتى لو كان متعلقا بأستار الكعبة، بسبب شدة طغيانه، و عظيم استكباره، و قبيح عدوانه. .

و قد عظموه، و بجلوه بصورة لافتة، حتى ادّعوا: أنه «صلى الله عليه

وآله» رأى في منامه أنه دخل الجنة، ورأى فيها عذقا، فأعجبه وقال: لمن هذا؟

ف قيل: لأبي جهل.

فشق ذلك عليه «صلى الله عليه وآله»، وقال: لا يدخلها إلا نفس مؤمنة.

فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به، وأول ذلك العذق لعكرمة (1).

و أنه حين أسلم قام إليه «صلى الله عليه وآله» واعتنقه، وقال: مرحبا بالراكب المهاجر.

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدع على أبي جهل في أول بعثته، لأن عكرمة كان في صلبه (2).

و أنه طعن مسلما فقتله، فضحك النبي «صلى الله عليه وآله»، فسئل عن ذلك، فقال «صلى الله عليه وآله»: أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة (3).

ص: 26

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و قاموس الرجال ج 6 ص 325 و سفينة البحار ج 6 ص 333 و الإصابة ج 2 ص 496 عن الترمذي.

2- راجع: تفسير الإمام العسكري ص 513 و 514 و البحار ج 9 ص 279 و ج 17 ص 352 و 353 و الإحتجاج ج 1 ص 36 و قاموس الرجال ج 6 ص 326 و سفينة البحار ج 6 ص 333 و من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 503.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 93 و كنز العمال ج 11 ص 740 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 160 و ج 41 ص 60.

ونقول:

أولاً: حديث الرؤيا منقطع: لأن راويه هو مصعب بن سعد عنه، و مصعب لم يدركه (1)، و حتى لو أدركه فإنه هو راوي ذلك لنفسه، و هو إنما يجر النار إلى قرصه.

ثانياً: كيف يكون مهاجراً-كما ورد في الحديث الآخر-وهم يدعون: أنه لا هجرة بعد الفتح؟!

ثالثاً: إن عكرمة كان في أول البعثة كبير السن، و في يوم أحد كانت معه زوجته أم حكيم (2). و كان من رؤساء القوم (3). و كان يومئذ على مسيرة المشركين. و كان على الحرس أيضاً، و كان خالد بن الوليد على ميمنتهم (4).

و يوم الأحزاب عبر الخندق مع عمرو بن عبدود، و ضرار بن الخطاب الفهري، و هبيرة بن أبي وهب، و نوفل بن عبد الله (5).

ص: 27

1- الإصابة ج 2 ص 496.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 216 و البداية و النهاية ج 4 ص 12 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 21.

3- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 277 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 319 و أسد الغابة ج 1 ص 222.

4- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 231 و 228 و 235 و راجع ص 240 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 40 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 267.

5- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 19 ص 62 و 64 و البحار ج 20 ص 202 و 225 و 254 و ج 39 ص 4 و رسائل المرتضى ج 4 ص 117 و 122 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 394 و شرح الأخبار ج 1 ص 296 و الإرشاد ج 1 ص 99 و 102 و الأمالي ج 3 ص 95 و المستجد في الإرشاد ص 69 و تفسير مجمع البيان ج 8 ص 131 و كشف الغمة ج 1 ص 198.

وفي بدر ضرب معاذ بن عمرو بن الجموح على عاتقه فطرح يده، وذلك حين رآه قتل أباه أبا جهل (1).

وقتل من المسلمين يوم بدر رافع بن المعلى الزرقى (2) ولكن زياد بن لبيد سلب عكرمة درعه يوم بدر (3).

ص: 28

1- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 140 والسير الكبير ج 2 ص 600 وكتاب المنمق ص 412 والبداية والنهاية ج 3 ص 351 ونيل الأوطار ج 8 ص 100 وفتح الباري ج 7 ص 231 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 154 وعيون الأثر ج 1 ص 342 والسير النبوية لابن كثير ج 2 ص 440 وسير أعلام النبلاء ج 1 ص 250 والأعلام ج 7 ص 258 والبحار ج 19 ص 337 و 257 وأسد الغابة ج 4 ص 379 و 381 والسير النبوية لابن هشام ج 2 ص 463 وسبل الهدى والرشاد ج 4 ص 50 والمستدرک ج 3 ص 424 ومجمع الزوائد ج 6 ص 80 و 104 والمعجم الكبير ج 20 ص 177 والثقات ج 1 ص 171 والإصابة ج 6 ص 113.

2- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 208 ومنتهى المطلب (ط ج) ج 2 ص 80 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 503 وتفسير الميزان ج 9 ص 35 والطبقات الكبرى ج 3 ص 601 وتاريخ خليفة بن خياط ص 33 والجرح والتعديل ج 3 ص 480 والإصابة ج 2 ص 169 و 370 والمعجم الكبير ج 5 ص 20 وأسد الغابة ج 1 ص 357 و ج 2 ص 159 والبحار ج 19 ص 361 والسير النبوية لابن كثير ج 2 ص 495.

3- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 23 ومواقف الشيعة ج 3 ص 161.

وكان ممن قدم في أسرى بدر (1) وكان من أشرف قريش الذين مشوا إلى أبي سفيان يحرضونه على المسير إلى أحد (2).

رابعاً: إنه كان من المناوئين لأمير المؤمنين «عليه السلام» . . ولعل هذا هو السبب في إغداقهم الأوسمة عليه، ونسج الكرامات له.

فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: أنه قد ظاهر أعداءه عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وحين هتف الأنصار باسم علي «عليه السلام» قال: «وإن الذي هم فيه من فلتات الأ-مور و من نزغات الشيطان، و ما لا- يبلغه المنى، و لا- يحمله الأمل. أعذروا إلى القوم، فإن أبوا فقاتلوهم. فوالله، لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه» (3).

ص: 29

-
- 1- شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 199 و 204 و عن مغازي الواقدي ج 1 ص 139.
 - 2- شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 213 و 214 و عين العبرة ص 54 و البحار ج 17 ص 180 و ج 19 ص 231 و تفسير مجمع البيان ج 4 ص 464 و تفسير الميزان ج 4 ص 14 و جامع البيان ج 9 ص 323 و أسباب نزول الآيات ص 159 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 320 و تفسير الجلالين ص 419 و الدر المنثور ج 2 ص 67 و لباب النقول ص 99 و فتح القدير ج 2 ص 307 و عيون الأثر ج 1 ص 405 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 187 و البداية و النهاية ج 4 ص 11 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 581 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 19.
 - 3- شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 24 و مواقف الشيعة ج 3 ص 162 و الإصابة ج 1 ص 698 و 699.

إشارة

ولما علم صفوان بن أمية أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه يوم فتح مكة، هرب مع عبد له، اسمه يسار إلى جدة (1).

وقالوا: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك وسلم.

قال: «هو آمن» .

وفي الحلبيّة: (فأمنه، فإنك أمنت الأحمر والأسود).

فقال «صلى الله عليه وآله»: أدرك ابن عمك، فهو آمن.

فقال: أعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطى «صلى الله عليه وآله» لعمير عمامته التي دخل بها مكة (2).

فخرج عمير حتى أدركه-وهو يريد أن يركب البحر-وقال صفوان لغلामه يسار-وليس معه غيره-: ويحك!! أنظر من ترى؟

قال: هذا عمير بن وهب.

ص: 30

-
- 1- تاريخ الخميس ج 2 ص 93 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 179 و أسد الغابة ج 3 ص 22 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 338 و البداية و النهاية ج 4 ص 353 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 584 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 253.
 - 2- السيرة الحلبيّة ج 3 ص 94 و البداية و النهاية ج 4 ص 353 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 875 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 584 و الثقات ج 2 ص 54 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 338 و عيون الأثر ج 2 ص 202 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 254.

قال صفوان: ما أصنع بعمير بن وهب، و الله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر علي محمدا.

فلحقه، فقال: يا أبا وهب جعلت فداك، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جئتكم به.

قال: ويحك، أغرب عني فلا تكلمني.

قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي. أفضل الناس، وأبر الناس، وخير الناس ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك.

قال: إني أخافه على نفسي.

قال: هو أحلم من ذلك وأكرم.

قال: ولا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها.

فقال: امكث مكانك حتى آتيك بها.

فرجع عمير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن صفوان أبى أن يأنس لي حتى يرى منك أمانة يعرفها، فنزع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عماّمته فأعطاه إياها، وهي البرد الذي دخل فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» معتجرا به برد حبرة.

فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي بالمسلمين العصر في المسجد، فلما سلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم: أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرا، وإلا سيّرتني شهرين.

فقال: «انزل أبا وهب» .

قال: لا والله حتى تبين لي.

قال: «بل لك تسيير أربعة أشهر» .

فنزل صفوان.

ولما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هوازن (وعند الواقدي والديار بكري: أرسل إليه يستعير سلاحه، فأعاره سلاحه، مائة درع بأداتها، فقال: طوعا أو كرها.

قال «صلى الله عليه وآله»: عارية مؤداة.

فأعاره، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» فحملها إلى حنين، فشهد حنينا والطائف، ثم رجع «صلى الله عليه وآله» إلى الجعرانة، فبينما رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسير في الغنائم ينظر إليها) .

وفرق غنائمها، فرأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صفوان ينظر إلى شعب ملآن نعما و شاء ورعاء، فأدام النظر إليه، و رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرمقه، فقال: «يا أبا وهب يعجبك هذا الشعب» ؟

قال: نعم.

قال: «هو لك وما فيه» .

فقبض صفوان ما في الشعب، وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده و رسوله. وأسلم مكانه (1).

ص: 32

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 253 و 254 عن ابن إسحاق، والبيهقي، والواقدي، والمغازي للواقدي ج 2 ص 853-855 ودلائل النبوة للبيهقي ج 5 ص 98 وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 94 و تاريخ الخميس ج 2 ص 93 و 94 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 11 و 12 و كنز العمال ج 10 ص 506 و تاريخ مدينة دمشق ج 24 ص 114 و 115 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 566 و المعجم الأوسط ج 3 ص 152.

وبعد. . فقد حكى الله حالة الرعب التي تهيمن على أعداء الله من المنافقين، فكيف بالكافرين، فقال: يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ (1).

و حالة صفوان بن أمية تجسد مضمون هذه الآية بصورة دقيقة، فقد كان يرى نفسه من الرؤساء والزعماء الكبار في قومه، وكان يعيش حالة الإستكبار والجحود، ويمارس الطغيان والتعدي والظلم، حسب ما يروق ويحلوه. . وإذ به بين ساعة وأخرى يرى نفسه شريدا طريدا هاربا، يستجدي الرحمة من أي كان من الناس.

ويرى: أن كل شيء يلاحقه، حتى أبناء عشيرته، ولذلك فهو يقسم: أن عمير بن وهب، وهو من قومه وعشيرته، جاء يريد قتله، وقد ظاهر عليه محمدا «صلى الله عليه وآله» .

مع أن عميرا كان يفكر في الإتجاه الآخر، وقد حصل له على الأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فهو يلاحقه ليعيد السكينة إلى قلبه، وليحفظ حياته، بل هو يريد أن يراه عزيزا شريفا مكرما برسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ولذلك قال له، كما تقدم: «عزه عزك، و شرفه شرفك، و ملكه ملكك» .

ص: 33

إتقلاب الصورة:

و اللافت هنا: أن هذا الرجل المشرك الذي لم يزل يفتنت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» و يرميه بكل فرية، و يصفه بأنه قاطع الرحم، و بأنه شاعر، و كاهن، و كاذب، و مفرق الجماعة، و سبب الشرور و البلايا، و المصائب و الرزايا. و لا تزال هذه الكلمات تتراحم في فمه، و تتراكم على لسانه.

و إذ به حين يختار الإسلام يبادر إلى الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما يناقض ذلك كله. . فيصفه: بأنه أبر الناس، و أكرمهم، و أفضلهم، و خيرهم. .

و تجده بالغ الحماس لإثبات صحة ما يقول في إسراره و إعلانه، و في سائر المواقف، مهما اختلفت خصوصياتها، و حالاتها، و اقتضاءاتها. .

ما أسرع ما أجاب !! :

و اللافت أيضا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يتردد في العفو عن عكرمة، و عن صفوان، و عن غيرهما ممن أهدر دمهم في فتح مكة.

و تجد سهولة ظاهرة في إعطائه الأمان لهم، حتى كأنه ينتظر هذا الطلب، و قد أعد له هذه الإجابة و الإستجابة!!

و لم نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ناقش أحدا في أمر الأمان، أو ذكر أحدا منهم بما صدر منه، مما اقتضى اعتباره مجرما مهدور الدم.

و قد طلب منه صفوان أن يسيره شهرين، فأعطاه «صلى الله عليه وآله» أربعة أشهر، تفضلا منه «صلى الله عليه وآله» و كرما، و سماحة، و فضلا.

و لكن ذلك لا يقلل من قيمة الإجراء الأول، و هو إهدار الدم، الذي

اتخذته في حق ذلك المجرم، بل ذلك إعلان لكل أحد: بأن ثمة جرائم وعظائم تستحق أمثال هذه العقوبات، ولا ترتفع عقوباتها إلا بهذا الأمان، الذي يستبطن انصياعا واعترافا، واستسلاما، وتخليًا عن منطق الجحود، والطغيان، وخروجًا عن صفة العتو والتمرد، ورفضًا وإدانة لسبل الجبارين والمفسدين.

فيأتي هذا التفضل النبوي، ليعطي للناس الإنطباع الصحيح عن حقيقة هؤلاء، ليدركوا بعقولهم، وبفطرتهم البون الشاسع بينهم وبين حقيقة الشخصية النبوية الإلهية، التي تعيش روح التقوى، والعمل الصالح في كل مفردات حياتها.

هذه هي معاييرهم:

والذي يثير استغراب الإنسان العاقل والمنصف حقًا: أن ترى صفوان بن أمية، وهو من الزعماء والرؤساء في قومه، لا يستجيب لنداء العقل، ولا ينساق مع قضاء الفطرة، ولا يخضع لما تقتضيه المعجزات الإلهية القاهرة، التي تضطر كل ذي لب، وضمير، وجدان حي للانقياد، والتسليم، والخضوع، ولا لغير ذلك من كرامات حبا الله بها نبيه والمؤمنين، أو دلالات وآيات بينات.

إن صفوان يتجاهل ذلك كله، ويرى أنه لا- يعني له شيئًا، ويصر على العناد والججاج والجحود، وعلى مواصلة حرب الله ورسوله، والمؤمنين..

ثم ييؤء بالفشل، ويواجه الهزيمة الذليلة، ويعيش الخزي بأقسى وأظهر معانيه، حتى استنقذه بعض أهل الإسلام، الذين حاربهم، وبغى- لم يزل-

الغوائل لهم، ووجد الخلق الرفيع، وأعظم مظاهر الكرم، والفضل، والبر، والنبيل، والسماحة لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين عفا عن جرائمه الكبيرة، التي جعلته مهدور الدم.

نعم. إن صفوان لا يرى في ذلك كله: أية دلالة على الحق والهدى، ولا يدلّه على بطلان ما يعتقدّه في أصنامّه، التي هي مجرد أحجار، وجمادات ومخلوقات لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فيعطيهما مقام الألوهية والخالقية، والرازقية. ولا يدلّه ذلك على قبح الظلم والإفساد، والطغيان، وغير ذلك من جرائم يرتكبها.

ولكنه يهتدي للحق-بزعمه-حين يرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد منحه بعض فضول الحطام في هذه الدنيا الدنية، فيدّعي: أن ذلك قد دلّه على بطلان أصنامّه، وعلى أن ثمة ألها سواها يستحق أن يعبد، وعلى وجود حساب وعقاب، وثواب، وعلى وجود آخرة، وعلى صحة نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى رسوليته و. و. الخ.

فهو يقول عندما أعطاه النبي «صلى الله عليه وآله» بعض الإبل التي رمقها بعين الوامق: «ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وأسلم مكانه.». .

فهل عميت بصيرته عن كل تلك الدلالات، وعن جميع المعجزات والكرامات؟! أم انطفأ سراج عقله؟! وتلاشت كل ومضات النور في فطرته؟! حتى لم يبق إلا-رشحات الأطماع، ومضات الأهواء والشهوات لتكون هي التي تهدي صفوان من الضلال، وتحفظه من الضياع؟!!

ولكنك مع ذلك كله تجد بعض الناس يعظمون أمثال صفوان،

ويعتقدون عدالته، وإخلاصه.

فما أعجب أمر هؤلاء!! وما عشت أراك الدهر عجباً!

صفوان بن أمية في ميزان الاعتبار:

لقد حاولت بعض الروايات: أن تعطي صورة مشرقة عن صفوان قبل إسلامه، ثم تدّعي: أنه قد حسن إسلامه، بعد أن كان من المؤلفة قلوبهم.

غير أن مراجعة تاريخ صفوان، لا تشجع على تصديق ما يذكرونه عنه، فهو قبل أن يتظاهر بالإسلام كان من المعاندين والجاحدين، الذين يجهدون لإطفاء نور الله تبارك وتعالى بماله، ولسانه، وبيده. .

وإذا تتبعنا أحوال هذا النوع من الناس، فقد لا نعثر على أي واحد منهم يمكن الإطمينان إلى إخلاصه وسلامة دينه، بعد أن أظهر الإسلام.

ويكفي أن نذكر: أن صفوان هو الذي أخرج خمس مائة دينار ليجهز بها جيش المشركين إلى بدر (1).

وهو الذي ضمن لعمر بن وهب قضاء دينه، وأن يضم عياله إلى عياله، على أن يقتل محمداً «صلى الله عليه وآله»، إذا أصيب في هذا السبيل، ثم جهزه وأرسله إلى المدينة، لينفذ ما تأمر عليه (2).

ص: 37

-
- 1- سفينة البحار ج 5 ص 130 و تفسير القمي ج 1 ص 257 و البحار ج 19 ص 246 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 113.
 - 2- سفينة البحار ج 5 ص 130 و البحار ج 17 ص 296 و ج 10 ص 49-51 و ج 18 ص 140 و ج 19 ص 326 و الإحتجاج ج 1 ص 118-120 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 119 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 113 و المنتقى للكاظمي ص 113 و السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 316 و دلائل النبوة للبيهقي ج 3 ص 147-149 و الثاقب في المناقب ص 101 و كلمات الإمام الحسين للشريفي ص 185 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 341 و تفسير كنز الدقائق ج 2 ص 97 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 200 و مجمع الزوائد ج 8 ص 285 و المعجم الكبير ج 17 ص 56 و 58 و 60 و شرح النهج للمعتزلي ج 14 ص 154 و كنز العمال ج 13 ص 563 و أسد الغابة ج 4 ص 149 و الإصابة ج 4 ص 603 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 167 و البداية و النهاية ج 3 ص 381 و عيون الأثر ج 1 ص 352 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 486.

و يروى عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: جرت في صفوان بن أمية الجمحي ثلاث من السنن: استعار منه رسول الله «صلى الله عليه و آله» سبعين درعا حطمية، فقال: أغصبا يا محمد؟

قال: بل عارية مؤداة.

فقال: يا رسول الله إقبل هجرتي.

فقال النبي «صلى الله عليه و آله»: «لا هجرة بعد الفتح» (1).

ص: 38

1- المنتقى من السنن المسندة ص 257 و تاريخ المدينة ج 2 ص 482 و قصص الأنبياء للراوندي ص 292 و صحيح ابن خزيمة ج 4 ص 350 و ذكر أخبار إصبهان ج 1 ص 71 و البداية و النهاية ج 4 ص 366 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 66 و صحيح ابن حبان ج 10 ص 452 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 65 و النهاية في غريب الحديث ج 1 ص 308 و لسان العرب ج 3 ص 135 و تاج العروس ج 2 ص 329 و المعجم الكبير ج 3 ص 273 و معرفة علوم الحديث ص 24 و مسند الشهاب ج 2 ص 41 و رياض الصالحين للنووي ص 57 و فيض القدير ج 6 ص 567 و تفسير مجمع البيان ج 4 ص 499 و جامع البيان ج 10 ص 67 و أحكام القرآن ج 2 ص 34 و تفسير القرطبي ج 5 ص 308 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 259 و الدر المنثور ج 6 ص 406 و تفسير الثعالبي ج 3 ص 221 و فتح القدير ج 1 ص 505 و المحصول ج 4 ص 332 و السير الكبير ج 1 ص 94 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 142 و الطبقات لخليفة بن خياط ص 77 و التاريخ الكبير ج 7 ص 109 و تاريخ مدينة دمشق ج 24 ص 105 و أسد الغابة ج 1 ص 119 و تهذيب الكمال ج 2 ص 494 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 564 و تهذيب التهذيب ج 5 ص 160 و الإصابة ج 1 ص 268 و المبسوط للطوسي ج 2 ص 4 و السرائر للحلي ج 2 ص 14 و تذكرة الفقهاء (ط) ج 1 ص 180 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 362 و مسالك الأفهام ج 3 ص 17 و مجمع الفائدة ج 7 ص 446 و زبدة البيان ص 314 و جواهر الكلام ج 13 ص 363 و المجموع للنووي ج 19 ص 263 و بدائع الصنائع ج 1 ص 158 و تكملة حاشية المحتار ج 1 ص 361 و المغني لابن قدامة ج 10 ص 513 و ج 11 ص 248 و الشرح الكبير ج 10 ص 380 و ج 11 ص 208 و كشف القناع ج 1 ص 574 و ج 3 ص 47 و سبل السلام ج 2 ص 28 و المحلى ابن حزم ج 7 ص 45 و 291 و نيل الأوطار الشوكاني ج 3 ص 193 و ج 8 ص 176 و 177 و 178 و فقه السنة الشيخ سيد سابق ج 2 ص 623 و نهج البلاغة خطب الإمام ج 2 ص 129 (ش) و الخصال ص 193 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 261 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 19 ص 95 و (ط دار الإسلامية) ج 13 ص 239 و الخرائج و الجرائع ج 2 ص 545 و المحتضر ص 187 و 321 و عوالي اللآلي ج 1 ص 44 و 162 و البحار ج 19 ص 90 و ج 33 ص 94 و ج 41 ص 170 و ج 66 ص 229 و 230 و ج 76 ص 182 و ج 85 ص 46 و ج 100 ص 176 و جامع أحاديث الشيعة ج 19 ص 4 و ج 25 ص 552 و مستدرک سفينة البحار ج 7 ص 481 و ج 10 ص 486 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 617 و مسند أحمد الإمام ج 1 ص 226 و 355 و ج 3 ص 22 و 468 و 469 و ج 5 ص 187 و سنن الدارمي ج 2 ص 239 و صحيح البخاري ج 3 ص 200 و 210 و ج 4 ص 38 و 253 و ج 5 ص 98 و صحيح مسلم ج 6 ص 28 و سنن الترمذي ج 3 ص 75 و المستدرک الحاكم ج 2 ص 257 و ج 3 ص 18 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 17 و شرح مسلم النووي ج 5 ص 173 و ج 9 ص 123 و ج 13 ص 6 و 7 و 8 و ج 14 ص 209 و مجمع الزوائد للهيثمى ج 5 ص 250 و فتح الباري ج 1 ص 126 و ج 6 ص 3 و 28 و 132 و 203 و ج 7 ص 178 و 179 و 202 و 216 و 340 و ج 10 ص 155 و 457 و ج 13 ص 173 و عمدة القاري ج 1 ص 29 و 315 و ج 9 ص 15 و ج 14 ص 79 و 80 و 81 و 122 و 225 و ج 15 ص 10 و ج 17 ص 37 و الديباج على مسلم للسيوطي ج 3 ص

397 و ج 5 ص 232 و تحفة الأحوذى ج 5 ص 178 و ج 8 ص 4 و عون المعبود ج 2 ص 204 و عون المعبود ج 7 ص 113 و مسند ابن المبارك ص 133 و مسند أبي داود الطيالسي ص 84 و 130 و 293 و المصنف عبد الرزاق الصنعاني ج 5 ص 309 و ج 8 ص 474 و ج 10 ص 152 و المصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج 8 ص 539 و 540 و تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 183 و الآحاد و المثنائي للضحاك ج 3 ص 86 ج 4 ص 230 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 362 و المنتقى من السنن المسندة ص 257 و صحيح ابن خزيمة ج 4 ص 350 و ج 10 ص 452 ج 11 ص 209 و المعجم الكبير للطبراني ج 3 ص 273 و ج 10 ص 340 و ج 11 ص 26 و ج 18 ص 262 و 263 و ج 20 ص 325 و معرفة علوم الحديث للنيسابوري ص 24 و مسند الشهاب لابن سلامة ج 2 ص 41 و 42 و الإستذكار لابن عبد البر ج 7 ص 277 و ج 8 ص 226 الإستيعاب ج 1 ص 8 و 106 و ج 2 ص 720 و 723 و 837 و ج 3 ص 1253 و التمهيد لابن عبد البر ج 2 ص 218 و ج 8 ص 390 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 275 و ج 17 ص 256 و تغليق التعليق لابن حجر ج 2 ص 51 و ج 4 ص 146 و كنز العمال ج 2 ص 370 و 560 و 561 و ج 10 ص 500 و ج 16 ص 654 و 656 و 660 و لبيان الشيخ الطوسي ج 5 ص 164 تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي ج 4 ص 499 و تفسير ابن أبي حاتم ج 5 ص 1738 و ج 6 ص 1769 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 34 و ج 3 ص 97 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 84 و تفسير الثعلبي ج 4 ص 375 و تفسير السمعاني ج 1 ص 469 و تفسير البغوي ج 1 ص 469 و أحكام القرآن لابن العربي ج 1 ص 146 و 206 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 2 ص 557 و ج 5 ص 259 و ج 10 ص 221 و ج 15 ص 213 و ج 29 ص 218 و تفسير القرطبي ج 5 ص 308 و ج 8 ص 58.

وكان راقدا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتحت رأسه رداؤه، فخرج يبول، فجاء وقد سرق رداؤه، فقال: من ذهب بردائي؟ وخرج في طلبه، فوجده في يد رجل، فرفعه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» .

فقال «صلى الله عليه وآله» : اقطعوا يده.

فقال: أقطع يده من أجل ردائي يا رسول الله؟ فأنا أهبه له.

فقال «صلى الله عليه وآله» : ألا كان هذا قبل أن تأتيني به.

فقطعت يده (1).

ص: 41

1- الخصال ج 1 ص 193 والبحار ج 76 ص 182 وج 100 ص 176 وسفينة البحار ج 6 ص 547 ومستدرك سفينة البحار ج 7 ص 481 وقاموس الرجال ج 5 ص 126 وراجع: الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 13 ص 239 وج 18 ص 329 والمصنف الصنعاني ج 10 ص 229 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 627 وشرائع الإسلام ج 4 ص 954 ومسالك الأفهام ج 14 ص 496 وجواهر الكلام ج 41 ص 501 و 552 وجامع المدارك ج 7 ص 136 و 138 و 163 ومباني تكملة المنهاج ج 1 ص 286 و 313 والدر النضود ج 2 ص 64 والمحلى ج 11 ص 152 والكافي ج 7 ص 251 والإستبصار ج 4 ص 251 وتهذيب الأحكام ج 10 ص 123 و سنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 329 ونصب الراية ج 4 ص 199 والتفسير الصافي ج 2 ص 35.

و يلاحظ: أن هذه السنن التي جرت فيه قد جاءت كلها على خلاف رغباته و توجهاته.

هذا، و قد عاش صفوان أكثر من ثلاثين سنة بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و لم نسمع عنه أنه نصر حقاً، أو اعترض على باطل . . رغم أنها كانت فترة مليئة بالأحداث الكبيرة و الخطيرة و الحافلة بالتعدييات على الحق و أهله، بدءاً مما جرى على أهل البيت «عليهم السلام» حين استشهاد رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و انتهاء بما كان من معاوية ضد الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» ، و من معه من أهل الدين و الإيمان.

3- عبد العزى بن خطل:

إشارة

وقد أهدر النبي «صلى الله عليه و آله» دم ابن خطل، و كان اسمه عبد العزى، و كان قد أسلم، فسماه رسول الله «صلى الله عليه و آله» عبد الله، و هاجر إلى المدينة، و بعثه رسول الله «صلى الله عليه و آله» ساعياً، و بعث معه رجلاً من خزاعة (أو من أسلم، أو من الروم)، و كان يصنع له طعامه و يخدمه، فنزلا في مجمع -و هو المكان الذي تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة- فأمره أن يصنع له طعاماً، و نام نصف النهار، و استيقظ،

ص: 42

و الخزاعي نائم، و لم يصنع له شيئا، فعدى عليه فضربه فقتله، و ارتد عن الإسلام، و ساق ما أخذ من الصدقة، و هرب إلى مكة.

(زاد الواقدي قوله: فقال له أهل مكة: ما ردك إلينا؟ !

قال: لم أجد دينا خيرا من دينكم).

و كان يقول الشعر يهجو به رسول الله «صلى الله عليه و آله» .

و كانت له قينتان، و كانتا فاسقتين، فيأمرهما ابن خطل أن يغنيا بهجاء رسول الله «صلى الله عليه و آله» (1).

و عن أنس قال: دخل رسول الله «صلى الله عليه و آله» مكة يوم الفتح على رأسه المغفر، فلما نزع جاء رجل، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة.

ص: 43

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 223 و 224 و السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و راجع ص 111 و قرب الإسناد ص 61 و المغازي للواقدي ج 2 ص 859 و 860 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و المبسوط للسرخسي ج 10 ص 39 و قرب الإسناد ص 130 و الإرشاد للمفيد ج 1 ص 136 و المستجد من الإرشاد للعلامة الحلبي ص 77 و البحار ج 21 ص 105 و 111 و 131 و مستدرك سفينة البحار ج 8 ص 110 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 121 و بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص 218 و معرفة السنن و الآثار للبيهقي ج 7 ص 68 و الإستذكار لابن عبد البر ج 5 ص 25 و تفسير مجمع البيان للطبرسي ج 10 ص 472 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 695 و تفسير الميزان ج 20 ص 382 و الإصابة ج 8 ص 279 و فتوح البلدان للبلاذري ج 1 ص 46 و الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 251 و أعيان الشيعة ج 1 ص 276 و إعلام الوری ج 1 ص 224 و عيون الأثر ج 2 ص 195 و سبل الهدى و الرشاد الصالحي الشامي ج 5 ص 224.

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225 وقال: رواه مالك والشيخان، وأشار المعلق في الهامش إلى البخاري 4/59 (1846، 4286)، و
مسلم 2/989 (450/1357). وراجع: مغني المحتاج ج 4 ص 43 وكتاب الموطأ لمالك ج 1 ص 423 والمحلى لابن حزم ج 10 ص
498 ونيل الأوطار ج 5 ص 27 و ج 7 ص 191 و مسند أحمد ج 3 ص 109 و 186 و 231 و 232 و 240 و سنن الدارمي ج 2 ص
73 وصحيح البخاري ج 2 ص 216 و ج 4 ص 28 و ج 5 ص 92 وصحيح مسلم ج 4 ص 111 و سنن أبي داود ج 1 ص 607 و سنن
الترمذي ج 3 ص 119 و سنن النسائي ج 5 ص 201 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 177 و ج 6 ص 323 و ج 7 ص 59 و ج 8 ص
205 و ج 9 ص 212 و شرح مسلم للنووي ج 9 ص 131 و عمدة القاري ج 10 ص 205 و ج 14 ص 289 و ج 17 ص 282 و كتاب
العلم للنسائي ص 37 و المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج 8 ص 536 و الشرائع للمصنف للترمذي ص 64 و بغية الباحث عن زوائد
مسند الحارث ص 218 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 171 و مسند أبي يعلى ج 6 ص 245 و 246 و شرح معاني الآثار ج 2 ص
259 و ج 3 ص 329 وصحيح ابن حبان ج 9 ص 34 و 37 و المعجم الأوسط للطبراني ج 9 ص 29 و معرفة السنن والآثار للبيهقي ج
4 ص 169 و ج 7 ص 137 و الإستذكار لابن عبد البر ج 4 ص 403 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 157 و 159 و تخريج الأحاديث و
الآثار للزيلعي ج 4 ص 211 و نصب الراية للزيلعي ج 3 ص 87 و ج 4 ص 255 الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج 2 ص
119 و كنز العمال ج 10 ص 521 و أحكام القرآن لابن العربي ج 1 ص 151 و تفسير القرطبي ج 2 ص 352 و أضواء البيان للشنقيطي
ج 4 ص 494 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 139 و 140 و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 1 ص 289 و 432 و ج 2 ص 55
و ج 8 ص 145 و ج 10 ص 349 و تاريخ مدينة دمشق ج 5 ص 411 و ج 19 ص 109 و ج 46 ص 324 و ج 55 ص 46 و تاريخ
جرجان ص 446 و ذكر أخبار إصبهان ج 1 ص 150 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 547 و البداية والنهاية ج 4 ص 334 و ج 6 ص
7 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 7 ص 150 و عيون الأثر ج 2 ص 195 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 554 و ج 4 ص 708 و سبل
الهدى والرشاد ج 5 ص 224 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90.

زاد في نص آخر قوله: إن الكعبة لا تعيذ عاصيا، ولا تمنع من إقامة حد واجب. فقتله سعيد بن حريث، وأبو برزة، وقيل: قتله الزبير، وقيل سعد بن ذؤيب، وقيل: سعيد بن زيد.

قال في النور: والظاهر اشتراكهم فيه جميعا جمعا بين الأقوال (1).

وقال الواقدي يقال: قتله سعيد بن حريث المخزومي، ويقال: عمار بن ياسر، ويقال: شريك بن عبدة العجلاني، وأثبتته عندنا أبو برزة (2).

وقيل: إن الجميع ابتدر قتله، فكان المباشر أبو برزة (3).

ص: 45

-
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 91 وراجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 859 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 268 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 وحديث قتل أبي برزة له رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن المبارك، والبلاذري وغيرهم.
 - 2- المغازي للواقدي ج 2 ص 859 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 268 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90.
 - 3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 268 ومقدمة فتح الباري ص 289 وفتح الباري ج 4 ص 52 وعمدة القاري ج 10 ص 207 وراجع البداية والنهاية ج 4 ص 341 وأعيان الشيعة ج 1 ص 276 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 564 وتاج العروس ج 14 ص 202.

وقال الطبرسي: استبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً فقتله (1).

ولما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ذي طوى، أقبل ابن خطل من أعلى مكة مدججا بالحديد، على فرس، ويده قنّاة. فمر ببنات سعيد بن العاص، فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزداد.

قالوا: ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة، فرأى خيل الله، ورأى القتال، فدخله رعب، حتى ما يستمسك من الرعدة، فرجع حتى انتهى إلى الكعبة،

ص: 46

1- مجمع البيان ج 10 ص 557 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 10 ص 472 و البحار ج 21 ص 105 و 131 عن إعلام الوري، و المناقب، و نيل الأوطار ج 8 ص 172 و مستدرک سفينة البحار ج 8 ص 111 و سنن النسائي ج 7 ص 106 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 و مجمع الزوائد للهيثمى ج 6 ص 169 و عمدة القاري للعيني ج 10 ص 207 و عون المعبود للعظيم آبادي ج 7 ص 248 و المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج 8 ص 536 و السنن الكبرى للنسائي ج 2 ص 302 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 101 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 330 و الإستذكار لابن عبد البر ج 4 ص 404 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 175 و تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعي ج 4 ص 211 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 695 و تفسير الميزان ج 20 ص 382 و الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 303 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 33 و ج 41 ص 58 و أسد الغابة لابن الأثير ج 4 ص 5 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 552 و البداية و النهاية ج 4 ص 341 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 13 ص 110 و إعلام الوري للطبرسي ج 1 ص 224 و السيرة النبوية ابن كثير ج 3 ص 565.

فنزّل عن فرسه، و طرح سلاحه، و أتى البيت، فدخل تحت أستاره، فأخذ رجل من بني كعب سلاحه، و أدرك فرسه عائراً، فاستوى عليه، و لحق برسول الله «صلى الله عليه و آله» بالحجون، و أمر «صلى الله عليه و آله» بقتله (1).

و لنا توضيحات أو تأملات فيما تقدم، فلاحظ ما يلي من مطالب:

تغيير الاسم إحسان و تقض:

و أول ما يواجهنا في قصة ابن خطل هو: أن النبي «صلى الله عليه و آله» غيّر اسمه من عبد العزى إلى عبد الله.

و هذا التغيير، الذي يأتي من رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و المطاع أمره، و النافذ قراره، يعد إحساناً و تقضاً منه «صلى الله عليه و آله» على ابن خطل.

يضاف ذلك إلى ما له عليه من فضل و إحسان، بهدايته إلى الله تعالى، و دلالته على شرائعه، و إخراجهم من الظلمات إلى النور.

و للأسماء إحياءاتها، و تأثيراتها على النفس، و على المكانة، و النظرة، و السمعة، و في كثير من الجهات، فتغيير الاسم من عبد العزى إلى عبد الله لا بد أن ينقل هذا الإنسان إلى أجواء تختلف عن الأجواء التي كان فيها، و لا بد أن يتبع ذلك تبدل في المشاعر لديه، و لدى الآخرين، الذين يتعاملون معه،

ص: 47

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 827 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 224 و السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و (ط دار المعرفة) ص 37 و شرح النهج للمعتزلي ج 17 ص 276 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 387.

و تبدل في الإحياءات وفي الخلجات، وفي الصور التي سوف تفرض نفسها بصورة عفوية، و سينتقل تلقائيا إلى جو جديد، و محيط مختلف في ذلك كله و سواه.

الهروب إلى الأمام:

لم يكتف ابن خطل بارتكاب جريمته في حق رفيقه الذي بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» معه، و كان يخدمه، فقتله لمجرد أنه نام و لم يصنع له الطعام الذي طلبه منه. .

بل زاد على ذلك: بأن ارتد عن الإسلام، و استولى على ما كان في يده من أموال الصدقة، و هرب إلى مكة، و صار يقول الشعر في هجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . و يأمر جاريته بأن يغنيا بهجائه «صلى الله عليه وآله» . .

مع أنه لو اقتصر على الجريمة الأولى، لأمكن أن يكون له مخرج، بأن يعفو ولي المقتول، فيسقط القصاص. و لعل العفو يأتي من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة إذا رأى المصلحة في ذلك، فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم. .

و لكن شدة خبث سريرة هذا الرجل، و سوء نواياه، قد حجب اللطف الإلهي عنه، و وكله الله سبحانه إلى نفسه على قاعدة: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (1).

فساقته شقوته إلى الإيغال في طريق الغي، فقد كان من الذين يقول الله

ص: 48

تعالى فيهم: وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (1).

الكعبة لا تعبد عاصيا ولا تمنع من إقامة الحد:

ثم إننا نقول:

1- إن ابن خطل قد ارتكب جرائمه في حرم الله تعالى، فاستحق العقوبة عليها، ولا تراعى له حرمة في ذلك، لأنه لم يراع حرمة الله في حرم الله. ولو أنه ارتكب جرمة خارج الحرم، ثم دخل الحرم متعوذا لكان اللازم هو التصديق عليه حتى يخرج منه، ليؤخذ، ويقام عليه الحد الواجب. . وذلك واضح لا يخفى.

2- إن دخول ابن خطل تحت أستار الكعبة، يدل على معرفته بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعظم بيت الله، ولا يمكن أن يفعل أي شيء يؤدي إلى هتك حرمة، أو المساس بقدسيته. .

وقد فاتته: أن تطهير البيت من دنس الشرك والمشركين، وكبح جماح المجرمين، والذين تجرؤوا على حرمة الله، في حرم الله، وعند بيته المعظم- إن ذلك- لا يتنافى مع تعظيم البيت وتكريمه، بل هو واجب إلهي، وفرض إنساني وأخلاقي لا بد من تأديته على أكمل وجه وأتمه.

فليس لهؤلاء أن يتوقعوا أن يتركوا يمارسون هتك حرمة بيت الله، ثم يتخذون من الكعبة ملاذا و معاذا، يمنع من التصدي لهم لإقامة حدود الله

ص: 49

عليهم، وردعهم عن معصية الله في حرم الله.

4- عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

إشارة

قال الحلبي الشافعي وابن إسحاق: «وإنما أمر بقتل عبد الله بن أبي سرح (1)، لأنه كان أسلم قبل الفتح، وكان يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الوحي، وكان إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً، كتب عليهما حكيماً، وإذا أملى عليه: عليهما حكيماً، كتب غفوراً رحيماً.

وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال: إن محمداً لا يعلم ما يقول.

فلما ظهرت خيانتة لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتدّ وهرب إلى مكة (2).

وقيل: إنه لما كتب: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ. . تعجب من تفصيل خلق الإنسان فنطق بقوله: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (3) قبل إملائه.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب ذلك، هكذا أنزلت.

ص: 50

-
- 1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 90 و (ط دار المعرفة) ص 36 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 و تفسير البغوي ج 4 ص 540 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 553.
 - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 90 و (ط دار المعرفة) ص 36 و تفسير البغوي ج 4 ص 540 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و تفسير القمي ج 1 ص 210 و التفسير الصافي ج 2 ص 139 و تفسير الميزان ج 7 ص 305.
 - 3- الآيات 12-14 من سورة المؤمنون.

فقال عبد الله: إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إليّ، فارتد و لحق بمكة (1)، فقال لقريش: إني كنت أصرف محمدا كيف شئت، كان يملي عليّ عزيز حكيم. فأقول: أو علم حكيم، فيقول: نعم، كل صواب (2). و كل ما أقوله يقول: اكتب، هكذا نزلت.

فلما كان يوم الفتح، وعلم بإهدار النبي «صلى الله عليه وآله» دمه لجأ إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة (3)، فقال له: يا أخي استأمن لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل أن يضرب عنقي.

فغيبه عثمان حتى هدأ الناس و اطمأنوا، فاستأمن له، ثم أتى به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعرض عنه النبي «صلى الله عليه وآله»، فصار عثمان يقول: يا رسول الله، أمنت؟ و النبي «صلى الله عليه وآله» يعرض عنه.

ص: 51

1- راجع أيضا: الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 40 و فتح القدير ج 2 ص 140 و التفسير الكبير ج 13 ص 84 و تفسير البيضاوي ج 1 ص 391 و الكشف ج 2 ص 45 و تفسير الخازن ج 2 ص 37 و تفسير النسفي (مطبوع مع الخازن) ج 2 ص 37 و أنساب الأشراف للبلاذري ج 5 ص 49، و عن جامع البيان، و عن ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و عبد بن حميد، و أبي الشيخ، و تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و عين العبرة ص 65 و الغدير ج 8 ص 281.

2- السيرة الحلبيّة ج 3 ص 90 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 531 و 532 و 358.

3- السيرة الحلبيّة ج 3 ص 90 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و أسد الغابة ج 3 ص 173 و تاريخ المدينة ج 2 ص 481 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 2 ص 132 و النصائح الكافية ص 207.

ثم قال: نعم.

فبسط يده فبايعه.

فلما خرج عثمان و عبد الله قال «صلى الله عليه وآله» لمن حوله: أعرضت عنه مرارا، ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.

وقال «صلى الله عليه وآله» لعباد بن بشر، و كان نذر إن رأى عبد الله قتله، أي و قد أخذ بقائم السيف، ينتظر النبي «صلى الله عليه وآله» يشير إليه أن يقتله، فقال له «صلى الله عليه وآله»: «انتظرتك أن تقي بنذرك» .

قال: يا رسول الله خفتك، أفلا أومضت إليّ.

فقال: «إنه ليس لنبي أن يومض» .

وفي رواية: «الإيماء خيانة ليس لنبي أن يومي» (1).

ص: 52

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 90 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و المغازي للواقدي ج 2 ص 855 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 59 و وضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج 2 ص 417 و عين العبرة للسيد أحمد آل طاووس ص 64 و 67 و البحار ج 32 ص 439 و ج 89 ص 35 و الغدير ج 10 ص 21 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 135 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 120 و 212 و مجمع الزوائد للهيثمى ج 6 ص 167 و 173 و المعجم الأوسط للطبراني ج 6 ص 343 و المعجم الكبير ج 6 ص 66 و سنن الدارقطني ج 2 ص 263 و الدرر لابن عبد البر ص 219 و تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج 3 ص 114 و تفسير القمي ج 1 ص 210 و التفسير الصافي ج 2 ص 139 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 746 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 360 و جامع البيان لابن جرير الطبري ج 10 ص 66 و تفسير البغوي ج 4 ص 540 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 2 ص 322 و تفسير القرطبي ج 7 ص 40 و شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 318 و تفسير البحر المحيط ج 4 ص 183 و 184 و البرهان للزركشي ج 1 ص 200 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 141 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 52 و ج 3 ص 214 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 22 و 23 و 25 و 29 و 32 و 35 و أسد الغابة ج 3 ص 174 و تهذيب الكمال للمزي ج 11 ص 114 و سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 33 و الإصابة ج 4 ص 540 و الأنساب للسمعاني ج 3 ص 243 و فتوح البلدان للبلاذري ج 1 ص 262 و الكامل في التاريخ ج 3 ص 88 و وفیات الأعيان لابن خلكان ج 7 ص 214 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 529 و البداية و النهاية ج 4 ص 340 و 342 و ج 5 ص 372 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 1 ص 128 و ج 2 ق 2 ص 44 و أعيان الشيعة ج 1 ص 276 و 480 و ج 7 ص 388 و وقعة صفين للمنقري ص 161 السيرة و النبوة لابن كثير ج 3 ص 563 و 566 و ج 4 ص 689.

فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خاتنة الأعين (1).

ص: 53

1- راجع ما تقدم في: سنن أبي داود ج 4 ص 128 وفتح القدير ج 2 ص 141 وأنساب الأشراف ج 5 ص 49 ومستدرک الحاكم ج 3 ص 100 وأسد الغابة ج 3 ص 173 والإصابة ج 3 ص 317 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 381 و (ط دار الجيل) ج 3 ص 918 والجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 40 وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج 2 ص 566 وكشف اللثام (ط ج) ج 7 ص 35 و (ط ق) ج 2 ص 11 والمجموع للنووي ج 16 ص 143 ونيل الأوطار ج 8 ص 85 والبحار ج 16 ص 388 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 362 والغدير ج 8 ص 280 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 والدرر لابن عبد البر ص 219 وشرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 13 وتفسير الميزان ج 17 ص 322 والدر المنثور ج 5 ص 349 وفتح القدير للشوكاني ج 4 ص 487.

وقيل: إنه أسلم وبايع والنيبي «صلى الله عليه وآله» بمّر الظهران، وصار يستحيي من مقابلته، فقال «صلى الله عليه وآله» لعثمان: أما بايعته وأمنته؟

قال: بلى، ولكن يذكر جرمة القديم فيستحيي منك.

قال: «الإسلام يجب ما قبله». وأخبره عثمان بذلك، ومع ذلك فصار إذا جاء جماعة للنبي «صلى الله عليه وآله» يجيء معهم، ولا يجيء إليه منفرداً (1).

قال الواقدي: «قالوا: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الوحي، فربما أملى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» سَمِيعٌ عَلِيمٌ فيكتب عليهم حكيم، فيقرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقول: كذلك الله، ويقره.

وافتنن وقال: ما يدري محمد ما يقول. إني لأكتب له ما شئت. هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إلى محمد. وخرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتداً، فأهדר «صلى الله عليه وآله» دمه يوم الفتح» (2).

وعند الواقدي: أنه طلب من عثمان أن يحتبسه في مكان ما، ثم يذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليكلمه فيه، لأنه لو رآه لقتله، لأن جرمة

ص: 54

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 90 و (ط دار المعرفة) ص 37 و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 856 و 857 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 224 و السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و تاريخ الخميس ج 2 ص 91 و راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 12 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 35.

أعظم جرم، فأصر عليه عثمان أن ينطلق معه.

فلم يرع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا بعثمان آخذ بيد ابن أبي سرح واقفين بين يديه، فكلمه فيه، فأعرض عنه. «و جعل عثمان كلما أعرض عنه النبي «صلى الله عليه وآله» بوجهه استقبله، فيعيد عليه هذا الكلام.

فإنما أعرض النبي «صلى الله عليه وآله» عنه إرادة أن يقوم رجل فيضرب عنقه، لأنه لم يؤمنه.

فلما رأى أن لا يقدم أحد، وعثمان قد أكب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبل رأسه، وهو يقول: يا رسول الله، تبايعه فذاك أبي و أمي». .

فقال: نعم.

ثم التفت إلى أصحابه، فقال: ما منعكم أن يقوم رجل منكم إلى هذا الكلب فيقتله؟! أو قال: الفاسق.

فقال عباد بن بشر: ألا أومأت إلي يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق إني لأتبع طرفك من كل ناحية، رجاء أن تشير إلي فأضرب عنقه.

و يقال: قال هذا أبو اليسر (أو أبو البشير) .

و يقال: عمر بن الخطاب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني لا أقتل بالإشارة، أو إن النبي لا تكون له خائنة الأعين (1).

ص: 55

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 855 وراجع: نيل الأوطار ج 8 ص 85 و مناقب أهل البيت للشيرازي ص 362 و الغدير ج 8 ص 280 و سنن أبي داود ج 1 ص 607 و ج 2 ص 329 و سنن النسائي ج 7 ص 106 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 45 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 40 و مجمع الزوائد للهيتمي ج 6 ص 169 و فتح الباري ج 6 ص 112 و ج 11 ص 8 و عون المعبود ج 7 ص 249 و ج 12 ص 9 و السنن الكبرى للنسائي ج 2 ص 303 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 102 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 330 و الإستيعاب ج 3 ص 918 و التمهيد لابن عبد البر ج 6 ص 176 و تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج 3 ص 114 و ج 4 ص 212 و كنز العمال ج 10 ص 518 و تفسير الميزان ج 17 ص 322 و أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 472 و زاد المسير ج 6 ص 202 و تفسير القرطبي ج 7 ص 40 و ج 15 ص 303 و تفسير الثعالبي ج 5 ص 110 و الدر المنثور ج 5 ص 349 و فتح القدير ج 4 ص 487 و تفسير الألوسي ج 11 ص 174 و شرح السير الكبير للسرخسي ج 2 ص 504 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 34 و أسد الغابة ج 3 ص 173 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 249 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 553 و الوافي بالوفيات ج 17 ص 101 و البداية و النهاية ج 4 ص 340 و 342 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 44 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 13 ص 111 و عيون الأثر ج 2 ص 195 و السيرة النبوية ج 3 ص 563 و 566 و سبل الهدى و الرشاد ج 10 ص 418 و ج 11 ص 387.

قال الصالحى الشامى وغيره: و حسن إسلامه بعد ذلك، و ولاه عمر بعض أعماله، ثم ولاه عثمان، و مات و هو ساجد فى صلاة الصبح، أو بعد انقضائها، و كان أحد النجباء، الكرماء، العقلاء من قريش، و كان فارس بنى عامر بن لؤى المقدم فيهم (1).

ص: 56

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 224 المغازى للواقدي ج 2 ص 855 و 856 و أنساب الأشراف ج 1 ص 358 و البداية و النهاية ج 4 ص 340 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 563.

إن من يراجع حديث الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم يلاحظ: أن النبي رغم إصداره هذا القرار الحازم الحاسم بقتل هؤلاء سرعان ما يعفو عنهم، ويعطيهم الأمان بمجرد أن يطلب ذلك منه، ولا سيما بعد أن كسرت شوكتهم، وضائق عليهم الأرض بما رحبت.

غير أن من بين جميع هؤلاء يوجد استثناء واحد، كان النبي «صلى الله عليه وآله» حريصا على إنفاذ الأمر بقتله أكثر من سائرهم، لولا تدخل عثمان بن عفان، وعدم التفات من حضر من المسلمين إلى ما كان ينبغي لهم أن يفعلوه لحظة مجيء ابن أبي سرح إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ظل حماية عثمان له.

فما هو السر لتلك السهولة في العفو والسماح هناك، والرغبة في إجراء الأمر هنا؟ !

إن الإجابة على هذا السؤال، وإن كانت تحتاج إلى مزيد من البسط والبيان، لكننا سنكتفي بالإلماح إلى بعض النقاط التي تفتح نافذة يستطيع الباحث عن الحقيقة أن يطل منها على الأسباب والمعطيات لكلا موقفيه «صلى الله عليه وآله»، فنقول:

إن الذي اقتضى إهدار دم هؤلاء هو جرائم وفظائع ارتكبوها، في حق الدين والإنسانية، لصد الناس عن الحق، وزعزعة أركانه، وتقويض بنيانه. لكن جرائمهم هذه تختلف فيما بينها، فهناك جرائم رغم بشاعتها، وفظاعتها، تبقى محصورة في نطاقها الخاص، بل ربما يكون الزمن قد تجاوزها، بعد أن ضرب الإسلام بجمرانه، وبعد ثبات ورسوخ قواعده وأركانه.

كما أن بعضها الآخر قد يكون بنفسه سببا لنفرة الناس من فاعله، لأنه يجرح العاطفة الإنسانية، و يصدّم الروح، و تتقرّز منه النفس.

و من ذلك: إقدام هند بنت عتبة على استخراج كبد الحمزة، و التشفي بقطع أطرافه «عليه السلام»، و جعلها قلادة تتزين بها.

كما أن بعضها الآخر البشعة و القاسية، قد يرتبط في أذهان الناس بشخص ما، فيكون بنظره حقاً له.

كما أن بعض تلك الجرائم يمكن تجاوزه و العفو عنه، لمصلحة أقوى منه تقتضي ذلك. و لعلمهم يرون أن قضية هبار بن الأسور مع زينب من هذا القبيل.

بل و كذلك الحال بالنسبة لأولئك الذين هجوا رسول الله «صلى الله عليه و آله»، أو تغنوا بهجائه، سعيًا منهم في توهين أمره «صلى الله عليه و آله»، و صد الناس عن الإيمان به. .

و لكن الحال بعد انتصار الإسلام في مكة قد تغير، و أصبح بالإمكان تجاوز هذه السلبية، بسبب قوة الإسلام، التي قد تفرض على نفس هؤلاء السعي إلى جبر ذلك الكسر، و مدح الرسول «صلى الله عليه و آله» بما هو فيه.

و ليظهر للناس مدى التزوير و التضليل الذي كانوا يمارسونه لصدهم عن الحق، و إضعاف أمر نبي الله «صلى الله عليه و آله» في القلوب و النفوس.

و تبقى جريمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح هي الأشد خطراً، و الأبعد و الأقوى أثراً، من حيث إنها تستهدف النبوة في الصميم، و تثير شبهة لا يقوى الإنسان العادي على دفعها، و لا على التخلص من آثارها. .

وهي شبهة لا يحدها زمن، ولا تنتهي عند جيل من الناس. . بل هي تسري عبر الأجيال إلى آخر الزمان. . حيث إن هذا الرجل قد زعم: أنه يستطيع أن ينزل قرآنا مثل الذي أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله» .

وزعم أيضا: أنه كان يغير في الآيات، ويكتب سميعا بصيرا، بدل حكيما عليما مثلا، ولا يلتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فعله هذا، بل كان يرضى بفعله أحيانا، ولا يفرق بين ما نزل عليه، وبين ما كتبه ابن أبي سرح من عند نفسه. .

وهذه شبهة هائلة، وخبثية، وسيئة الأثر، لأن الإنسان العادي لا يملك سبيلا إلى دفعها، أو التخلص من الآثار التي تتركها في روحه ووجدانه، إذا ثار لديه احتمال أن يكون ثمة من يقدر على مجارات القرآن، ويغير في كلماته من عند نفسه، ولا شك في أن هذا يؤثر في يقينه، وفي صحة إيمانه. ويجعله فريسة سهلة لأصحاب الأهواء، وطلاب اللبانات، وما أكثرهم!! .

بين الحياء، و ظن السوء:

وقالوا: إن ابن أبي سرح لم يكن يأتي إلى مجلس النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك.

وزعموا: أنه لا- يأتيه حياء، فقال «صلى الله عليه وآله»: الإسلام يجب ما قبله، وأخبروه بذلك. ومع ذلك، فإنه صار يأتي إليه مع الجماعات، ولا يأتيه منفردا. .

ونقول:

إن اتهام ابن أبي سرح بالحياء لا يمكن أن يكون مرضيا و لا مقبولا، فإن تاريخه يشهد بخلاف ذلك.

ولعل الصحيح هو: أنه كان لا يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» خشية من أن يقتل عنده، و بإيماءة منه إلى بعض أصحابه، لأنه يظن أنه «صلى الله عليه وآله» إنسان غادر لا يؤمن جانبه. أي أنه يقيس النبي «صلى الله عليه وآله» على نفسه. .

و يكفي أن نذكر: أنه يقتل حامل رسالة عثمان إليه، فإنه حين جعله عثمان عاملا له على مصر، و شكاه المصريون. أرسل عثمان إليه كتابا ينهائهم فيه عما شكاه المصريون من أجله، فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، و ضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله. . فكان ذلك من أسباب خروج المصريين إلى عثمان. . و تطورت الأمور حتى قتل عثمان (1).

تبارك الله أحسن الخالقين:

و عن قولهم: إنه وافق ما أنزل الله، حين قال: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .

نقول:

إنه غير صحيح.

ص: 60

1- الإمامة و السياسة (تحقيق طه محمد الزيني) ج 1 ص 39 و 55 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 256 و قاموس الرجال ج 5 ص 467 و الغدير ج 9 ص 80 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 416 و تاريخ المدينة لابن أبي شبة ج 4 ص 1158.

أولاً: لأن الآية المذكورة قد وردت في سورة «المؤمنون» وهي من السور المكية، واستثني منها قوله تعالى: حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ -إلى قوله- مُبْلِسُونَ (1).

على أنهم قد ادّعو: أن عمر بن الخطاب أيضاً قد وافق ربه (أو وافقه ربه) في هذا الجزء من الآية. . فراجع (2). فأى ذلك هو الصحيح؟ وإن كنا نعتقد أنهما معا من المكذوبات!!

ثانياً: إن زيد بن ثابت ينقل: «أن النبي «صلى الله عليه وآله» أملى آيات خلق الإنسان عليه، فقال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال له معاذ: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: إنها ختمت: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (3).

ص: 61

-
- 1- الآيات 65-77 من سورة المؤمنون، وراجع: الإتيان ج 1 ص 16 و تفسير الشوكاني ج 3 ص 495.
 - 2- الدر المنثور ج 5 ص 6 و 7 عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطيالسي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، والطبراني وراجع: عمدة القاري ج 2 ص 284 و تفسير الرازي ج 23 ص 86 و الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 1 ص 101 و كنز العمال ج 12 ص 554 و 555 و الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 112 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 252 و الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 1 ص 102 و تاريخ المدينة ج 3 ص 865 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 270.
 - 3- الدر المنثور ج 5 ص 7 عن ابن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه مجمع الزوائد ج 7 ص 72 و المعجم الأوسط ج 5 ص 56 و الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج 2 ص 271 و فتح القدير ج 3 ص 479 و تفسير الألوسي ج 18 ص 16.

و من الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يملئ الآية على كل من كان يكتب، بل كان يملئها على أحد الكتاب، أو على من حضر منهم. . فلا معنى للقول بتكرار الحادثة تارة مع معاذ بن جبل، وأخرى مع ابن أبي سرح!!

عثمان وأخوه، وعلي عليه السلام وأخته:

وقد قرأنا فيما سبق: موقف علي «عليه السلام» من الذين أجارتهم أخته أم هاني بنت أبي طالب، حيث أصر على قتلهم، ولم يرض من أخته أن تجيرهم، حتى اشتكته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاءه قبول إجارتها لهم من الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة.

ولكن عثمان ليس فقط لا- يبادر إلى تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ابن أبي سرح، بل هو يخبؤه في بيته، ثم يأتي به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويبدأ في التماس الأمان له، ويعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرة بعد أخرى، ولا يرتدع ولا يتراجع.

حتى اقتنص من النبي «صلى الله عليه وآله» الأمان له على مضض، وبمزيد من المرارة، بل هم ينقلون: أنه «صلى الله عليه وآله» حتى بعد أن أعطاه الأمان قد وصفه ب «الكلب»، وأظهر العتب على من حضره من المسلمين: كيف لا يقتلونه وهم يرون امتناعه عن إعطائه الأمان. .

فما هذه المخالفات الظاهرة من عثمان؟

ولما ذا هذا الإصرار على كسر القرار النبوي بقتل ذلك الكلب على حد تعبير النبي «صلى الله عليه وآله»؟

ولما ذا يريد عثمان الحياة لشخص يريد الله ورسوله له أن يقتل؟

وأي نفع للإسلام وللمسلمين من حياة من يريد الله ورسوله له ذلك؟!

كله صواب:

تقدم قول ابن أبي سرح: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يملئ عليه عزيز حكيم، فيقول ابن أبي سرح: أو عليم حكيم، فيقول له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كل صواب.

ونقول:

قد لا يكون الحكم على هذه الرواية بأنها مكذوبة من الأساس صوابا، لأن قول ابن أبي سرح: أو عليم حكيم، ليس من الأوصاف المكذوبة على الله تعالى، فإنه عزيز، وليم، وحكيم حقا بلا ريب، فيكون قول النبي «صلى الله عليه وآله»: كل صواب، في محله. لأن هذا وذاك مما يصح وصف تعالى الله به.

وليس مقصوده «صلى الله عليه وآله»: تصويب كون هذا جزءا للآية، كصوابية كون ذلك جزءا لها.

أما بالنسبة لرواية الكافي عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما «عليهما السلام» قال: سألته عن قول الله عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ (1). قال نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر وهو من كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا أنزل الله عز وجل: أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . كتب: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، فيقول له رسول الله «صلى الله عليه وآله» : دعها فإن الله عليم حكيم. وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين: إني لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل. -فإن هذه الرواية- لا تنافي ما ذكرناه، فإن المقصود بقوله دعها: هو أن يدع الآية التي أنزلت على ما هي عليه من دون تغيير، فالضمير في قوله دعها يعود إلى الآية الأولى، أي أتركها في مكانها ولا تغير فيها، فإننا نقر أن الله عليم حكيم ولكن ليس هذا موقع كلمة عليم التي تريد أن تستبدل بها كلمة عزيز.

أما إذا كان الضمير يرجع إلى الفقرة التي يريد ابن أبي سرح أن يكتبها، فالمقصود بقوله دعها: أي أتركها وأسقطها، فإن هذا الموقع ليس محلا لها، مع العلم أن الله عليم حكيم بلا ريب.

استأمن له، ثم أتى به:

وأما ما ذكره الحلبي: من أن عثمان استأمن لابن أبي سرح، ثم جاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، فأعرض عنه، فهو:

أولا: كلام متناقض. لأنه إذا كان مقصود عثمان بقوله: قد أمنت، أنه

ص: 64

أخذ له الأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا معنى لأن يعطيه النبي «صلى الله عليه وآله» الأمان، ثم يعرض عنه مرة بعد أخرى.

ثم يقول: نعم، فيبسط يده فيبايعه. ولا يصح أن يطلب عثمان له الأمان من النبي «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، ويصر عليه فيه. .

ثانيا: قد صرحت رواية الواقدي: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما أعرض عنه «إرادة أن يقوم رجل فيضرب عنقه، لأنه لم يؤمنه». .

أين كان علي عليه السلام؟! :

وقد يسأل سائل: لما ذا لم يقم علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فيقتل ابن أبي سرح، حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعرض عنه مرة بعد أخرى؟! فإنه لا شك في أن عليا «عليه السلام» كان أعرف الناس بمرادات رسول الله «صلى الله عليه وآله». .

ويمكن أن يجاب: بأنه لم يثبت أن عليا «عليه السلام» كان حاضرا في ذلك المجلس، ولكن عمر كان حاضرا جزما، حتى زعموا: أنه كان- كأبي اليسر، أو كعباد بن بشر- يتتبع طرف النبي «صلى الله عليه وآله» في كل ناحية، رجاء أن يشير إليه ليضرب عنقه. .

كما أن عثمان الذي يصر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يعطيه الأمان، ولا يبالي بإعراض النبي «صلى الله عليه وآله» عنه مرة بعد أخرى. كان ينبغي أن يبادر إلى تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله» فيه، لا أن يأتي شافعا له إلى حد الإلحاح. .

وملامة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه على عدم مبادرتهم إلى

قتله تدل على أن لزوم قتله كان على درجة من البداهة والوضوح، بحيث صح للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يرجو مبادرتهم إليه، ثم صح له أن يلومهم على عدم إقدامهم عليه. .

الوسطاء لابن أبي سرح:

وذكر عكرمة والحسن البصري: أن الذين سعوا لدى النبي «صلى الله عليه وآله» ليؤمن ابن أبي سرح هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان. وزعموا: أنه هو الذي نزل فيه قوله تعالى **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (1)**. مع أنه هذه الآية قد نزلت في عمار (2)، أو في غيره من الذين فتنوا عن دينهم (3).

ص: 66

-
- 1- الآية 110 من سورة النمل. والرواية في الدر المنثور ج 4 ص 132 و 133 عن ابن جرير، عن عكرمة، والحسن البصري. . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مثله، وراجع: جامع البيان ج 14 ص 240 و سنن النسائي ج 7 ص 107 و الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 192 و فتح القدير ج 3 ص 196 و 198.
 - 2- البرهان ج 2 ص 386 و تفسير القمي ج 1 ص 391 و معاني القرآن للنحاس ج 4 ص 107 و 108 و زاد المسير ج 6 ص 120 و تفسير القرآن العظيم ج 10 ص 192 و التسهيل لعلوم التنزيل ج 2 ص 162 و 163 تنوير المقياس في تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص 231 و فتح القدير ج 4 ص 195 و تفسير الآلوسي ج 14 ص 239 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 621.
 - 3- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 133 عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و البيهقي، و زاد المسير ج 4 ص 363 و تفسير الميزان ج 12 ص 359 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 14.

علما بأن ابن أبي سرح لم يهاجر.

و لم يفتن عن دينه كما جرى لعمار.

و لم يجاهد و لم يصبر.

و إنما افتتن و ارتد.

هذا كله، عدا عن أن هذا يتنافى مع ما أسلفناه، من ادّعائهم أن عمر كان يتتبع طرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» علّه يشير إليه بقتله.

مات و هو ساجد:

و لا ندري ما ذا نقول في رجل يصفه هؤلاء: بأنه من النجباء، الكرماء، العقلاء في قريش. و كان المقدم في بني عامر، و أنه حسن إسلامه، و أنه مات و هو ساجد في صلاة الصبح و . . الخ. ؟! مع أن حياته مليئة بما يدل دلالة واضحة على ضد ذلك، و يكفي أن نشير إلى ما يلي:

إن عثمان و لاه مصر سنة خمس و عشرين، و أعطاه خمس جميع ما أفاءه الله على المسلمين في فتح إفريقية (1)، و الذي بلغ من كثرته أن قالوا: إن سهم الفارس في فتح إفريقية بلغ ثلاثة آلاف مثقال ذهباً، و سهم الراجل

ص: 67

1- راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 26 و 39 و 313 و مناقب أهل البيت للشيرازي ص 362 و النص و الاجتهاد ص 402 و الغدير ج 8 ص 259 و 279 و تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 312 و 384 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 319 و 437 و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 128 و 129 و الكامل في التاريخ ج 3 ص 88 و 91 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 34 و البداية و النهاية ج 7 ص 170 و فتوح مصر و أخبارها للقرشي المصري ص 299.

وقال ابن قتيبة: إن أهل مصر جاؤوا يشكون ابن أبي سرح، عاملهم.

فكتب إليه عثمان يتهدده، فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، و ضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبع مائة إلى عثمان، و دخل معهم علي «عليه السلام» ، فكان مما قاله «عليه السلام» لعثمان: إنما يسألونك رجلا مكان رجل، و قد ادّعوا قبله دما، فاعزله عنهم، و اقض بينهم (2).

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر في قوله تعالى: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (3)، قال: ذاك عمار.

وفي قوله تعالى: وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا (4) قال: عبد الله بن

ص: 68

1- قاموس الرجال ج 5 ص 468 و عون المعبود ج 7 ص 247 و الثقات ج 2 ص 245 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 39 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 38-40 و أسد الغابة ج 3 ص 173 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 36 و الإصابة ج 4 ص 95 و 96 و فتوح مصر و أخبارها ص 313 و تاريخ الإسلام ج 3 ص 319 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 1 ص 129.

2- قاموس الرجال ج 5 ص 467 و الإمامة و السياسة ج 1 ص 36 و 39 و دلائل الصدق ج 3 ق 1 ص 148 عن العقد الفريد ج 3 ص 79 و تاريخ الإسلام ج 3 ص 458.

3- الآية 106 من سورة النحل.

4- الآية 106 من سورة النحل.

5- عبد الله بن الزبيري:

وكان ابن الزبيري يهجو المسلمين، ويحرض عليهم كفار قريش وكان من شعراء العرب، وهو الذي تمثل يزيد «لعنه الله» بأبياته التي قالها في غزوة أحد. وذلك حين جيء إليه برأس الإمام الحسين «عليه السلام» وبالأسارى، فصار ينكت ثنانيا الإمام «عليه السلام» بقضيب كان في يده «لعنه الله».

وكان ابن الزبيري يهجو النبي «صلى الله عليه وآله» أيضا، ويعظم القول فيه، وهو الذي ألقى الفرث والدم عليه الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي، ثم جاء أبو طالب، و سل سيفه، فأمر ذلك الفرث على لحاهم وأسبلتهم (2).

ص: 69

1- قاموس الرجال ج 5 ص 468 وأنساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 106 و الدر المنثور ج 4 ص 132 عن ابن سعد، و البرهان في تفسير القرآن ج 4 ص 386، و تفسير القمي ج 1 ص 390 و تفسير مجمع البيان ج 6 ص 203 و التفسير الأصفي ج 1 ص 664 و التفسير الصافي ج 3 ص 157 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 88 و 90 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 2 ص 239 و تفسير السمرقندي ج 2 ص 293 و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 3 ص 425 و تفسير البحر المحيط ج 5 ص 522 و تفسير الثعالبي ج 3 ص 444 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 36 و ج 43 ص 231 و 374 و 375 و فتح القدير ج 3 ص 198 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 250.

2- البحار ج 18 ص 187، وراجع ج 35 ص 126 عن مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 54 و نور البراهين ج 1 ص 404 و أبو طالب حامي الرسول و ناصره ص 215 و الغدير ج 7 ص 388 و الدر النظيم ص 212 و الكنى والألقاب ج 1 ص 293 و إيمان أبي طالب للأميني ص 80.

وكان أيضا يهجو أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحرض المشركين على قتالهم.

ويوم الفتح سمع أن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه، فهرب إلى نجران وسكنها (1).

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن حسان بن ثابت رماه وهو في نجران ببيت واحد، فما زاد عليه:

لا تعد من رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أجد لنيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلم، وحسن إسلامه (2).

ص: 70

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و حلية الأبرار ج 1 ص 120 والإستيعاب ج 3 ص 902 و الدرر ص 222 و كتاب التوايين ص 117 و شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 77 و ج 18 ص 7 والإصابة ج 4 ص 76 و الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص 412 و أسد الغابة ج 3 ص 159 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 397 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 339 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 250 و البداية والنهاية ج 4 ص 353 و أعيان الشيعة ج 4 ص 78 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 875 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 585 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 250 و 295.

2- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 2 ص 309 و (ط دار الجيل) ج 3 ص 902 و أسد الغابة ج 3 ص 159 و 160 و الإصابة ج 4 ص 76 و الإعلام ج 4 ص 87 و البداية والنهاية ج 4 ص 353 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 397 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 875 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 585 و البحار ج 21 ص 106 و راجع: تفسير مجمع البيان ج 10 ص 472.

وقال الصالحى الشامى وغيره:

فأرسل حسان بن ثابت أبياتا يريد بها ابن الزبيرى:

لا تعد من رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أحد لنيم

بليت قناتك في الحروب فألفيت خواره خوفا ذات وصوم

غضب الإله على الزبيرى و ابنه عذاب سوء في الحياء مقيم (1).

و ذكر ابن إسحاق البيت الأول فقط.

فلما جاء ابن الزبيرى شعر حسان، خرج إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس في أصحابه، فلما نظر إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «هذا ابن الزبيرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام». .

فلما وقف على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله، الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك، وأجلبت عليك، وركبت الفرس والبعر، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران، وأنا أريد أن لا أقر بالإسلام أبدا، ثم أرادني الله منه بخير، وألقاه في قلبي، وحببه إلي. وذكرت ما كنت فيه من الضلالة، واتباع ما لا ينبغي، من حجر يذبح له

ص: 71

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 250 و 251 و المغازي للواقدي ج 2 ص 847 و 848، و الإصابة ج 2 ص 308 و كتاب التوابين ص 117 و تاريخ الطبري ج 2 ص 339 و راجع: البداية و النهاية ج 4 ص 353 و إمتاع السماع ج 13 ص 387 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 875 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 585 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 7.

ويعبد، لا يدري من عبده، ولا من لا يعبد.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا ما كان قبله» (1).

وقال عبد الله حين أسلم:

يا رسول الملوك إن لسانيراتي ما فتقت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن الغيو من مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لريثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثم حيامن لؤي وكلهم مغرور (2)

وقال عبد الله أيضا حين أسلم:

ص: 72

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 251 والمغازي للواقدي ج 2 ص 848، وراجع: أنساب الأشراف ج 1 ص 362 وكتاب التوابين ص 118 وشرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 8 وإمتاع الأسماع ج 13 ص 388.
- 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 250 و 251، وراجع: البحار ج 21 ص 106، عن مجمع البيان ج 10 ص 557 و (ط مؤسسة الأعلمي) ص 734 و ج 6 ص 76 و ج 7 ص 284 و ج 9 ص 190 و البداية والنهاية ج 4 ص 353 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 876 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 585 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 144 و فتح الباري ج 8 ص 446 و التبيان للطوسي ج 8 ص 417 و نور الثقلين ج 5 ص 696 و جامع البيان ج 13 ص 287 و ج 18 ص 253 و تفسير القرطبي ج 13 ص 11 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 208 و 324 و 367 و أسد الغابة ج 3 ص 360 و الإصابة ج 4 ص 76 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 339 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 250.

منع الرقاد بلابل و همومو الليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لا منيفيه فبت كأني محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم

إني لمعتذر إليك من الذيا سديت إذ أنا في الضلال أهيم

أيام تأمرني بأغوى خطة سهم و تأمرني بها مخزوم

و أمد أسباب الردى و يقودني أمر الوشاة و أمرهم مشؤم

فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي و مخطئ هذه محروم

مضت العداوة فانقضت أسبابها و دعت أواصر بيننا و حلوم

فاغفر فدى لك والداي كلاهما زللي فإنك راحم مرحوم

و عليك من علم المليك علامة نور أغر و خاتم مختوم

أعطاك بعد محبة برهانه شرفا و برهان الإله عظيم

و لقد شهدت بأن دينك صادق حق و أنك في العباد جسيم

و الله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم

قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى و أروم ⁽¹⁾

و نقول:

إننا لا نناقش في أن يكون ابن الزبعرى و سواه يمدحون رسول الله «صلى

ص: 73

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 250-252 و كتاب التوايين ص 120 و تفسير القرطبي ج 6 ص 407 و البداية و النهاية ج 4 ص 354 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 586.

اللّٰه عليه وآله» بمثل هذه المدائح، أو بما هو أجل وأعظم منها ولكننا نشك كثيرا في صحة ما يدّعى: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشار إلى وجود نور الإسلام في وجه هؤلاء الذين قضوا عمرهم في حرب هذا الدين، ولم يسلموا إلا بعد أن فقدوا كل أمل بالانتصار عليه، و بعد أن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم، ولم يعودوا يأمنون على حياتهم، حتى من أقرب الناس إليهم.

فإن الاستسلام للأمر الواقع، أو التظاهر بالإسلام شيء، والإسلام الصادق وظهور نوره في الوجه شيء آخر .

6- الحويرث بن نقيدر:

إشارة

قالوا: كان الحويرث بن نقيدر يؤذى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد نخس بزینب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هاجرت إلى المدينة، فأهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه.

فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، سأل عنه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقيل: هو بالبادية.

فأخبر الحويرث أنه يطلب، فتنحى علي «عليه السلام» عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى آخر، فتلقاه علي «عليه السلام» ، فضرب عنقه (1).

ص: 74

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 224 وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 91 و (ط دار المعرفة) ص 38، والبحار ج 21 ص 131، و المغازي للواقدي ج 2 ص 857، و تاريخ الخميس ج 2 ص 92 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 13 و إمتاع السماع ج 1 ص 399 و الإرشاد ج 1 ص 136 و المستجد من الإرشاد ص 78 و فتوح البلدان ج 1 ص 46 و سنن الدارقطني ج 2 ص 263 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 32 و تهذيب الكمال ج 11 ص 114 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 336 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 250 و عيون الأثر ج 2 ص 195 و البداية والنهاية ج 4 ص 341 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 564 و العبر و ديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 44 و كشف الغمة ج 1 ص 218 و نهج الحق و كشف الصدق ص 250.

وقالوا أيضا: كان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة، وأم كلثوم بنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث، فرمى بهما الأرض (1).

وكان (يؤذي) يعظم القول في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينشد الهجاء فيه، ويكثر أذاه وهو بمكة (2).

ص: 75

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225 عن ابن هشام، وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و (ط دار المعرفة) ص 38، و تاريخ الخميس ج 2 ص 92، عن الإكتفاء، و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 868 و البداية والنهاية ج 4 ص 341 و السيرة لابن كثير ج 3 ص 564 و تخريج الأحاديث والآثار ج 3 ص 451.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، عن البلاذري، و السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 250 و تاريخ الإسلام ج 4 ص 184 و الإرشاد ج 1 ص 136 و عيون الأثر ج 2 ص 195 و إحقاق الحق (الأصل) ص 206 و شرح إحقاق الحق ج 32 ص 306 و تخريج الأحاديث والآثار ج 3 ص 452 و الدرر لابن عبد البر ص 220 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 13 و العبر و ديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 44 و أعيان الشيعة ج 1 ص 409 و كشف الغمة ج 1 ص 218 و نهج الحق و كشف الصدق ص 250.

ونقول:

أولاً: إن العباس بن عبد المطلب لم يحمل فاطمة ولا سواها من بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة إلى المدينة، بل كان علي «عليه السلام» هو الحامل للفواطم من مكة يوم الهجرة.

ثانياً: إن أم كلثوم لم تكن بنتا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت ربيبة زوجته من قبل أختها على ما يظهر. . فراجع كتابنا: «بنات النبي أم ربابه»، وكتابنا: «القول الصائب في إثبات الربائب».

ثالثاً: لعل الصحيح هو الرواية التي تقول: إن هذا الرجل كان هو وهبار، وقد نخسا ربيبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسقطت، و أسقطت، حسبما تقدم (1).

أسلوب استدراجي:

وقد لوحظ: أن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»، لم يهاجم ذلك الرجل في بيته. ولعل سبب ذلك:

أولاً: أنه لم يرد أن يفهم بعض قاصري النظر: أنه «عليه السلام» قد

ص: 76

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 92، وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 224، و السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 91، و المغازي للواقدي ج 2 ص 857، و البحار ج 21 ص 131 و نيل الأوطار ج 8 ص 75 و فتح الباري ج 6 ص 104 و نصب الراية ج 4 ص 263 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 120 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 247 و مقدمة فتح الباري ص 288 و تاريخ مدينة دمشق ج 40 ص 526 و الإصابة ج 5 ص 51 و الأنساب ج 4 ص 573 و إمتاع الأسماع ج 5 ص 347 و 348.

نقض قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أغلق بابه فهو آمن، ثم أن يتخذ المغرضون ذلك ذريعة للتشنيع على الإسلام وأهله، و اتهام علي «عليه السلام» بعدم احترام قرار النبي «صلى الله عليه وآله». ثم اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه قد شارك في ذلك، من حيث إنه لم يعترض على علي «عليه السلام» فيما فعله، ولا اتخذ إجراء ضده.

مع أن من البديهي: أن النداء بالأمان لمن أغلق باب داره لا يشمل الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم. .

ثانيا: قد يكون «عليه السلام» أراد أن يتجنب إلحاق أي أذى بالآخرين الذين قد يكونون في ذلك البيت، ولو بمقدار إثارة جو من الرهبة و الخوف لديهم. .

فاتجه صلوات الله وسلامه عليه إلى أسلوب استدرجي، أخرج ذلك المجرم إلى الشارع، وأجرى فيه أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . فقد سأل عنه بنحو أوصل إليه الخبر، بأن ثمة من يبحث عنه، إذ إن من الطبيعي أن يكون بيت الرجل أول هدف للبحث وهو المنطلق، فيفتش البيت أولاً و يسأل عنه ساكنيه، ثم يسأل عنه جيرانه، وربما بعض أهل عشيرته، وأصدقائه. ثم يواصل البحث وفق المعطيات التي توفرت لديه، بسبب هذه الأسئلة الاستقصائية. .

فلما سأل عنه علي «عليه السلام» بادر المطلوب إلى الابتعاد عن هذه النقطة الحساسة، والمقصودة والمرصودة، ليكون أكثر أمنا. وأكثر قدرة على الحركة في الاتجاهات المختلفة فإن ابتعاده عن موطن الخطر. يمكنه من أن يتدبر أمره، وفق ما يتوفر له من معطيات. .

فكان علي «عليه السلام» له بالمرصاد.. و أنزل فيه ما يستحقه من جزاء..

7- هبار بن الأسود:

إشارة

كان هبار بن الأسود شديد الأذى للمسلمين، وعرض لزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هاجرت فنخس بها، أو ضربها بالرمح، فسقطت عن راحلتها، فأسقطت، ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت (1)، فلما كان يوم الفتح، وبلغه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهدر دمه، أعلن بالإسلام، فقبله منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعفا عنه (2).

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «إن لقيتم هبارا هذا فأحرقوه، ثم قال: إنما يعذب بالنار رب النار، إن ظفرت به فاقطعوا يده ورجله، ثم اقتلوه. فلم يوجد يوم الفتح، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه (3).

ص: 78

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، وراجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 857 ونصب الراية ج 4 ص 263 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 247 و مستدرك الحاكم ج 4 ص 44 والإستيعاب ج 4 ص 1854 وقاموس الرجال ج 12 ص 266 والمنتخب من ذيل المذيل ص 2 وأعيان الشيعة ج 7 ص 141 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 194 و عيون الأثر ج 2 ص 196 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 38.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، و السيرة الحلبية ج 3 ص 91 وفتح الباري ج 8 ص 9 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 232.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و 92 و (ط دار المعرفة) ص 39 وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 93 و الإستيعاب ج 4 ص 1536 و تخريج الأحاديث والآثار ج 3 ص 452 و أسد الغابة ج 5 ص 53 و الوافي بالوفيات ج 27 ص 138 و عيون الأثر ج 2 ص 196.

و يذكر: أنه لما أسلم، وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونهم، فذكر ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «سب من سبك» فانتهوا عنه.

وهذا السياق يدل على: أنه أسلم قبل أن يذهب إلى المدينة.

وفي لفظ: ولما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة جاء هبار رافعا صوته، وقال: يا محمد، أنا جئت مقرا بالإسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. واعتذر إليه. أي قال له بعد أن وقف عليه: السلام عليك يا نبي الله، لقد هربت منك في البلاد، فأردت اللحق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صفحك عمن جهل عليك، وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك، وأنقذنا بك من الهلكة، فاصفح عن جهلي، وعما كان مني، فإني مقر بسوء فعلي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا هبار، عفوت عنك، وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام، والإسلام يجب ما قبله.

وقوله: «مهاجرا» فيه، إنه لا هجرة بعد فتح مكة.

إلا أن يقال: هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل إلى آخر (1).

غير أننا نقول:

قال الواقدي: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس بالمدينة في أصحابه، إذ طلع هبار بن الأسود-وكان لسنًا-فقال: يا محمد، سب من سبك، إني جئت مقرا بالإسلام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

ص: 79

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و (ط دار المعرفة) ص 39 و القصة ذكرها الواقدي في مغازيه ج 2 ص 858 و 859 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 93.

له، وأن محمدا عبده ورسوله الخ. .

فقبل منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فخرجت سلمى مولاة النبي «صلى الله عليه وآله» ، فقالت: لا أنعم الله بك عينا، أنت الذي فعلت وفعلت.

فقال: إن الإسلام محا ذلك.

ونهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن سبه والتعرض له (1).

ثم ذكر الواقدي وغيره، عن جبير بن مطعم: إن هبارا أسلم بعد منصرف النبي «صلى الله عليه وآله» من الجعرانة، حين فرغ «صلى الله عليه وآله» من حنين حيث طلع عليه، وهو جالس في مسجده، فأراد بعضهم القيام إليه، فأشار إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن اجلس، فأسلم هبار واعتذر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ، فقبل منه.

وعن الزبير بن العوام: «ما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكر هبارا قط إلا تغيّظ عليه، ولا رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سرية قط إلا قال: إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه، ثم اضربوا عنقه.

فو الله، لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرت به قبل أن يأتي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقتلته.

ثم طلع على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا عنده جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ويقول: سبّ يا محمد من سبّك

ص: 80

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 857 وشرح النهج ج 14 ص 194 و ج 18 ص 14 وقاموس الرجال ج 10 ص 498 و ج 12 ص 287 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 238.

و أؤدي من آذاك، فقد كنت موضعاً في سببك و آذاك، وقد نصرني الله و هداني إلى الإسلام.

قال الزبير: فجعلت أنظر إلى النبي «صلى الله عليه و آله» و إنه ليطأ رأسه استحياء مما يعتذر بهبار، فقال له: قد عفوت عنك، و الإسلام يجب ما قبله.

و كان يسب حتى يبلغ منه فلا ينتصف من أحد.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه و آله» حلمه، و ما يحمل عليه من الأذى، فقال: يا هبار سب من سبك (1).

و نقول:

إن في النصوص المتقدمة مواضع للنظر و التأمل، نذكر منها ما يلي:

ذنب هبار:

لا يصح أن يدخل في وهم أحد: أن النبي «صلى الله عليه و آله» كان يريد التشقي الشخصي بهبار، لأنه قد ارتكب جريمته ضد بعض من يخص رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و ينتسب إليه، و هي زنب التي يدعي البعض: أنها ابنته على الحقيقة، أو بالتربية-كما هو الحق-

فإنه «صلى الله عليه و آله» لا يمكن أن يتخذ مواقفه من هذه المنطلقات، لأنه نبي معصوم. بل هو مسدد و مؤيد، و ما ينطق عن الهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى (2).

ص: 81

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 857 و 859 و كتاب التواهي ص 121 و المنتخب من ذيل المذيل ص 40 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 239.

2- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

كما أن ما فعله هبار كان جرماً عظيماً، بجميع المعايير، فلاحظ ما يلي:

1- إن ما أقدم عليه تجاه زينب كان عملاً عدوانياً، يهدف إلى منع الناس من ممارسة حرياتهم في أمور تعود إليهم وتخصهم.

2- إنه تعدّ على حدود الشرع والدين، وتحد للإرادة الإلهية، وسعي في إبطال الحق، ونصرة الباطل.

3- إنه عدوان على إنسان ضعيف، غير قادر على الدفاع عن نفسه، وهو أمر معيب حتى عند أهل الجاهلية، وعبدة الأصنام أنفسهم.

جراتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقد ادّعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان كلما بعث سرية أمرها بهبار: إن أخذ أن يحرق بالنار، ثم قال: «إنما يعذب بالنار رب النار، قطعوا يديه ورجليه، إن قدرتم عليه، ثم اقتلوه» (1).

ونقول:

أولاً: إن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لا يتردد في أحكامه، ولا يتراجع عنها، بل هو مسدد ومؤيد بالوحي، ولا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. فإنه حين أمر أن يحرق بالنار لم يقل ذلك من عند نفسه؟!

ص: 82

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 857 و 858 و 859 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 93، و السيرة الحلبية ج 3 ص 92 و (ط دار المعرفة) ص 39 و البحار ج 19 ص 352 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 14 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 238 و راجع: مسند أحمد ج 3 ص 494 و كنز العمال ج 5 ص 391 و أسد الغابة ج 2 ص 60 و المنتخب من ذيل المذيل ص 39 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 238.

حاشاه!! . . وإذا كان قد قاله بأمر من الله، فما معنى أن يتراجع عنه، ثم يستدل لصحة تراجمه بقاعدة عامة تقول: لا يعذب بالنار إلا رب النار؟! (1).

ثانيا: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كما يقولون: قد أحرق عبد الله بن سبأ بالنار حين ادّعى ربوبية الإمام «عليه السلام» (2) ولا أحد مثل علي «عليه السلام» يتقيد بأحكام الله، ويلتزم بشرعه تبارك وتعالى.

رابعا: قد أحرق أبو بكر الفجأة السلمي، واسمه أياس بن عبد الله بن عبد ياليل، وكان ذلك هو أحد الأمور الثلاثة التي ندم على فعلها، كما

ص: 83

-
- 1- الوسائل ج 18 باب 5 من أبواب اللواط حديث رقم 1 و الباب رقم 3 من أبواب حد اللواط، الحديث رقم 9 و 5.
 - 2- رجال الكشي (ط كربلاء) ص 99 و 100، و خلاصة الرجال للعلامة ص و قاموس الرجال ج 5 ص 461 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 18 ص 554 و مستدرك الوسائل ج 18 ص 169 و الهداية الكبرى ص 151 و نوادر المعجزات ص 21 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 227 و مدينة المعاجز ج 1 ص 226 و جامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 67 و الغدير ج 3 ص 94 و تأويل مختلف الحديث ص 70 و اختيار معرفة الرجال ج 1 ص 323 و خلاصة القوال ص 371 و التحرير الطاووسي ص 345 و نقد الرجال ج 3 ص 109 و جامع الرواة ج 1 ص 485 و طرائف المقال ج 2 ص 96 و مستدركات علم رجال الحديث ج 5 ص 21 و معجم رجال الحديث ج 11 ص 205 و ميزان الاعتدال ج 2 ص 426 و لسان الميزان ج 3 ص 289 و 290 و أعيان الشيعة ج 1 ص 31 و شرح إحقاق الحق ج 8 ص 646.

1- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 137 و تاريخ الإسلام للذهبي: ج 1 ص 117 و 118، وإثبات الهداة ج 2 ص 359 و 367 و 368، و العقد الفريد ج 4 ص 268، و الايضاح لابن شاذان ص 161، و الإمامة و السياسة ج 1 ص 18، و سير أعلام النبلاء، (سير الخلفاء الراشدين) ص 17، و مجموع الغرائب للكفعمي ص 288، و مروج الذهب ج 1 ص 414، و ج 2 ص 301، و شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج 1 ص 130، و ج 17 ص 168 و 164، و ج 6 ص 51 و ج 2 ص 47 و 46، و ج 20 ص 24 و 17، و ميزان الاعتدال ج 3 ص 109، و ج 2 ص 215، و الإمامة (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه في مكتبة المركز الإسلامي للدراسات في بيروت ص 82. و لسان الميزان ج 4 ص 189، و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 430 و كنز العمال ج 3 ص 125، و ج 5 ص 631 و 632، و الرسائل الإعتقادية (رسالة طريق الإرشاد) ص 470، و 471. و منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 2 ص 171. و المعجم الكبير للطبراني ج 1 ص 62 و ضياء العالمين (مخطوط) ج 2 ق 3 ص 90، و 108، عن العديد من المصادر. و النص و الإجتهد ص 91، و السبعة من السلف ص 16 و 17، و الغدير ج 7 ص 170، و معالم المدرستين ج 2 ص 79، و عن تاريخ ابن عساكر (ترجمة أبي بكر)، و مرآة الزمان. و راجع: زهر الربيع ج 2 ص 124، و أنوار الملكوت ص 227، و بحار الأنوار ج 30، ص 123 و 136 و 138 و 141 و 352، و نفحات اللاهوت ص 79، و حديقة الشيعة ج 2 ص 252، و تشييد المطاعن ج 1 ص 340، و دلائل الصدق ج 3 ق 1 ص 32. و الخصال ج 1 ص 171 و 173، و حياة الصحابة ج 2 ص 24، و الشافي للمرتضى ج 4 ص 137 و 138. و المغني لعبد الجبار ج 20 ق 1 ص 340 و 341. و نهج الحق ص 265، و الأموال لأبي عبيد ص 194 (وإن لم يصرح بها). و مجمع الزوائد ج 5 ص 203، و تلخيص الشافي ج 3 ص 170، و تجريد الإعتقاد لنصير الدين الطوسي ص 402، و كشف المراد ص 403، و مفتاح الباب (أي الباب الحادي عشر) للعربشاهي (تحقيق مهدي محقق)، ص 199، و تقريب المعارف ص 366 و 367، و اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية للمقداد ص 302، و مختصر تاريخ دمشق ج 13 ص 122، و منال الطالب ص 280، و راجع: الكامل لابن الأثير (حوادث سنة 11 هـ) ج 2 ص 146، و الإصابة ج 2 ص 223 و البداية و النهاية ج 6 ص 319، و تاريخ الأمم و الملوك ج 3 (حوادث سنة 11 هـ). و راجع المواقف للإيجي ص 403.

بل كان أبو بكر يأمر سراياه بإحراق المعارضين له فيما عرف بحروب الردة (1). مع أنها حروب اعتراض على خلافته، لا أكثر.

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

قد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب، وفي كتاب: «بنات النبي أم ربائبه»، وكتاب: «القول الصائب في إثبات الربائب»: أن زينب، وأم كلثوم، ورقية، اللواتي كبرن وتزوجن لم تكن بنات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من خديجة. .

ص: 85

1- مختصر السيرة ج 1 ص 269 والإكتفاء ج 3 ص 29 وتفسير غريب ما في الصحيحين ج 1 ص 499 و ج 10 ص 42 و النهاية في غريب الحديث ج 1 ص 371 و التمهيد لابن عبد البر ج 5 ص 316 وفيض القدير ج 6 ص 295 وراجع: الوافي بالوفيات ج 13 ص 162 والغدير ج 7 ص 155 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 240 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 372 و الرياض النضرة ج 2 ص 48 الشرح الكبير ج 10 ص 82 و المغني لابن قدامة ج 9 ص 18 و (ط دار الكتاب العربي) ص 78.

ولكن ذلك لا يمنع من القول: بأنه قد كان للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات يحملن هذه الأسماء بالذات، ولكنهن متن في حال الصغر. .

وإنما توصف هؤلاء بأنهن بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبب أنهن قد عشن في بيته، وتربين عنده. . ويصح أن يطلق على من تربى في بيت رجل: أنها بنت ذلك الرجل. .

أما من كان يصبر على بنوتهن الحقيقية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكذلك الذين ما زالوا يصرون على هذا الرأي، فذلك منهم إما لجهلهم بحقيقة الحال. . إما بسبب عدم تعرضهم للبحث المعمق في هذه المسألة، وإما لأنهم ممن يريدون التقليل من شأن فاطمة الزهراء «عليها السلام»، بإيجاد منافسات لها حسب زعمهم (1). ومنح شرف المصاهرة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لأناس آخرين غير علي «عليه السلام»، ففعل هذا- بزعمه الفاسد، ورأيه الكاسد- يقلل من شأن علي «عليه السلام» ويحط من مقامه ولو شيئاً ما!! . .

موقف الرسول صلى الله عليه وآله من هبار:

ولكن مهما قيل في تعظيم هؤلاء البنات، فإن الزهراء «عليها السلام» تبقى تحلق في عليائها، ولا تدانيها أية امرأة خلقها الله تعالى، بل هي أفضل الخلق كلهم، باستثناء النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» بمقتضى

ص: 86

1- إذ لا- شك في خطئهم في زعمهم هذا، بل يكون وجود بنات تميزت هي عليهن من شأنه أن يظهر فضلها، ومكانتها- لو صح وجود بنات له «صلى الله عليه وآله» غيرها، والحقيقة هي تعذر إثبات ذلك بصورة علمية ومقبولة. .

1- كشف الغمة للأربلي ج 2 ص 100 عن صاحب كتاب الفردوس، و اللعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص 96، و بيت الأحزان للشيخ عباس القمي ص 24، و حياة أمير المؤمنين لمحمدیان ج 1 ص 107، و مجمع النورين للمرندي ص 27 و 43، و تفسير القمي لعلي بن إبراهيم ج 2 ص 338، و الصحيح من السيرة (الطبعة الرابعة) ج 5 ص 273 عن حياة الإمام الحسن للقرشي ج 1 ص 15 و ص 321 عن تلخيص الشافعي ج 2 ص 277، و الأنوار القدسية للشيخ محمد حسين الأصفهاني ص 36 عن المحجة البيضاء ج 4 ص 200، و شرح أصول الكافي للمازندراني ج 7 ص 222، و وسائل الشيعة للحر العاملي ج 20 ص 74 و ج 14 ص 49، و دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري ص 80، و علل الشرائع ج 2 ص 178، و أمالي الصدوق ص 474، و نوادر المعجزات ج 6 ص 84، و تفضيل أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ المفيد ص 32، و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 2 ص 290، و الفصول المهمة للحر العاملي ج 1 ص 408 و ج 3 ص 411، و بحار الأنوار ج 8 ص 6 و ج 43 ص 10 و 107، و شهادة النبي «صلى الله عليه وآله» للشيخ محمود شريف ص 140، و إعلام الوری ج 1 ص 290، و تسلية المجالس و زينة المجالس ج 1 ص 547، و مناظرات في العقائد للشيخ عبد الله محسن ص 268، و الأسرار الفاطمية للشيخ محمد فاضل المسعودي ص 83، و نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ج 1 ص 315، و مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ج 9 ص 126 و 288، و الإمام علي «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص 126 و 334، و مستدرك الإمام الرضا للعطاردي ج 1 ص 241، و الحقائق الناضرة للمحقق البحراني ج 23 ص 108، و التهذيب ج 7 ص 470 ح 90 و ص 475 ح 116، و من لا يحضره الفقيه للصدوق ج 3 ص 393، و الكافي للكليني ج 1 ص 461، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 203 و (ط أخرى) ج 1 ص 225، و الخصال ص 414، و المختصر ص 133 و 136، و بشارة المصطفى ص 328، و إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج 7 ص 1 و 2 و ج 17 ص 35 و ج 19 ص 117 عن عدد من المصادر التالية: مودة القربى للهمداني (ط لاهور) ص 18 و 57، و أهل البيت «عليهم السلام» لتوفيق أبي علم ص 139، و مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص 95، و (ط أخرى) ج 1 ص 66، و الفردوس ج 3 ص 373 و 513، و السيدة الزهراء «عليها السلام» للحاج حسين الشاكري ص 23، و المناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي، و كنوز الحقائق للمناوي (ط بولاق- مصر) ص 133، و ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي ج 2 ص 80 و 244 و 286. لكن أكثر مصادر أهل السنة قد اقتضرت على عبارة لو لا علي لم يكن لفاطمة كفؤ. و لم تذكر كلمة، آدم فمن دونه.

إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دم هبار بن الأسود، والحويث بن نقيدر، لأنهما روّعا زينب، أو لأن الحويث نخس بها الجمل، ف وقعت على الأرض، فماذا سيكون موقفه «صلى الله عليه وآله» ممن ضرب فاطمة «عليها السلام»، وأسقط جنينها، وكسر ضلعها، وتسبب لها بعلتها التي ماتت منها، فكانت صديقة شهيدة كما روي؟! (1).

فهل سوف يكون «صلى الله عليه وآله» راضيا عما فعل بها ذلك؟! أم أنه سيعاقبه، بما يستحقه؟!!

ص: 88

1- الكافي ج 1 ص 458 و جامع أحاديث الشيعة ج 2 ص 473 و منتقى الجمان ج 1 ص 224 و مشرق الشمسين ص 324 و الصراط النجاة ج 3 ص 441 و مسائل علي بن جعفر ص 325 و الحقائق الناضرة ج 3 هامش ص 296.

و هل العقوبة هي مجرد إهدار الدم؟! والأمر بالإحراق بالنار، بعد قطع اليد والرجل -كما زعموا- ثم العفو عنه؟! أم أن الأمر أعظم، والموقف سيكون أشد وأقسى؟!!

سَبَّ من سَبَّك:

ولا نريد أن نبحت كثيرا لاستكشاف قائل كلمة: «سَبَّ من سَبَّك»، هل هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتكون كلمة: «سَبَّ» فعل أمر؟!!

أم هو هبار، وتكون الكلمة «سَبَّ» فعل ماض مبني للمجهول؟!!

ولكننا نريد أن نقول:

إن الأمر بالسَبِّ لا يصدر من النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي يقول -حسبما روي عنه-: لا تسبَّ أحدا. وإن امرؤ سبك بأمر لا يعلمه فيك، فلا تسبه بأمر تعلمه، فيكون لك الأجر، وعليه الوزر (1).

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان، السبَّاب، الطعان على المؤمنين، الفاحش

ص: 89

1- البحار ج 73 ص 355 عن كنز الفوائد للكراچكي ص 95 و مسند أحمد ج 5 ص 64 و سنن أبي داود ج 2 ص 266 و السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 236 و الآحاد و المثنائي ج 2 ص 393 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 487 و المعجم الكبير ج 7 ص 65 و كتاب الدعاء ص 570 و رياض الصالحين ص 384 و العهود المحمدية ص 846 و كنز العمال ج 15 ص 881 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 382 و المنتخب من ذيل المذيل ص 65.

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»: ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل (2).

تقوى هبار؟! :

ثم إن ما تضمنته الروايات المتقدمة: من إشارات إلى تحول هبار من إنسان ساقط في حمأة الجهالات والضلالات، إلى إنسان فاضل، و منضبط، و صابر و متسامح. . حتى لو فرضنا صحته، فليس ثمة ما يوجب الوثوق بكونه يعبر عن تحول حقيقي في شخصية هبار، فإن من القريب جدا أن يكون ذلك سياسة منه، تهدف إلى أن يجد موقعا مناسباً في هذا المجتمع الجديد، الذي أصبح مقهوراً على الإستسلام له، و العيش فيه.

ص: 90

1- البحار ج 65 ص 152 و ج 75 ص 181 عن تحف العقول، و أمالي الصدوق ص 326 و تحف العقول ص 300 و روضة الواعظين ص 370 و مستدرک الوسائل ج 12 ص 82 و مشكاة الأنوار ص 334 و جامع أحاديث الشيعة ج 13 ص 431 و تفسير العياشي ج 1 ص 48 و تفسير مجمع البيان ج 1 ص 286 و تفسير الصافي ج 1 ص 152 و تفسير كنز الدقائق ج 1 ص 287 و تفسير الميزان ج 1 ص 220 و أعيان الشيعة ج 1 ص 658.

2- البحار ج 75 ص 333 عن الدرة الباهرة، و الدرة الباهرة في الأصداف الطاهرة للشهيد الأول ص 7 و أعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمى ص 305 و مستدرک سفينة البحار ج 4 ص 427 و نزهة الناظر و تنبيه الخاطر للحلواني ص 125 و شرح إحقاق الحق ج 19 ص 552.

إننا نظن ظنا قويا: أن يكون ما يزعم من سب المسلمين لهبار أسطورة، نسجها خيال الرواة الذين يريدون التسويق لهبار، وإلا فإن من البعيد جدا أن يتجاهر المسلمون بسبّ الناس، بعد أن نهاهم النبي «صلى الله عليه وآله» عن السب. .

على أنه لو صح ذلك، فإن ما نتوقعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أن يجدد نهيه لهم عن السبّ، وأن يعلن لزوم ارتداعهم عن المنكر، لا أن يأمر بمواجهة المنكر بمثله:

و ممن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم:

8-الحارث بن هشام:

أخو أبي جهل لأبويه. وقد أسلم بعد ذلك [\(1\)](#).

9-زهير بن أمية:

وكان قد استجار بأُم هاني، وأراد علي «عليه السلام» قتله، فأمضى

ص: 91

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 93 و راجع: تنوير الحوالك ص 213 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 283 و ج 10 ص 250 وعمدة القاري ج 20 ص 212 وعون المعبود ج 6 ص 56 و تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ص 360 و 361 و تفسير الثعلبي ج 7 ص 273 و الإكمال في أسماء الرجال ص 54 و الثقات ج 3 ص 72 و تاريخ مديمة دمشق ج 11 ص 471 و 497 و 498 و تهذيب التهذيب ج 2 ص 140 و الوافي بالوفيات ج 11 ص 192 و البداية والنهاية ج 7 ص 107 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 374.

النبي «صلى الله عليه وآله» جوارها، وأسلم زهير بعد ذلك (1).

10- عبد الله بن ربيعة:

ذكره الأزرقى بدل زهير بن أمية (2).

11- زهير بن أبي سلمى (3):

11- زهير بن أبي سلمى (3):

12- مقيس بن صبابه (4):

12- مقيس بن صبابه (4):

ص: 92

-
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 93 و (ط المعرفة) ص 41 و نيل الأوطار ج 8 ص 167 و فتح الباري ج 1 ص 397.
 - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 93 و نيل الأوطار ج 8 ص 167 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 277 و فتح الباري ج 1 ص 297 و شرح النهج للمعتزلي ج 17 ص 277 و نصب الرأية ج 4 ص 247 و تاريخ مدينة دمشق ج 11 ص 495 و تهذيب الكمال ج 5 ص 298 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 59 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 388 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 249.
 - 3- السيرة الحلبية ج 3 ص 82.
 - 4- راجع: قرب الإسناد ص 61 و (ط مؤسسة أهل البيت) ص 130 و الإرشاد ج 1 ص 136 و المستجد من الإرشاد (المجموعة) ص 77 و البحار ج 21 ص 105 و 111 و 131 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 225 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 651 و سنن النسائي ج 7 ص 106 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 205 و مجمع الزوائد ج 6 ص 169 و 173 و فتح الباري ج 8 ص 9 و الإستذكار ج 4 ص 404 و الدرر ص 191 و شرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 15 و كنز العمال ج 10 ص 517 و 528 و 535 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 695 و تفسير البغوي ج 1 ص 464 و زاد المسير ج 2 ص 173 و تفسير العز بن عبد السلام ص 344 و التسهيل لعلوم التنزيل ج 1 ص 153 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 338 و لباب النقول ص 77 و أضواء البيان ج 2 ص 72 و قاموس الرجال ج 10 ص 404 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 33 و ج 41 ص 58 و ج 59 ص 168 و أسد الغابة ج 4 ص 5 و ج 5 ص 42 و 62 و تهذيب الكمال ج 11 ص 114 و الإصابة ج 2 ص 477 و ج 6 ص 373 و الأعلام ج 7 ص 283 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 336 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 553 و البداية و النهاية ج 4 ص 179 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 44 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 204 و ج 13 ص 110 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 583 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 868 و إعلام الوری ج 1 ص 223 و عيون الأثر ج 2 ص 196 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 298.

كان أسلم، ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله، و كان الأنصاري قتل أخاه هشاما خطأ في غزوة ذي قرد، ظنه من العدو، فجاء مقيس، فأخذ الدية، ثم قتل الأنصاري، ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح (1).

وقد قتله بعد أن أخبروه: بأنه مع جماعة يشربون الخمر، فذهب إليه، فقتله بر دم بني جمح، وقيل: قتل وهو متعلق بأستار الكعبة (2).

ويقال: خرج وهو ثمل فيما بين الصفا والمروة، فرآه المسلمون، فضربوه بأسيا فهم حتى قتلوه (3).

ص: 93

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، والسيرة الحلبية ج 3 ص 81 و 91، و تاريخ الخميس ج 2 ص 93 و راجع مصادر الهامش السابق.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 91 و (ط دار المعرفة) ص 38، و تاريخ الخميس ج 2 ص 93.

3- المغازي ج 2 ص 861 و الأعلام للزركلي ج 7 ص 283 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

13- الحويرث بن الطلائع الخزاعي:

كان يؤذي النبي «صلى الله عليه وآله»، قتله علي «عليه السلام» ذكره أبو معشر (1).

14- كعب بن زهير:

وهو الشاعر الذي كان يهجو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاء بعد ذلك فأسلم، ومدحه بقصيدة بانت سعاد. ذكره الحاكم (2).

15- وحشي بن حرب:

و تقدم شأنه: في غزوة أحد، وفي فتح مكة. هرب إلى الطائف، فلما أسلم أهلها جاء مع وفد هم فأسلم (3).

ص: 94

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و راجع: نيل الأوطار ج 8 ص 172 و ج 12 ص 70 و فتح الباري ج 8 ص 10.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 82 و 94 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و نيل الأوطار ج 8 ص 172 و فتح الباري ج 8 ص 10 و البداية والنهاية ج 4 ص 424 و 428 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 579 و الآحاد و المثاني ج 5 ص 168 و أسد الغابة ج 4 ص 240 و الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص 538 و الإصابة ج 5 ص 443 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 705.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، و السيرة الحلبية ج 3 ص 94، و المغازي للواقدي ج 2 ص 863، و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 250 و راجع: مجمع الزوائد ج 7 ص 101 و المعجم الكبير ج 22 ص 136 و تفسير الميزان ج 4 ص 381 و زاد المسير ج 6 ص 24 و قاموس الرجال ج 10 ص 226 و تاريخ مدينة دمشق ج 62 ص 405 و الوافي بالوفيات ج 27 ص 253 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: غيب عني وجهك (1).

16- هيرة بن أبي وهب:

زوج أم هاني يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أهدر أيضا دمه (2).

17- سارة:

مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت مغنية

ص: 95

-
- 1- المغازي للواقدي ج 2 ص 863، و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و شرح الأخبار ج 1 ص 269 و ج 10 ص 111 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 98 و مسند أبي داود الطيالسي ص 186 و الآحاد و المثاني ج 1 ص 362 و المعجم الكبير ج 3 ص 148 و الدرجات الرفيعة ص 68 و قاموس الرجال ج 10 ص 426 و الكامل ج 6 ص 112 و تاريخ مدينة دمشق ج 62 ص 405 و 407 و 409 و 411 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 176 و الأعلام ج 8 ص 111 و البداية و النهاية ج 4 ص 21 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 312 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 592 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 37 و سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 217 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 538 و شرح إحقاق الحق ج 7 ص 416.
 - 2- شرح معاني الآثار ج 3 ص 331 و شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 78 و شجرة طوبى ج 2 ص 305.

نواحة بمكة (1)، وكانت قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الفتح، وطلبت منه الصلة وشكت الحاجة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما كان في غنائك ما يغنيك»؟

فقلت: إن قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأقر لها بغيرا طعاما، فرجعت إلى قريش.

وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتغني به. وهي التي وجد معها كتاب حاطب ابن أبي بلتعة.

وقالوا: استؤمن لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمنها، فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب، أو إلى خلافة أبي بكر (2).

وقال الواقدي: «أمر بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح أن

ص: 96

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225 وقرب الإسناد ص 61 والإصابة ج 8 ص 398 والبحار ج 21 ص 111 وفيه: قرسا وأم سارة، و كانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبي «صلى الله عليه وآله» وتحضضان يوم أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225، والسيرة الحلبية ج 3 ص 75 و 81 و 93، و (ط دار المعرفة) ص 22 و راجع: البحار ج 21 ص 93 و 94 و 111 عن مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270، والمغازي للواقدي ج 2 ص 860، و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 و 78 وأعيان الشيعة ج 1 ص 276 وفتح الباري ج 8 ص 10 وعمدة القاري ج 17 ص 274 و الدرر ص 220 و تخريج الأحاديث والآثار ج 3 ص 453 و تفسير البغوي ج 4 ص 540 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 336 و عيون الأثر ج 2 ص 196.

تقتل، فقتلت يومئذ» (1).

18-أرنب مولاة ابن خطل.

19-فرتنى:

أوقرينا.

20-قريبة:

ضد بعيدة. ويقال: هي أرنب السابقة.

وهما قنيتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء النبي «صلى الله عليه وآله»، فاستؤمن لإحدهما-فأسلمت-وقتل الأخرى، قتلها علي «عليه السلام» (2).

وذكر عن ابن إسحاق: أن فرتنى هي التي أسلمت، وأن قريبة قتلت (3).

21-أم سعد:

قتلت فيما ذكره ابن إسحاق.

ص: 97

-
- 1- المغازي للواقدي ج 2 ص 860 وشرح النهج للمعتزلي ج 18 ص 16.
 - 2- البحار ج 21 ص 131، والإرشاد ج 1 ص 136 والمستجد من الإرشاد ص 77 و تاريخ مدينة دمشق ج 29 ص 32 و تاريخ الخميس ج 2 ص 94: أما قريبة فقتلت مصلوبة.
 - 3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225 و 226 و السيرة الحلبية ج 3 ص 94 وراجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 860 وفتح الباري ج 8 ص 10 والإصابة ج 8 ص 279 و البداية و النهاية ج 4 ص 340 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

و يحتمل-كما قال الحافظ:- أن تكون أرنب، وأم سعد القينتين. واختلف في اسمهما باعتبار الكنية واللقب (1).

22- هند بنت عتبة:

إشارة

وهي التي شقت عن كبد حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولاكت قلبه (2).

ص: 98

- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 226 وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 95 وفتح الباري ج 8 ص 10.
- 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 225 و السيرة الحلبية ج 3 ص 94 و تاريخ الخميس ج 2 ص 94 وافتحجاج ج 1 ص 265 و سيرة ابن إسحاق ج 3 ص 312 والبحار ج 20 ص 55 و شجرة طوبى ج 2 ص 283 ونهج السعادة ج 3 ص 161 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 607 وفتح الباري ج 7 ص 272 وعمدة القاري ج 17 ص 143 و البداية و النهاية ج 4 ص 42 و شرح النهج للمعتزلي ج 15 ص 12 و 237 و تفسير القمي ج 1 ص 117 و عيون الأثر ج 1 ص 224 و تفسير مجمع البيان ج 2 ص 378 و التفسير الصافي ج 1 ص 376 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 407 و النزاع و التخاصم ص 38 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 386 و تفسير كنز الدقائق ج 2 ص 214 و تفسير الثعلبي ج 3 ص 146 و تفسير القرطبي ج 4 ص 187 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 166 و النصائح الكافية ص 112 و تقوية الإيمان ص 69 و الأنوار العلوية ص 185 و إحقاق الحق (الأصل) ص 266 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 204 و الدرجات الرفيعة ص 67 و قاموس الرجال ج 12 ص 349 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 12 و الثقات ج 1 ص 230 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 141 و شيخ المضيرة أبو هريرة ص 160 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 159 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 215.

عن هند بنت عتبة، وهي تذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتقول: أنا عاديته كل العداوة، وفعلت يوم أحد ما فعلت من المثلة بعمه وأصحابه، وكلما سیرت قريش مسيرة فأنا معها بنفسى أو معينة لقريش، حتى إن كنت لأعين كل من غزا إلى محمد، حتى تجردت من ثيابي، فرأيت في النوم ثلاث ليال ولاء بعد فتح مكة:

رأيت كأني في ظلمة لا أبصر سهلا ولا جبلا، وأرى تلك الظلمة انفرجت علي بضوء كأنه الشمس، وإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوني.

ثم رأيت في الليلة الثانية: كأني على طريق يدعوني، وإذا هبل عن يميني يدعوني، وإذا إساف عن شمالي يدعوني، وإذا برسول الله «صلى الله عليه وآله» بين يدي يقول: «هلمي إلى الطريق».

ثم رأيت في الليلة الثالثة: كأني واقفة على شفير جهنم، يريدون أن يدفعوني فيها، وإذا بهبل يقول: أدخلوها. فالتفت، فأنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ورائي أخذ بثيابي، فتباعدت من شفير النار، فلا أرى النار، ففرعت (1).

فقلت: ما هذا؟ وقد تبين لي، فغدوت من ساعتى إلى صنم في بيت كنا

ص: 99

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 254 و 255 عن الواقدي، وراجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 871 و مسند عمر بن عبد العزيز ص 180 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 177.

نجعل عليه منديلا، فأخذت قدوما، فجعلت أفلذه و أقول: طالما كنا منك في غرور، وأسلمت (1).

وعن عبد الله بن الزبير: أن هندا أتت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بالأبطح، فأسلمت، وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رحمتك يا محمد، إني امرأة مؤمنة بالله، مصدقة به.

ثم كشفت عن نقابها، فقالت: أنا هند بنت عتبة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحبا بك» .

فقالت: يا رسول الله، والله، ما كان على وجه الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من خبائك (2).

ص: 100

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 255، والسيرة الحلبية ج 3 ص 303 و (ط دار المعرفة) ص 57 و تاريخ الخميس ج 2 ص 89 و مسند عمر بن عبد العزيز ص 180 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 237 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 184 و الأعلام ج 8 ص 98 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 6.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 255 و السيرة الحلبية ج 3 ص 96. و راجع ص 94، و المغازي للواقدي ج 2 ص 850 و راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج 5 ص 100 و عن البخاري ج 7 ص 175 (3825) و (ط دار الفكر) ج 7 ص 220 و ج 8 ص 109 و صحيح مسلم ج 5 ص 130 و راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 66 و ج 10 ص 270 و شرح مسلم للنووي ج 12 ص 9 و فتح الباري ج 9 ص 444 و عمدة القاري ج 23 ص 173 و ج 24 ص 235 و مسند الشاميين ج 4 ص 191 و كتاب التوايين ص 123 و تغليق التعليق ج 4 ص 81 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 237 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 179 و 183 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 506 و البداية و النهاية ج 4 ص 365 و ج 7 ص 60 و ج 8 ص 137 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 163 و 389 و 390 و السيرة النبوة لابن كثير ج 3 ص 604.

وعن أبي حصين الهذلي قال: لما أسلمت هند بنت عتبة، أرسلت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهدية-وهو بالأبطح-مع مولاة لها بجديين مرضوفين وقد (1)، فانتهدت الجارية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» - فدخلت عليه وهو «صلى الله عليه وآله» بين نسائه، أم سلمة وميمونة، ونساء من بني عبد المطلب-فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك هذه الهدية، وهي تعتذر إليك، و تقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر والدتها» .

و كانت المولاة تقول: لقد رأينا من كثرة غنمنا والدتها ما لم نكن نرى قبل ولا قريبا، فتقول هند: هذا بدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبركته.

ثم تقول: لقد كنت أرى في النوم: أني في الشمس أبدا قائمة، والظل مني قريب لا أقدر عليه، فلما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأيت كأنني دخلت الظل (2).

ص: 101

1- المرضوف: الذي يشوى على الرضف، وهو الحجارة المحماة بالنار. والقَدَّ: جلد السخلة.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 255، والمغازي للواقدي ج 2 ص 868 و 869، وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 97 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 184 و إمتاع الأسماع ج 5 ص 283.

تعقيب غير ضروري:

ونحسب: أن من غير الضروري لفت نظر القارئ إلى هذه التلمقات الباردة، و الخيالات الركيكة التي أتحدثنا بها هند بنت عتبة، سعيها منها للسخرية بعقول الناس، وإقناعهم عن طريق بهرجة الكلام تارة، والإستناد إلى أضغاث الأحلام، و ما تنسجه الأوهام، بزعم: أنه منام أخرى، لإقناعهم بأنها: قد أخلصت الولاء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، و أنها صادقة فيما تنمقه من ثناء عليه، و ما تزوفه من تزلقات له.

و اللافت هنا: أن رواية هذه الأخبار عنها هم: الأمويون تارة. و الزبيريون أخرى. و من يحب هؤلاء و يواليهم، ثالثة.

فاقرأ و اعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً.

و حسب هند: أنها حين بايع النبي «صلى الله عليه وآله» النساء كانت لا تزال تخشى من أن يعرفها النبي «صلى الله عليه وآله»، فيطالبها، أو يؤاخذها بما فعلته بحمزة. .

وقد أطلقت في تلك البيعة تعريضات قارصة، و عبارات جارحة، تتضمن الاتهام له، بل و السخرية به «صلى الله عليه وآله»، حسبما أشرنا إليه في ذلك المورد، و قد تغاضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك كله، رغم أنه كان قد اهدر دمها، ثم عفا عنها.

هند. . و أموال زوجها البخيل:

عن عائشة: أن هنداً بنت عتبة يوم الفتح، قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مسيئ، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟

فقال لها: «لا حرج عليك أن تطعميهم بالمعروف» (1).

وفي نص آخر: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت من ماله وهو لا يعلم.

قال: «خذي ما يكفيك وولئك بالمعروف» (2).

ص: 103

1- سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 431 و ج 5 ص 258 عن البخاري، و مسلم. وأشار في هامشه إلى: البخاري ج 9 ص 507 ح 364 و مسلم ج 3 ص 1338 و ج 7 ص 1714، وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 97 و (ط دار المعرفة) ص 47 و سبل السلام ج 3 ص 219 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 3 ص 102 و ج 8 ص 109 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 67 و فتح الباري ج 9 ص 445 و عمدة القاري ج 13 ص 7 و ج 24 ص 235 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 561 و مسند الشاميين ج 4 ص 191 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 13 ص 136 و 390.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 97 و (ط دار المعرفة) ص 47 الخلاف الشيخ الطوسي ج 4 ص 160 و ج 6 ص 355 و المبسوط للشيخ الطوسي ج 6 ص 3 و جامع الخلاف والوفاء ص 381 و رسائل الشهيد الثاني (ط ق) ص 300 و كفاية الأحكام للسبزواري ج 1 ص 437 كشف اللثام (ط ج) ج 7 ص 593 و كشف اللثام (ط ج) ج 10 ص 586 و (ط ق) ج 2 ص 114 و 422 و الحقائق الناضرة ج 18 ص 161 و رياض المسائل ج 13 ص 166 و 181 و جواهر الكلام ج 31 ص 302 و ج 41 ص 492 و بلغة الفقيه للسيد محمد بحر العلوم ج 3 ص 283 و العروة الوثقى للسيد اليزدي ج 6 ص 478 و كتاب الأم للشافعي ج 5 ص 93 و 94 و 108 و 114 و مختصر المزني ص 230 و المجموع للنووي ج 18 ص 294 و 300 و ج 20 ص 204 و المبسوط للرخسي ج 17 ص 39 و حاشية رد المحتار لابن عابدين ج 6 ص 730 و المغني لابن قدامة ج 9 ص 229 و 239 و ج 11 ص 400 و ص 485 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 9 ص 229 و 270 و ج 11 ص 424 و 456 و 463 و 464 و كشف القناع للبهوتي ص 563 و ج 6 ص 449 و المحلى لابن حزم ج 10 ص 92 و ج 11 ص 349 و جواهر العقود للأسيوطي ج 2 ص 170 و نيل الأوطار للشوكاني ج 7 ص 131 و فقه السنة ج 2 ص 170 و 174 و 412 و القواعد الفقهية للجنوري ج 3 ص 95 و البحار الأنوار ج 72 ص 232 و كتاب المسند للشافعي ص 266 و 288 و مسند أحمد ج 6 ص 39 و 50 و 206 و سنن الدارمي ج 2 ص 159 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 6 ص 193 و ج 8 ص 116 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 769 و سنن النسائي ج 8 ص 247 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 466 و 477 و ج 10 ص 270 و فتح الباري ج 9 ص 445 و 446 و عمدة القاري العيني ج 21 ص 21 و ج 24 ص 255 و مسند الحميدي ج 1 ص 118 و المصنف لابن أبي شيبة ج 5 ص 244 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 224 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 378 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 98 و المنتقى من السنن المسندة ص 256 و صحيح ابن حبان ج 10 ص 68 و معرفة السنن والآثار للبيهقي ج 6 ص 101 و 116 و ج 7 ص 369 و 482 و رياض الصالحين للنووي ص 603 و تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج 2 ص 225 و نصب الراية للزيلعي ج 3 ص 556 و أحكام القرآن لابن العربي ج 3 ص 71 و تفسير القرطبي ج 3 ص 163 و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبى ج 4 ص 116 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 237 و تاريخ مدينة دمشق ج 23 ص 471 و ج 70 ص 166 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 298 و أعيان الشيعة ج 1 ص 277 و جامع السعادات للنراقي ج 2 ص 239.

ونقول:

ص: 104

لا ندري إن كانت هند التي تضرب أبا سفيان برجلها، حين عاد من المدينة، و تطلب من قريش: أن تتخذ منه موقفا سلبيا، و تستخدم عبارات قاسية في حديثها عنه، و تحريضها عليه!!

نعم. . لا ندري إن كانت تهتم لمعرفة مشروعية أخذها من ماله، ما يسد خلتها هي والعيال. . أم أنها تعبث، و تتماجن، و تسخر!!

فإن من الواضح: أن الإجابة على السؤال الذي طرحته بديهية لدى أجهل الناس، و أشدهم سذاجة، إذ أي إنسان يجهل: أنه يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها البخيل لتطعم أولادها، مع العلم: بأن مسؤولية أطفالهم تقع على عاتق نفس ذلك الزوج البخيل!! .

عن سهيل بن عمرو قال: لما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة وظهر، افتحمت بيتي، وأغلقت بابي عليّ، وأرسلت إلى ابني عبد الله: أن اطلب لي جوارا من محمد، فإنني لا آمن أن أقتل.

(ثم صار يتذكر أفعاله السيئة تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: في بدر وأحد والحديبية).

فذهب عبد الله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله! أبي تؤمنه؟

قال: «نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر».

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمن حوله: «من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد إليه النظر، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن بنافع له».

فخرج ابنه عبد الله إلى أبيه، فأخبره بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال سهيل: كان والله برا صغيرا، برا كبيرا.

فكان سهيل يقبل ويدبر آمنا. وخرج إلى حنين مع رسول الله «صلى الله

عليه وآله» وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة (1).

ونقول:

إن علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار أمرين هما:

1- سبب تعظيم سهيل بن عمرو !! :

إنهم قد عظموا سهيل بن عمرو ما ليس فيه، وأطروه بما لا يستحقه، ولعل سبب هذا الكرم منهم عليه هو أنه حين ندم الأنصار على بيعتهم لأبي بكر، هتفوا باسم علي «عليه السلام»، فقام سهل بن عمرو، فقال:

«يا معشر قريش، إن هؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار، وأثنى عليهم في القرآن، فلهم بذلك حظ عظيم، وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعلي في بيته لو شاء لردهم، فادعوه إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إنى لأرجو الله أن ينصركم عليهم، كما نصرتم بهم» .

وقد رد عليهم الأنصار على لسان ثابت بن قيس، حيث قال: «يا معشر الأنصار، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأما إذا كان من أهل الدنيا، لاسيما من أقوام كلهم موتور، فلا يكبرن عليكم، إنما

ص: 110

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 249 و 250 عن الواقدي، و السيرة الحلبية ج 3 ص 102 و (ط دار المعرفة) ص 65 و المغازي للواقدي ج 2 ص 847 و 848 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 281 و شرح البلاغة للمعتزلي ج 17 ص 284 و كنز العمال ج 10 ص 503 و الطبقات الكبرى ج 7 ص 404 و تهذيب الأحكام ج 4 ص 233 و الوافي بالوفيات ج 16 ص 18 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 387.

الرأي والقول مع الأخيار المهاجرين، فإن تكلمت رجال قريش، (و)الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذلك قولوا ما أحببتهم، و إلا فأمسكوا» (1).

2- ليس هذا مدحا لسهيل بن عمرو:

و أما نهى النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: عن أن يحدوا النظر لسهيل بن عمرو، فهو وإن كان هناك من يريد أن يعتبره مدحا لهذا الرجل. ولكن اعتباره قدحا لعله هو الأقرب والأصوب. . إذا لوحظ فيه أمران:

أحدهما: أن هذا الرجل وإن كان ذا عقل وشرف، ولكنه لا ينقاد لعقله، ولا يختار ما يحفظ له شرفه ومكانته، بل هو يختار ما يتوافق مع نزواته وأهوائه، وحميته الجاهلية، فإذا وجد الناس يحدون النظر إليه، فإنه قد ينكص على عقبيه، ويتخذ سبيل المكابرة، والتحدي والحجود. .

ثانيهما: إن من يكون ذا عقل راجح، و ذا شرف، فإنه يستخدم عقله لحفظ شرفه، فإذا استخدم عقله لإذهاب هذا الشرف، فمعنى ذلك: أنه يفقد عنصرا ثالثا كان بحاجة إليه، ألا وهو عنصر الأخلاق الإنسانية الفاضلة، التي تبعده عن الإستكبار وعن الجحود، وعن العصبية القبلية والجاهلية. . وأن يكون حكيما، ومنصفا، ومتواضعا. فإن ذلك يسهل عليه قبول الحق، ورفض الباطل. . ويدعوه إلى أن لا يتأخر في الدخول إلى

ص: 111

1- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 23 و 24 و مواقف الشيعة ج 3 ص 162.

الإسلام. ولكن سهيلا بسبب فقدته لهذا العنصر الهام قد كابر، و جحد، و تعامى عن الآيات و المعجزات طيلة هذه السنين، بل إنه حتى حين أظهر الإسلام، فإنما انصاع إلى ذلك بداعي الخوف، و ليس استجابة لما يحكم به عقله، و تقتضي به فطرته. .

و لأجل ذلك كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» يتألفه على الإسلام كغيره من المؤلفلة قلوبهم، ليقتنعه: بأن الإسلام لا يريد له ضرا، و لا يبغى له شرا، بل هو يريد: أن يسوق إليه المنافع، و يحفظ له مصالحه في دائرة الحق، و الصدق، و الإستقامة، و العدل. .

و من الواضح: أن نبذ أحكام العقل، و الإنقياد لسلطان الهوى و الإصرار على الجحود بسبب فقد الخلق الإنساني لا يمكن أن يعد فضيلة للإنسان العادي، فكيف بمن كان ذا عقل و شرف؟! .

كما أن من يكابر و يعاند الحق، فإنما يعاند عقله، و يتناقض مع ذاته. .

و النتيجة التي تنتهي إليها هي: أن العقل و الشرف لا- يفيدان، إذا لم يملك الإنسان خلقا إنسانيا رفيعا يدعوه للإلتزام بأحكام عقله، و بمقتضيات فطرته. .

و إبليس لم يكن ينقصه عقل، و لا معرفة، و لا مكانة، فهو يعبد الله بين الملائكة، ولكنه كان ينقصه الخلق الرفيع، فإن رذالة أخلاقه هي التي جعلته في حظيرة الإبلسية الشيطانية، لأنها عطلت عقله، و حجبته عن ممارسة دوره.

عن ابن عباس، عن أبيه قال: لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة في الفتح، قال لي: «أين ابنا أخيك عتبة و معتب ابني أبي لهب. لا أراهما» ؟

قلت: تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش.

قال: «اتنني بهما» .

فركبت إليهما بعرة، فأتيت بهما، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلما وبايعا.

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخذ بأيديهما، وانطلق بهما حتى أتى الملتزم، فدعا ساعة ثم انصرف، والسرور يرى في وجهه.

فقلت: يا رسول الله، شرك الله، إني أرى السرور في وجهك، فقال: «إني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي» (1).

ونقول:

أولا: قال العسقلاني عن إسناد هذا الحديث: إنه ضعيف.

ثانيا: إن عتبة بن أبي لهب قد افترسه الأسد قبل الهجرة، بسبب دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» (2).

ص: 113

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 250، عن ابن سعد، والسيرة الحلبية ج 3 ص 97 و (ط دار المعرفة) ص 48 والإصابة ج 2 ص 455 و 456 و ج 3 ص 443 و (ط دار الكتب العلمية) ج 4 ص 365 و ج 6 ص 138 و كنز العمال ج 11 ص 737 و الطبقات الكبرى ج 4 ص 60 و ج 22 ص 202 و ج 62 ص 81 و 259 و المنتخب من ذيل المذيل ص 32.
 - 2- البحار ج 16 ص 309 و ج 17 ص 412 و ج 18 ص 57 و 58 و 241 و ج 62 ص 81 و الغدير ج 1 ص 261 و تخريج الأديث و الآثار ج 1 ص 378 و ج 3 ص 377 و الكشف للزمخشري ج 4 ص 22 و شرح شواهد الكشف ص 453 و سفينة البحار ج 6 ص 136 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 71 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 3 ص 533 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 269 و الدر المنثور ج 6 ص 121 و الإصابة ج 6 ص 413 و الدرجات الرفيعة ص 192 و المعارف ص 125 و الإستغاثة ج 1 ص 65 و عيون الأثر ج 2 ص 373 و مستند الشيعة ج 15 ص 304 و سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 216 و مواهب الجليل ج 1 ص 258 و سبل السلام ج 2 ص 195 و نيل الأوطار ج 5 ص 98 و ذخائر العقبى ص 164 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 211 و فتح الباري ج 4 ص 34 و عمدة القاري ج 10 ص 81 و الذرية الطاهر النبوية ص 85 و الخرائج والجرائح ج 1 ص 56 و 57 و ج 2 ص 521 و 526 و تصحيقات المحدثين ج 2 ص 708 و الإستذكار ج 4 ص 152 و كنز العمال ج 12 ص 439 و الفائق في غريب الحديث ج 2 ص 285 و ج 3 ص 30 و الفتح السماوي ج 2 ص 548 و فيض القدير ج 3 ص 604 و 607 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 287 و نور الثقلين ج 5 ص 146 و تفسير السمعاني ج 6 ص 158 و تفسير النسفي ج 1 ص 270 و تفسير الرازي ج 11 ص 143 و ج 32 ص 167 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 444 و تفسير ابن السعود ج 3 ص 8 و 9 ص 210 و تفسير الآلوسي ج 6 ص 63 و ج 15 ص 225 و ج 30 ص 262 و أضواء البيان

ج 1 ص 436 و أسد الغابة ج 4 ص 363 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 481 و إعلام الوری ج 1 ص 276 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 468 و الخصائص الفاطمية ج 1 ص 457 و معجم ما استعجم ج 2 ص 696 و شرح المقاصد في علم الكلام ج 2 ص 188 و دلائل النبوة ج 2 ص 338 و 339 بثلاثة طرق، وراجع: إثبات الهداة ج 2 ص 122.

ثالثاً: رَوَوْا: أَنَّ النَّبِيَّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» دَخَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ بَيْنَ عَتَبَةٍ

ص: 114

و معتب ابني أبي لهب، يقول للناس: هذان أخواي، و ابنا عمي -فرحا بإسلامهما- استوتهبهما من الله، فوهبهما لي (1).

قال العسقلاني: و يجمع: بأنه دخل المسجد بينهما، بعد أن أحضرهما العباس (2).

غير أن ما قاله العسقلاني لا يحل مشكلة التناقض بين حديث دخوله «صلى الله عليه وآله» المسجد، و حديث مجيئه «صلى الله عليه وآله» للملتزم، و بين الحديث المتقدم، لأن حديث المجيء للملتزم يدل على: أن استيهابهما من الله قد حصل بعد دخوله المسجد، و هما معه. .

و هذا الحديث الأخير يدل على: أن استيهابهما من الله قد حصل قبل دخوله المسجد. .

على أن ثمة أسئلة أخرى تبقى بحاجة إلى جواب، مثل السؤال عن السبب في هذا الإهتمام بهذين الرجلين دون سواهما، حيث لم يذهب «صلى الله عليه وآله» بأحد إلى الملتزم ليستوبه من ربه؟ !

و سؤال آخر، و هو: ما معنى هذا الإستهاب؟ !

فإن كان بمعنى: أن يخرجهما الله من الشرك إلى الإسلام، و غفران ذنوبهما التي ارتكباها في زمان شركهما، فيرد عليه:

أن المفروض هو: أنهما قد أسلما قبل هذا الإستهاب. . حسب نص الرواية عن العباس.

ص: 115

1- الإصابة ج 3 ص 443 عن الطبراني.

2- الإصابة ج 3 ص 443.

وإن كان بمعنى: أن يغفر الله تعالى لهما ذنوبها التي يرتكبانهما بعد إسلامهما أيضا، ثم يدخلهما الله تعالى الجنة. . وإن كانا من أهل النار، لولا هذا الإستهاب. . فيرد عليه:

أن هذا غير مقبول ولا معقول؛ إذ لما ذا لا يستوهب غيرهما من سائر أهل النار أيضا؟ !

كما أن ذلك يدخل في دائرة الإغراء بالمعاصي، أو على الأقل يدعو إلى عدم الإهتمام بتجنبها!!

وفي جميع الأحوال، لا بد من وجود أمر، أو ميزة في هذين الرجلين، يستحقان هذا العطاء العظيم لأجلها. .

ولا بد أن تكون خصوصية غير عادية، وأن تكون ظاهرة فيهما بحيث يعرفها فيهما كل أحد، وأن يدرك الناس كلهم أنها توجب هذا التكريم والتعظيم. .

وبدون ذلك يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرض الناس لخطر الكفر والخروج من الدين، فيما لو ظنوا فيه «صلى الله عليه وآله»: أنه لا يقيم العدل، ولا يلتزم بمقتضيات الفطرة، وأحكام العقل.

ونحن لا نعرف، وكذلك لا نظن: أن أحدا من البشر يعرف في أبناء أبي لهب أية خصوصية تستحق الذكر، فضلا عن أن تكون من موجبات هذا العطاء الهائل، الذي لم يفز به غيرهما، رغم أنهما بقيا على عنادهما وعلى جحودهما وعلى حربهما له ولدينه كل تلك السنين. .

عن مجاهد عن السائب: أنه كان شارك رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح أتاه، فقال:

«مرحبا بأخي وشريكي، كان لا يداري ولا يماري، يا سائب! لقد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك وهي اليوم تتقبل منك» و كان ذا سلف وخلة (1).

وعن السائب بن عبد الله، قال: جيء بي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة، فجعل عثمان وغيره يشنون عليّ، فقال رسول الله: «لا تعلموني به، كان صاحبي» (2).

ص: 117

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 249 و ج 9 ص 16 عن أحمد، وابن أبي شيبة، والسيرة الحلبية ج 3 ص 102 و (ط دار المعرفة) ص 55 و ج 1 ص 236 و ج 2 ص 451 و الإستيعاب ج 3 ص 1288 و راجع: الإصابة ج 2 ص 10 عن أبي داود، والنسائي، عن مجاهد، عن قائد السائب. و راجع: تلخيص الحبير ج 10 ص 404 و مسند أحمد ج 3 ص 425 و المستدرك للحاكم ج 2 ص 61 و مجمع الزوائد ج 1 ص 94 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 542 و السنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 86 و المعجم الأوسط ج 2 ص 145 و المعجم الكبير ج 7 ص 139 و تخريج الأحاديث الآثار ج 3 ص 29 و نصب الراية ج 4 ص 389 و الوافي بالوفيات ج 24 ص 211 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 16.

2- سبل الهدى والرشاد ج 4 ص 77 و ج 5 ص 249 عن أحمد، و السيرة الحلبية ج 3 ص 102 و (ط دار المعرفة) ص 55 و الإصابة ج 2 ص 10 و (ط دار الكتب العلمية) ج 3 ص 19 و مسند أحمد ج 3 ص 425 و مجمع الزوائد ج 8 ص 190 و أسد الغابة ج 2 ص 254.

ونقول:

1- قد اختلفوا في اسم المقصود هنا، هل هو:

السائب بن عبد الله.

أو عبد الله بن السائب.

أو السائب بن عويمر.

أوقيس بن السائب بن عويمر، حسبما روي عنه؟ (1).

وقول أبو عمر: وهذا أصح ما قيل (2)، يحتاج إلى ما يعضد صحته، وهو غير موجود.

بل الموجود هو: روايات ضعيفة لا تقوم بها حجة، ولا يثبت بها شيء، فإن ما يرويه السائب لنفسه، يبقى موضع التهمة: بأنه يجر النار إلى قرصه، وما يرويه مجاهد: هو رواية من لم يشهد تلك الأحوال، ولم يكن قد ولد ولا وجد إلا في عالم الخيال.

2- ما معنى قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجل لم يسلم بعد: مرحبا بأخي؟ ! لمجرد أنه كان قد شاركه في شراء سلعة أو بيعها؟ !

ص: 118

1- الإصابة ج 3 ص 248 عن البغوي، والحسن بن سفيان، وأبي بشير الدولابي، لكنه قال: أوقيس. والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 3 ص 220 و 221 و (ط دار الجيل) ص 1288 و 1289 والأقوال المشار إليها في السيرة الحلبية ج 3 ص 102 و (ط دار المعرفة) ص 55.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 102 و (ط دار المعرفة) ص 55 و راجع: الإصابة ج 3 ص 248 و (ط دار الكتب العلمية) ج 7 ص 148 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 3 ص 221 و (ط دار الجيل) ص 1289.

3- إن أبا عمر قد روى الرواية عن قيس بن السائب هكذا: روي عنه أنه قال: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» شريكاً في الجاهلية، فكان خير شريك، لا يداري، ولا يماري. ويروى: لا يشاري ولا يماري» (1).

وهذا معناه: أن المدح متوجه من قيس بن السائب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي مدح شريكه.

4- عن عبيد الله بن السائب، قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة لأبأيه، فقلت: أتعرفني؟ قال: «نعم، ألم تكن شريكاً لي مرة؟» (2).

فلو صحت هذه الرواية، فهي تدل على: أن الشراكة قد حدثت مرة في ذلك العمر الطويل، كما لو أنهما اشتريا جملاً أو شاة بمال لهما معاً، ثم باعاه، ثم اقتسما ثمنه. وهذا لا يعطي أي امتياز يستحق التنويه به، سوى أن الشريك قد ملك بعض المال، واستطاع أن يتوافق مع شخص آخر على معاملة لهما في السوق.

5- لو صح أنه كان للنبي «صلى الله عليه وآله» أخوة وصحبة وشراكة

ص: 119

-
- 1- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصاغة) ج 3 ص 220 و 221 والإصاغة ج 3 ص 248 و النهاية في غريب الحديث ج 2 ص 468 و لسان العرب ج 14 ص 429 و ج 15 ص 278 و تاج العروس ج 1 ص 152 و ج 19 ص 571 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 222 و أسد الغابة ج 2 ص 253 و التاريخ الكبير ج 5 ص 9 و تفسير الرازي ج 24 ص 242.
- 2- الإصاغة ج 2 ص 314 عن البغوي و (ط دار الكتب العلمية) ج 4 ص 90.

مع أحد لظهر ذلك للناس، و لكان قد شاع و ذاع، فلما ذا لا نجد أية إشارة لهذه الأخوة، و الشراكة في أي مناسبة أخرى، سوى هذه المناسبة؟

و لما ذا عرف عثمان و سواء هذا الرجل، و حسبوا أن النبي «صلى الله عليه و آله» لا يعرفه، حتى احتاجوا إلى مدحه و الثناء عليه عنده، فإن الصحبة و الشراكة من شأنها أن تظهرها؟ !

لأنه إنما يشاركه في المعاملات الظاهرة مع الناس، و في سوقهم، و كما أن صحبته إنما تعني: أن يكونا معا في كثير من الأوقات، فلما ذا ظن الناس: أن النبي «صلى الله عليه و آله» لا يعرفه؟ !

ألم يكن النبي «صلى الله عليه و آله» مكيا مثلهم، يعرف ما و من يعرفون، و ينكر ما و من ينكرون؟ !

و إذا صاحب أحدا و أخاه و شاركه، فإن الناس سوف يرون ذلك، و يطلعون عليه؟ !.

الخطبة الثانية للنبي صلى الله عليه و آله في مكة:

قالوا: خرج غزي من هذيل في الجاهلية، و فيهم جنيد بن الأدلع الهذلي، يريدون حي «أحمر باسا» من أسلم. و كان «أحمر باسا» رجلا من أسلم شجاعا لا يرام، و كان لا ينام في حيّه، بل ينام خارجا من حاضره.

و كان إذا نام غط غطيطا منكرا لا يخفى مكانه، و كان الحاضر إذا أتاهم فزع، صرخوا: يا «أحمر باسا» .

فيثور مثل الأسد، فلما جاءهم ذلك الغزي من هذيل، قال لهم جنيد بن الأدلع: إن كان أحمر باسا قد قتل في الحاضر فليس إليهم سبيل، و إن له

غطيّطا لا يخفى، فدعوني أسمع، فتسمع الحس فسمعه، فأتاه حتى وجده نائما، فقتله، وضع السيف على صدره، ثم اتكأ عليه فقتله.

ثم حملوا على الحيّ، فصاح الحيّ: يا أحمر باسا، فلا شيء لأحمر باسا، قد قتل.

فنالوا من الحي حاجتهم، ثم انصرفوا، وتشاغل الناس بالإسلام.

فلما كان بعد الفتح بيوم دخل جنيد بن الأدلع الهذلي مكة يرتاد وينظر، والناس آمنون، فرآه جندب بن الأعجم الأسلمي، فقال: جنيد بن الأدلع: قاتل «أحمر باسا»؟

قال: نعم. . فمه؟

فخرج جندب يستجيش عليه حيّه، فكان أول من لقي خراش بن أمية الكعبي فأخبره.

فاشتمل خراش على السيف، ثم أقبل إليه والناس حوله، وهو يحدثهم عن قتل «أحمر باسا»، فبينما هم مجتمعون عليه، إذ أقبل خراش بن أمية، فقال: هكذا عن الرجل.

فوالله ما ظن الناس إلا أنه يفرج الناس عنه لينصرفوا، فانفجروا، فحمل عليه خراش بن أمية بالسيف فطعنه به في بطنه، وابن الأدلع مستند إلى جدار من جدر مكة، فجعلت حشوته تسيل من بطنه، وإن عينيه لترنّقان في رأسه، وهو يقول: فعلتموها يا معشر خزاعة؟

فانجعف، فوقع فمات (وهو مشرك).

فسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، فقال: «يا معشر خزاعة»، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل، لقد قتلتم قتيلا لأديته، إن خراشا

لقتال-يعيبه بذلك-لو كنت قاتلا مؤمنا بكافر لقتلت خراشا (1).

وعند الواقدي: ثم أمر «صلى الله عليه وآله» خزاعة يخرجون ديتة، فكانت خزاعة أخرجت ديتة.

قال عمران بن الحصين: فكأنني أنظر إلى غنم عفر جاءت بها بنو مدليج في العقل (2).

وعن ابن المسيب: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بني كعب فأعطوا القتل مائة من الأبل (3).

ص: 122

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 255 و 256 و 257 عن الواقدي، وابن أبي شيبه، وفي هامشه عن: معاني الآثار ج 3 ص 327، وعن فتح الباري ج 12 ص 181 و البداية و النهاية ج 4 ص 350 و المغازي للواقدي ج 2 ص 843 و 844 و 845 و تاريخ الخميس ج 3 ص 89 و 90 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 103 و (ط دار المعرفة) ص 57 و نصب الراية ج 6 ص 322 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 263 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 396 و مسند أحمد ج 4 ص 32 و المعجم الكبير ج 22 ص 186 و كنز العمال ج 10 ص 500 و تاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 38 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 872 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 579.

2- المغازي للواقدي ج 2 ص 845.

3- المغازي للواقدي ج 2 ص 846 و مسند أحمد ج 4 ص 32 و فتح الباري ج 4 ص 36 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 327 و المعجم الكبير ج 22 ص 186 و الثقات ج 2 ص 58 و تاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 38 و البداية و النهاية ج 4 ص 350 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 579 و عيون الأثر ج 2 ص 200 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 872.

وعن ابن شريح، خويلد بن عمرو العدوي، عن ابن عباس، وابن منيع، وابن أبي عمرو. وعن ابن عمر، وعن أبي هريرة، وعن الزهري، وغيرهم، قالوا: لما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه-وهو مشرك-فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطيباً بعد الظهر، وأسند ظهره إلى الكعبة (1).

وعن أبي هريرة: أنه «صلى الله عليه وآله» ركب راحلته، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، ويوم خلق الشمس والقمر، ووضع هذين الجبلين، ولم يحرمها الناس، فهي حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر: أن يسفك فيها دماً، ولا يعصدها فيها شجرة، لم تحل لأحد كان قبلي، ولم تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة، غضبا على أهلها. ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قاتل فيها، فقولوا له: إن الله تعالى قد أحلها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يحلها لكم.

أيها الناس، إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية، «لا يحل أن يحمل السلاح بمكة».

ص: 123

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 256، عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والبيهقي، وابن أبي شيبة، وابن إسحاق، والواقدي، والسيره الحلبية ج 3 ص 102 و 103 و (ط دار المعرفة) ص 56.

يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد والله كثر إن نفع، فقد قتلتم قتيلا لأدينته، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا فديته كاملة، وإن شاؤوا فقتله.

ثم ودى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة. قال ابن هشام: مائة ناقة.

قال ابن هشام: وبلغني أنه أول قتيل وداه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقالوا: إن الرجل الذي قتلته خزاعة هو الأقرع الهذيلي من بني بكر (1).

ونقول: إننا نسجل هنا ما يلي:

أحلت لي ساعة من نهار:

وقد زعموا- كما تقدم-: أن «الساعة التي أحل للنبي «صلى الله عليه وآله» القتل فيها بمكة، هي: «من صبيحة يوم الفتح إلى العصر» (2).

ص: 124

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 255 و 256 و 257، عن ابن أبي شيبة، والمغازي للواقدي ج 2 ص 844 و السيرة الحلبية ج 3 ص 103 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 عن الإكتفاء، والمواهب اللدنية، وراجع: فتح الباري ج 12 ص 181 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 338 و البداية والنهاية ج 4 ص 349 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 871 و 872 و الإصابة ج 1 ص 611.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 268، عن أحمد، والبيهقي، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص و السيرة الحلبية ج 3 ص 103 و (ط دار المعرفة) ص 56 و سبل السلام ج 4 ص 54 و نيل الأوطار ج 8 ص 175 و فتح الباري ج 8 ص 13 و عمدة القاري ج 17 ص 282.

وقد أشرنا إلى بعض الكلام حول هذا الأمر فلا داعي للإعادة.

دية القتل المشرك:

و تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» ودى قتل خزاعة- ولم يكن مسلماً- بمائة ناقة.

و أنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم: أن من قتل قتيلاً فعليه مئة كاملة، وإن شأوا فقتله.

و ظاهر الكلام: أنه «صلى الله عليه وآله» يتحدث حتى عما لو كان المقتول غير مسلم.

مع أن الصحيح الثابت هو: أن المسلم لا يقتل بغير المسلم. بل يعطى: نصف الدية، ولا يعطى الدية كاملة.

ولعل الأقرب إلى الصحة والإعتبار هو ما ذكره: من أن خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح كانت بسبب القتل الذي قتله خزاعة، و كان له عهد، فخطب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «لو قتلت مسلماً بكافر لقتلته به» (1).

وقال: «لا يقتل مؤمن بكافر» (2).

ص: 125

1- المجموع للنووي ج 18 ص 356 و نيل الأوطار ج 7 ص 153 و الغدير ج 8 ص 172 و فتح الباري ج 12 ص 232 و المعجم الكبير للطبراني ج 18 ص 110.

2- الخلاف الشيخ الطوسي ج 5 ص 147 و تحرير الأحكام ج 5 ص 456 و الينابيع الفقهية ج 40 ق 1 ص 123 و ق 2 ص 6 و كتاب الأم للشافعي ج 6 ص 26 و 40 و 40 و 113 و ج 7 ص 187 و 275 و 338 و 339 و 340 و مختصر المزني ص 237 و المجموع للنووي ج 18 ص 356 و 357 و المبسوط للسرخسي ج 26 ص 131 و 134 و بدائع الصنائع ج 7 ص 237 و الجواهر النقي ج 8 ص 34 و 100 و تكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين ج 1 ص 99 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 9 ص 361 و المحلى لابن حزم ج 10 ص 349 و 353 و 354 و 355 و المحلى لابن حزم ج 11 ص 39 و 338 و 339 و بداية المجتهد و نهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج 2 ص 325 و 326 و نيل الأوطار للشوكاني ج 7 ص 150 و 151 و 152 و 153 و فقه السنة ج 2 ص 528 و مستدرک الوسائل ج 18 ص 248 و الأمالي للشيخ الطوسي ص 263 و عوالي اللآلي ج 1 ص 235 و ج 3 ص 588 و البحار ج 93 ص 81 و ج 97 ص 32 و جامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 207 و الغدير ج 8 ص 168 و 170 و 172 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 122 و 123 و 125 و 127 و اختلاف الحديث للشافعي ص 565 و 566 و مسند أحمد ج 1 ص 119 و 122 و ج 2 ص 180 و 194 و 211 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 888 و سنن أبي داود ج 1 ص 625 و ج 2 ص 368 و 375 و سنن الترمذي الترمذي ج 2 ص 433 و سنن النسائي ج 8 ص 20 و 24 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 141 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 29 و 30 و 31 و 100 و 194 و مجمع الزوائد ج 6 ص 292 و فتح الباري ج 4 ص 73 و ج 12 ص 180 و 231 و 232 و عمدة القاري ج 2 ص 161 و 162 و عمدة القاري ج 10 ص 233 و ج 24 ص 66 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 557 و عون المعبود ج 7 ص 303 و ج 12 ص 145 و 168 و 169 و المصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج 6 ص 364 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 217 و 218 و 220 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 208 و 209 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 424 و 462 و المنتقى من السنن المسندة ص 269 و صحيح ابن خزيمة ج 4 ص 26 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 192 و 193 و

194 والمعجم الكبير ج 20 ص 206 و سنن الدارقطني ج 3 ص 100 و معرفة علوم الحديث ص 139 و معرفة السنن والآثار للبيهقي ج 6 ص 149 و 155 و 232 و 236 و 266 و 267 و 268 و 269 و الإستذكار لابن عبد البر ج 5 ص 36 و ج 8 ص 121 و 122 و 123 و 124 و 177 و التمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 234 و الكافي لابن عبد البر ص 587 و تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج 2 ص 227 و تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج 1 ص 108 و ج 2 ص 337 و نصب الراية للزيلعي ج 4 ص 246 و ج 6 ص 329 و 330 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج 2 ص 262 و كنز العمال ج 1 ص 92 و 93 و ج 4 ص 435 و ج 11 ص 327 و 336 و ج 14 ص 130 و ج 15 ص 6 و 96 و ج 16 ص 709 و أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي ج 1 ص 275 و 284 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 173 و 174 و 175 و مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 350 و تفسير الرازي ج 19 ص 146 و التسهيل لعلوم التنزيل ج 1 ص 178 و تفسير آلوسي ج 6 ص 148 و أضواء البيان للشنقيطي ج 4 ص 208 و عدة الأصول (ط ج) ج 2 ص 445 و (ط ق) ج 3 ص 11 و معارج الأصول ص 100 و المستصفى للغزالي ص 256 و 325 و المحصول للرازي ج 3 ص 136 و 138 و ضعفاء العقيلي ج 2 ص 98 و الكامل لابن عدي ج 5 ص 332 و الكامل لابن عدي ج 7 ص 191 و تهذيب الكمال للمزي ج 26 ص 28 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 557 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 14 ص 484 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 310 و غريب الحديث لابن سلام ج 2 ص 104 و النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج 3 ص 325 و لسان العرب ج 3 ص 312 و مجمع البحرين للشيخ ج 3 ص 267 و تاج العروس ج 5 ص 145 و نهج الحق و كشف الصدق ص 542 و 543 و تدوين السنة الشريفة للجلالي ص 54.

ولم يقل: إن أهل القتيل إن رضوا بالدية فيها، وإن لم يرضوا بها فلهم

ص: 127

أن يقتلوه. كما تزعم بعض الروايات.

ونوضح ذلك فيما يلي: 1- إن النصوص الكثيرة صرحت: بأنه لا يقتل مسلم (أو مؤمن) بكافر (1). ويشهد لهذا: نفس خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» التي نحن

ص: 128

1- راجع: سنن ابن ماجه ج 2 ص 887 و 888 و الجامع الصحيح للترمذي ج 4 ص 7 و 18 و مسند أحمد ج 1 ص 79 و 119 و 122 و ج 2 ص 211، و كتاب الأم ج 6 ص 33 و 92 و ج 7 ص 255 و سنن النسائي ج 8 ص 23 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 28 و 29 و 30 و 194 و عن صحيح البخاري ج 6 ص 2534 ح 6517 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 65 و 165 و 169 و الاعتبار للحازمي ص 190 و 189 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 1 ص 210 و سنن أبي داود ج 4 ص 180 و 181 و نيل الأوطار ج 7 ص 10 و 150 و 152 و 153 و الديات لأبي عاصم ص 27 و 51 و مغني المحتاج ج 4 ص 16 و حواشي الشيرازي ج 8 ص 400 و إعانة الطالبين ج 4 ص 134 و المغني ج 9 ص 341 و 342 و ج 10 ص 307 و الشرح الكبير ج 9 ص 360 و 361 و ج 10 ص 306 و كشف القناع ج 5 ص 616 و المحلى ج 10 ص 353 و نيل الأوطار ج 7 ص 150 و 152 و 153 و 154 و عوالي اللآلي ج 2 ص 158 و الغدير ج 8 ص 168 و 171 و 172 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 114 و 122 و 125 و كتاب المسند ص 344 و مسند أحمد ج 2 ص 178 و 180 و 192 و سنن الدارمي ج 2 ص 190 و صحيح البخاري ج 1 ص 36 و ج 4 ص 30 و ج 8 ص 45 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 887 و سنن الترمذي ج 2 ص 432 و سنن النسائي ج 8 ص 24 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 28 و 29 و 30 و 33 و 34 و مجمع الزوائد ج 6 ص 293 و فتح الباري ج 4 ص 73 و ج 12 ص 232 و عمدة القاري ج 2 ص 161 و 162 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 557 و المصنف للصنعاني ج 9 ص 404 و ج 10 ص 99 و المصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 363 و ج 6 ص 364 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 220 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 351 و ج 8 ص 197 و المنتقى من السنن المسندة ص 201 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 192 و 196 و الأحاديث الطوال ص 150 و المعجم الأوسط ج 3 ص 81 و سنن الدارقطني ج 3 ص 99 و معرفة السنن والآثار ج 6 ص 151 و ج 7 ص 38 و الفايق في غريب الحديث ج 3 ص 158 و شرح النهج للمعتزلي ج 17 ص 281 و نصب الراية ج 4 ص 246 و ج 6 ص 329 و الجامع الصغير ج 2 ص 758 و كنز العمال ج 1 ص 98 و 99 و 375 و ج 5 ص 847 و ج 15 ص 6 و فيض القدير ج 6 ص 58 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 173 و تفسير الثعلبي ج 2 ص 54 و أحكام القرآن لابن عربي ج 2 ص 129 و الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 247 و ج 6 ص 191 و ج 7 ص 134 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 215 و ج 2 ص 59 و تفسير الألوسي ج 6 ص 191 و الأحكام لابن حزم ج 5 ص 641 و الأحكام للآمدي ج 2 ص 258 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 486 و سير أعلام النبلاء ج 8 ص 41 و ميزان الاعتدال ج 3 ص 148 و تاريخ الإسلام ج 9 ص 390 و البداية والنهاية ج 7 ص 297 و 298 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 393 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 243 و ج 9 ص 212 و السيرة الحلبية ج 3 ص 49 و غريب الحديث ج 2 ص 102 و 106 و 107 و النهاية في غريب الحديث ج 3 ص 325 و لسان العرب ج 3 ص 312.

بصدد الحديث عنها، فراجعها فيما تقدم.

2- قد صرحت النصوص الكثيرة أيضا: بأن دية الكافر هي نصف دية المسلم (1).

ص: 129

1- الديات لأبي عاصم ص 51 و سنن النسائي ج 8 ص 45 و الجامع الصحيح للترمذي ج 4 ص 18 و أمالي الطوسي ص 263 و البحار ج 93 ص 81 و ج 97 ص 32 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 29 و المصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 361 و المنتقى من السنن المسندة ص 264 و صحيح ابن خزيمة ج 4 ص 26 و الإستذكار ج 8 ص 117 و راجع: المجموع للنووي ج 19 ص 52 و الدراية في تخريج أحاديث الرواية ج 2 ص 274 و نيل الأوطار ج 7 ص 221 و 222 و مسند أحمد ج 2 ص 180 و سنن الترمذي ج 2 ص 433 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 558 و سنن الدارقطني ج 3 ص 102 و التمهيد ج 17 ص 360 و تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ج 2 ص 246 و نصب الراية ج 6 ص 385 و الجامع الصغير ج 1 ص 652 و كنز العمال ج 16 ص 709 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 300 و تاريخ الإسلام ج 2 ص 557 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 1 ص 548.

وفي بعض النصوص عبر: بالمعاهد (1).

وفي بعضها عبر: بأهل الكتاب (2).

ص: 130

-
- 1- سنن ابن ماجه ج 2 ص 386 و المغني ج 9 ص 528 و الشرح الكبير ج 9 ص 522 و سبل السلام ج 3 ص 251 و نيل الأوطار ج 7 ص 224 و الغدير ج 8 ص 172 و سنن أبي داود ج 2 ص 386 و مجمع الزوائد ج 6 ص 299 و عون المعبود ج 12 ص 210 و المعجم الأوسط ج 7 ص 309 و التمهيد ج 17 ص 360 و نصب الراية ج 6 ص 386 و الدراية في تخريج أحاديث الرواية ج 2 ص 274 و الجامع الصغير ج 1 ص 652 و كنز العمال ج 15 ص 54 و شرح مسند أبي حنيفة ص 2080 و أضواء البيان ج 3 ص 115.
- 2- سنن ابن ماجه ج 2 ص 883 و سنن النسائي ج 8 ص 45 و سنن أبي داود ج 4 ص 184 و 194 و راجع: كتاب الأم ج 7 ص 291 و فقه السنة ج 2 ص 564 و سنن الدارقطني ج 3 ص 120.

ولا يعقل أن تكون دية المشرك أكثر من دية الكتابي، فضلاً عن أن تصل الى مستوى دية المسلم المؤمن!!

3-على أن نفس تناقض النصوص يشير إلى عدم إمكان الإعتماد على ما زعموه في أمر قاتل «أحمر بأسا» ، فهل أعطي الدية مائة من الإبل؟
! أم أعطاهم غنماً؟! وهل خطب وهو مسند ظهره إلى الكعبة؟! أم خطب وهو على ظهر راحلته؟!

4-قوله «صلى الله عليه وآله» في الخطبة عن مكة: «ولم تحل لي إلا هذه الساعة» يتناقض مع النصوص الأخرى. .

لأن المفروض: أنها إنما أحلت له ساعة من نهار في أول يوم من أيام الفتح.

والخطبة المتقدمة تصرح: بأن قتل الهذلي كان في اليوم التالي.

ثم إن الحكم في قتل المشركين هو: تخير أهله بين أن يقتلوا القاتل، وبين أن يأخذوا الدية. فلما ذافرض عليهم الدية، ثم حكم بهذا التخيير على من يأتي بعد ذلك؟!

ولكن أبا حنيفة خالف في ذلك، فقال: إن دية غير المسلم كدية المسلم (1).

ص: 131

1- راجع: الغدير ج 8 ص 172 عن شرح سنن ابن ماجة في ذيل الحديث المشار إليه، وراجع: الخلاف للطوسي ج 5 ص 265 و جامع الخلاف والوفاق ص 563 و الينابيع الفقهية ج 40 ق 2 ص 72 و مغني المحتاج ج 4 ص 57 و حواشي الشرواني ج 8 ص 456 و نيل الأوطار ج 7 ص 222 و فقه السنة ج 2 ص 566 و تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج 2 ص 245 و نصب الراية ج 6 ص 390 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 276 و كنز العمال ج 15 ص 140 و شرح مسند أبي حنيفة ص 209 و تفسير الرازي ج 10 ص 236.

وقد يحق للبعض: أن يحتمل، أو يظن: بأن سبب هذا الخلاف هو السعي إلى تنزيه رأي بعض الخلفاء عن الزلل والخطأ، أو لأجل اعتبار كلامهم تشريعا وسنة، يمكن الأخذ بها حتى حينما تخالف شرع الله وسنة رسوله. . و خصوصا إذا كان ذلك الخليفة هو عمر بن الخطاب، فقد قالوا:

إن عمر بن الخطاب قدم الشام، فوجد رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة، فهم أن يقيده، فقال له زيد بن ثابت: أتقيد عبدك من أخيك؟

فجعله عمر دية (1).

وفي نص آخر: أن أبا عبيدة اعترض على عمر في قصة مشابهة، فعدل إلى الدية (2).

ولعلهما قصة واحدة، ويكون أبو عبيدة وزيد قد اعترضا معا على عمر. إلا إذا ثبت: أن أحدهما لم يكن مع عمر في سفره إلى الشام.

وفي حادثة أخرى: ضرب عبادة بن الصامت ذميا (نبطيا)، فشججه، لأنه أبى أن يمسه له دابته، فأراد عمر أن يقتص له منه، فقال زيد بن ثابت:

ص: 132

1- راجع: المصنف للصنعاني ج 10 ص 100 والغدير ج 6 ص 133 عن كنز العمال ج 15 ص 94 و 97 عن عبد الرزاق، وابن جرير، و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 32 و راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 419 و معرفة السنن والآثار ج 6 ص 154 و تاريخ مدينة دمشق ج 19 ص 297 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 31.

2- السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 32 و كنز العمال ج 15 ص 94 و 97 والغدير ج 6 ص 133.

أنتيقد عبدك من أخيك، فترك القود، وقضى عليه بالدية (1).

وفي عهد عثمان: تتكرر الحوادث بنفس الطريقة، وتكون لها نفس النتائج، فراجع المصادر (2).

ولعل هذا هو الذي دعا أبا حنيفة للحكم بلزوم كامل الدية في غير المسلمين..

أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وآله:

وقد تقدم: أن ابن هشام زعم: أن هذا القاتل الذي قتلته خزاعة، هو أول قتيل وداه رسول الله «صلى الله عليه وآله» !!

لكن هذا غير مسلم، فقد تقدم أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» كان قد ودى قتيلا هو في خير (3) فراجع.

لعلها خطبة أخرى في مكة:

روي في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حنان، عن أبيه، عن

ص: 133

-
- 1- السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 32 وكنز العمال ج 15 ص 94 ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج 6 ص 154 وتاريخ مدينة دمشق ج 19 ص 297 وتذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 31 والغدير ج 6 ص 133 وسير أعلام النبلاء ج 2 ص 440.
 - 2- راجع: كتاب الأم ج 7 ص 338 و 339 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 33 و 76 والجواهر النقي ج 8 ص 33 والغدير ج 8 ص 167 وكتاب المسند ص 344 ومعرفة السنن والآثار ج 6 ص 150.
 - 3- السيرة الحلبية ج 3 ص 103 وراجع: عون المعبود ج 12 ص 188 والجامع لأحكام القرآن ج 5 ص 317 وحاشية السندي على النسائي ج 8 ص 44.

أبي جعفر «عليه السلام». و نقله المجلسي عن كتاب المؤمن، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر «عليه السلام»، قال:

«لما كان يوم فتح مكة، قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب، إن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها.

أيها الناس إنكم من آدم، و آدم من طين.

ألا وإن خيركم عند الله و أكرمكم عليه أتقاكم و أطوعكم له.

ألا وإن العربية ليست بأب والد، و لكنها لسان ناطق، فمن طعن بينكم، و علم أنه يبلغه رضوان الله حسبه.

ألا وإن كل دم مظلمة، أو إحنة، كانت في الجاهلية، فهي مطل تحت قدمي إلى يوم القيامة» (1).

وروى عدة من أصحابنا، عن أحمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن

ص: 134

1- البحار ج 21 ص 137 و 138 و ج 64 ص 175 و ج 70 ص 293 عن الكافي ج 8 ص 246 و عن ج 1 ص 403 و 404 عن كتاب المؤمن، و دعائم الإسلام ج 2 ص 199 و معاني الأخبار ص 207 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 339 و مستدرک الوسائل ج 12 ص 89 و ج 14 ص 184 و كتاب الزهد ص 56 و جامع أحاديث الشيعة ج 14 ص 75 و ج 20 ص 76 و درر الأخبار ص 498 و راجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 60 و لسان العرب ج 15 ص 324 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 11 ص 286.

أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب الناس في مسجد الخيف، فقال:

نصّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، والزموم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم (1).

و نقول:

قد صرحت الرواية المتقدمة عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام»: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب الناس بمكة يوم الفتح .

أما الرواية الثانية عن الإمام الصادق «عليه السلام» فليس فيها ما يدل على: أن ذلك كان في يوم الفتح، فلعل ذلك كان في حجة الوداع.

ص: 135

1- راجع: شرح أصول الكافي ج 7 ص 14 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 9 ص 525 وج 29 ص 75 و 76 و (ط دار الإسلامية) ج 6 ص 366 وج 19 ص 55 و 56 والبحار ج 27 ص 68 و 69 وج 37 ص 114 وج 67 ص 242 وج 74 ص 130 و 146 وج 97 ص 46 و جامع أحاديث الشيعة ج 1 ص 230 و مكيال المكارم ج 2 ص 235 و أمالي الصدوق ص 432 و تحف العقول ص 43 و الغارات ج 2 ص 828 و مستدرک سفينة البحار ج 3 ص 83 وج 9 ص 126 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 1 ص 128 و تفسير القمي ج 1 ص 173.

كما أن من القريب جدا: أن يكون «صلى الله عليه وآله»، قد خطب الناس في فتح مكة مرات عديدة، حيث إن إقامته فيها قد امتدت أياما كثيرة، كما تقدم في أوائل الحديث عن فتح مكة.

فلعل ما روي عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام» يراد به إحدى تلك الخطب.

ومن جهة أخرى، فإن التأمل في هذه الخطبة يعطي: أن ثمة أمورا كثيرة كان «صلى الله عليه وآله» يتصدى لمعالجتها.

وقد ركزت هذه الخطبة على العصبية العربية، ونخوة الجاهلية، والتفاخر بالآباء، والعشائر.

وبعد أن قدم الدليل العقلي على عدم صحة ذلك، باعتبار: أن الجميع من آدم، و آدم من طين. ولا معنى للتفريق، ولا موجب لتمييز هذا على ذاك، ولا العكس.

وحيث إن التناسل، والولادة من هذا الأب أو من ذاك، في المكان والزمان المحدد ليست من الأمور الاختيارية للإنسان، فقد أعطى ضابطة تخضع للإختيار، ويقدر عليها البشر كلهم، وهي: التقوى والعمل الصالح، والطاعة لله سبحانه تعالى، لا للطواغيت، ولا للأهواء.

وأما اللغة فإنها هي الأخرى لا تعطي امتيازاً، لأنها مجرد وسيلة تعبير، ولسان ناطق، فلا معنى للتعصب لها. حتى لو قلنا: بأن الأبوة والوالدية تبرر التعصب.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» أعلن بطلان كل مظلمة، أو إحنة كانت في الجاهلية. وأعلن أنها تحت قدميه إلى يوم القيامة.

وبذلك يكون قد أعطى الضابطة، ورسم المنطلق الصحيح لعلاقات الناس ببعضهم البعض. وأعلن موقفه من منطق الجاهلية، وغسل بذلك أدرانها، وخلص الناس من تبعاتها. .

تجديد أنصاب الحرم:

قالوا: أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم «عليه السلام»، كان جبريل «عليه السلام» يدلّه على مواضعها. فلم تحرك حتى كان إسماعيل «عليه السلام» فجدها، ثم لم تحرك حتى كان قصي بن كلاب فجدها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» تميم بن أسد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم (1).

ونقول:

إن هذا التسلسل الذي ذكره فيمن تصدى لتجديد أنصاب الحرم يشير إلى أن هناك أناسا اختارهم الله تعالى لهذا الأمر. .

ولعلنا نستطيع أن نفهم من اختيار هؤلاء الأشخاص لذلك أمرين:

أحدهما: أن قصي بن كلاب، وهو أحد آباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن إنسانا عاديا، بل لعله كان من الأنبياء، بل من ذوي المراتب

ص: 137

1- سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 203 و ج 5 ص 249 عن الواقدي، والأزرقي، والمغازي للواقدي ج 2 ص 842 وفقه السنة ج 1 ص 689 و كنز العمال ج 14 ص 113 و الدر المنثور ج 1 ص 122 و 123 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 137 و ج 4 ص 295 و أسد الغابة ج 1 ص 214 و الإصابة ج 1 ص 487 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 395 و عيون الأثر ج 2 ص 202.

العليا فيهم. وقد تقدم في بعض المواضع من هذا الكتاب: أن الحديث الذي يقول: ما زال الله ينقلني من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجني من صلب أبي عبد الله (1) يدل على أن قصيا كان من الأنبياء أيضا.

الثاني: إن الذين تصدوا لوضع أنصاب الحرم، ولتجديدها هم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وآبؤه الطاهرون. وليس فيهم أي نبي من غير آبائه «صلى الله عليه وآله» . .

وفي هذا إشارة ظاهرة إلى موقع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هذا البيت، وهذا البلد، واختصاص إبراهيم، وإسماعيل، وذريته به. كما أن اقتران اسم قصي باسم هؤلاء الأنبياء العظام يدل على مقامه، وعلو درجته أيضا.

النبي صلى الله عليه وآله يقترض أموالا و يقسمها:

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قال: أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح، فاستسلف من عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة أربعين ألف درهم، فأعطاه، فلما فتح الله تعالى هوازن، وغنمه أموالها ردها، وقال: «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» .

ص: 138

1- سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 235، وراجع: مجمع الزوائد ج 7 ص 86 و تفسير السمعاني ج 4 ص 71 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 365 و إختيار معرفة الرجال ج 2 ص 448 و معجم رجال الحديث ج 18 ص 132 و إمتاع الأسماع ج 3 ص 190 و البحار ج 15 ص 3 و ج 37 ص 175 و تفسير فرات ص 505.

وقال له: «بارك الله لك في مالك وولدك» (1).

وعن أبي حصين الهذلي، قال: استقرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ثلاثة نفر من قريش، من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه. ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم. ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم، فكانت ثلاثين و مائة ألف درهم، فقسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصحابه من أهل الضعف.

قال أبو حصين: فأخبرني رجال من بني كنانة كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الفتح: أنه قسم فيهم دراهم، فيصيب الرجل خمسين درهما، أو أقل، أو أكثر من ذلك (2).

زاد الواقدي قوله: ومن ذلك المال بعث إلى بني جذيمة (3).

ص: 139

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 257 عن الواقدي ونقله في هامشه عن: المغازي الواقدي ج 2 ص 863 و النسائي في البيوع باب 97، و البيهقي في السنن ج 5 ص 355 و أبي نعيم في الحلية ج 7 ص 111 و البخاري في التاريخ ج 5 ص 10 و ابن السني ص 272، و مسند أحمد ج 4 ص 36 و ابن ماجه (2424) و راجع: السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 57 و ج 6 ص 101 و الأذكار النووية ص 310 و سنن النسائي ج 7 ص 314 و السيرة الحلبية ج 3 ص 104 و (ط دار المعرفة) ص 58 و الإصابة ج 4 ص 70 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 258 و المغازي للواقدي ج 2 ص 863 و 864 و السيرة الحلبية ج 3 ص 104 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 258 و المغازي للواقدي ج 2 ص 864 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 400.

فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا يعد الفقراء من أصحابه بالمال، ولا يمنيهم به، كما أنه لا ينتظر إلى حين حصول المال عنده ليفرقه عليهم، بل هو حين يرى حاجة أصحابه، يبادر إلى الاستدانة، لسد عوز اهل الحاجة منهم.

و حين أوقع خالد بن الوليد ببني جذيمة بغير حق، بادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إصلاح الخلل، ورتق الفتق من هذا المال الذي اقترضه. و أصبح هو المسؤول عن أدائه كشخص.

فهو «صلى الله عليه وآله» حين أخذ المال للفقراء من أصحابه، ثم للمظلومين بسبب عدوان خالد لم يجعل أداء المال المقترض بعهدة بيت المال. و لم يشرك معه أحدا في تحمل مسؤولية الأداء، و لا طالب خالدا و من معه بشيء مما أخذوه، أو أتلفوه، أو تسببوا بنشوء حق فيه، بل تحمل هو نفسه «صلى الله عليه وآله» كامل المسؤولية عن الأداء.

على أن ثمة أمرا آخر تحسن الإشارة إليه، و هو أن اقتراض النبي «صلى الله عليه وآله» ثم أدائه لما اقترضه، يعطي دروسا للناس في ذلك المحيط الجديد، مفادها:

1- أنه رغم كل هذا الاتساع في النفوذ، و كل هذه النجاحات التي حققها «صلى الله عليه وآله» لم يكن يهدف إلى الاحتفاظ بالمال ليكون ذا قوة إقتصادية هائلة.

2- إنه برغم انتصاره العظيم الذي لم تمض بضعة أيام على حصوله لا يأخذ شيئا من أموال هؤلاء الذين حاربوه طيلة كل تلك السنين، و قد هيمن الآن على بلادهم بقوة السلاح، رغم أن له الحق في أخذ تلك الأموال، كما كان له الحق في استرقاق محاربيه منهم، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أطلقهم، و لم

يتعرض لأموالهم. رغم حاجة وفقر أصحابه الذين تحملوا المشقات، وعانوا الكثير معه، لكسر شوكة هؤلاء الطغاة والظالمين والجبارين.

3- إنه لم يستعمل نفوذه، ولا استفاد من هيبة النصر، و من إطلاق سراح أرقائه لاستدراج هؤلاء الذين ينعمون بعفوه، ويسرحون ويمرحون مستفيدين من حلمه وكرمه-استدراجهم-إلى تقديم هدايا الشكر، والتعبير عن الإمتنان مما لا قوه لديه من عفو وكرم وسمح!

4-و حين أدى إليهم ما اقترضه كان الشعار الذي رفعه هو أن «جزاء السلف الحمد، والأداء»، ليكون بذلك قد أعطاهم الأمثلة في أداء الأقوياء، وأنه لا بد أن يكون أداء مع عرفان الجميل، و مع حمد وثناء.

5-إن هذا الأداء مع الحمد لا بد أن يقنعهم بأنه لا مطمع له بأموالهم، وأنه لا يريد قهرهم والتعامل معهم بجبرية واستكبار. .

6-و آخر كلمة نقولها هي: إنه «صلى الله عليه وآله» يعطيهم درسا عن كيفية تعامل القائد والرئيس مع مرؤوسيه، وعن أنه لا بد أن يشعر بالأمهم، ويعيش مشاكلهم، وأن يعمل على حلها، مهما كلفه ذلك من تضحيات.

ضفائر أربع!! أم وفرة? !:

عن أم سلمة قالت: ضفرت رأس النبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة أربع ضفائر، فلم يحلّه حتى فتح مكة، ومقامه بمكة حتى حين أراد أن يخرج إلى حنين حلّه، وغسل رأسه بسدر (1).

ص: 141

وعن أم هانئ قالت: قدم النبي «صلى الله عليه وآله» مكة وله أربع غدائر تعني ضفائر (1).

ونقول:

إن ما نعرفه عن شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو أنه وفرة لم يبلغ الفرق، فكان إذا طال لم يتجاوز شحمة أذنه (2).

فمن وصف شعره «صلى الله عليه وآله» بأنه جمّة، وهو الشعر الذي ينزل على المنكبين، أو لمة، وهو الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذنين، فلعله أخذه من الحديث الذي ذكرناه آنفاً، من أنه قد ضفر شعره يوم الفتح أربع ضفائر.

ص: 142

1- وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 57 و ج 8 ص 536 و كنز العمال ج 7 ص 162 و البداية والنهاية ج 6 ص 23 و مسند أحمد ج 6 ص 425 و سنن أبي داود ج 2 ص 288 و سنن الترمذي ج 3 ص 156 و فتح الباري ج 6 ص 416 و ج 10 ص 304 و تحفة الأحوذى ج 5 ص 389 و 390 و عون المعبود ج 11 ص 163 و مسند ابن راهويه ج 5 ص 23 و الشمائل المحمدية للترمذي ص 31 و المعجم الكبير ج 24 ص 429 و الطبقات لابن سعد ج 1 ص 429 و السيرة الحلبية ج 3 ص 333 و تاريخ مدينة دمشق ج 4 ص 160 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1199 و تاريخ بغداد ج 10 ص 438.

2- مكارم الأخلاق ص 70 و سبل الهدى والرشاد ج 2 ص 17 عن ابن عساكر، و الجامع للشرائع ص 29 و الحقائق الناضرة ج 5 ص 556 و الينابيع الفقهية ج 2 ص 614 و من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 129 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 1 ص 417 و مناقب الإمام أمير المؤمنين ج 1 ص 18 و البحار ج 73 ص 83 و جامع أحاديث الشيعة ج 16 ص 603 و فتح الباري ج 6 ص 416 و مجمع البحرين ج 4 ص 526.

ونظن أن بعض من يريد هؤلاء الرواة تقديم خدمات لهم من الأمويين، أو الزبيريين، أو من غيرهم كانوا يطيلون شعرهم، ويجعلونه ضفائر، فأرادوا أن لا يعاب ذلك عليهم، فجعلوا للنبي «صلى الله عليه وآله» في هذا نصيباً، إذ من أجل عين ألف عين تكرم.

رفع شعر النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء:

وروي: أنه كان «صلى الله عليه وآله» يتمشط ويرجل رأسه بالمدرى، و ترجله نساؤه، و تتفقد نساؤه تسريحه، إذا سرح رأسه و لحيته، فيأخذن المشاطة، فيقال: إن الشعر الذي في أيدي الناس من تلك المشاطات، فأما ما حلق في عمرته و حجته فإن جبريل «عليه السلام» كان ينزل فيأخذه فيعرج به إلى السماء. و لربما سرح لحيته في اليوم مرتين (1).

و من المعلوم: أن الروايات قد صرحت: بأن جسد النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفع إلى السماء بعد استشهاد «صلى الله عليه وآله» بثلاثة أيام (2).

ص: 143

-
- 1- مكارم الأخلاق ص 33 و البحار ج 16 ص 248 و ج 73 ص 116 و مستدرك سفينة البحار ج 5 ص 11 و راجع: مستدرك الوسائل ج 1 ص 443 و جامع أحاديث الشيعة ج 16 ص 617 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 1 ص 155.
 - 2- راجع: الرسائل العشر ص 316 و الكافي ج 4 ص 567 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 577 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 173 و الوسائل (ط آل البيت) ج 14 ص 323 و (ط دار الإسلامية) ج 10 ص 254 و مستدرك الوسائل ج 10 ص 188 و 189 و المزار للمفيد ص 221 و عوالي اللآلي ج 4 ص 84 و البحار ج 11 ص 67 و ج 22 ص 550 و ج 27 ص 299 و ج 97 ص 130 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 119 و منتقى الجمان ج 1 ص 318 و مجمع البحرين ج 1 ص 231 و راجع: بصائر الدرجات ص 465 و تهذيب الأحكام ج 6 ص 106 و جامع أحاديث الشيعة ج 12 ص 259 و الذريعة ج 13 ص 206 و الدر النظيم ص 422.

وإذا كان دفن الشعر، وقلامه الأظفار يستحب دفنهما، وإذا كان جسد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوف يرفع إلى السماء، فمن الطبيعي أن يتولى جبرئيل رفع هذه الأمور التي تعود إلى جسده الشريف بنحو أو بآخر إلى السماء، لتكون في نفس الموضع الذي يكون فيه جسده الشريف، تكريماً له «صلى الله عليه وآله» ورفعة شأن.

شعرات النبي صلى الله عليه وآله لا تحترق:

ومن الواضح: أن لكل شيء من جسده «صلى الله عليه وآله» كرامة ومقاماً، وأن له شأنًا يختلف فيه عن غيره.

وقد روي: أن رجلاً من ولد الأنصار أتى إلى الإمام الرضا «عليه السلام» بحقة فضة مقفل عليها، وقال: لم يتحفك أحد بمثلها.

ففتحتها وأخرج منها سبع شعرات، وقال: هذا شعر النبي «صلى الله عليه وآله» .

فمیز الرضا «عليه السلام» أربع طاقات منها، وقال: هذا شعره، فقبل في ظاهره دون باطنه.

ثم إن الرضا «عليه السلام» أخرجه من الشبهة بأن وضع الثلاثة على النار فاحترقت ثم وضع الأربعة فصارت كالذهب (1).

ص: 144

1- مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 458 و مدينة المعاجز ج 7 ص 235 و 236 و البحار ج 49 ص 59 و 60 و مسند الإمام الرضا للعطاردي ج 1 ص 250 و ج 2 ص 482.

وروي عن عيسى بن موسى العماني، قال: دخل الرضا «عليه السلام» على المأمون فوجد فيه هما.

فقال: «إنني أرى فيك هما» ؟

قال (المأمون): نعم بالباب بدوي، وإنه قد دفع سبع شعرات يزعم أنها من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد طلب الجائزة، فإن كان صادقا ومنعت الجائزة فقد بخست شرفي، وإن كان كاذبا وأعطيته الجائزة فقد سخر بي، وما أدري ما أعمل به؟

فقال الرضا «عليه السلام»: عليّ بالشعر، فلما رآه سمه، وقال: «هذه أربعة من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والباقي ليس من لحيته». .

فقال المأمون: من أين قلت هذا؟

فقال: عليّ بالنار (و الشعر) .

فألقي الشعر في النار، فاحترق ثلاث شعرات، وبقيت الأربع التي أخرجها الرضا «عليه السلام» لم يكن للنار عليها سبيل.

فقال المأمون: عليّ بالبدوي.

فأدخل، فلما مثل بين يديه أمر بضرب رقبتة. . فقال البدوي: ما ذنبي؟

قال: تصدق عن الشعر.

فقال: أربع من لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وثلاث من لحيتي، فتمكن الحسد في قلب المأمون (1).

ص: 145

1- الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص 497 و مدينة المعاجز ج 7 ص 235 و 236 و فرائد السمطين ج 2 ص 208 ح 487 و راجع: مستدرک سفينة البحار ج 5 ص 421 و البحار ج 49 ص 59 و إثبات الهداة ج 6 ص 154 و شرح إحقاق الحق ج 33 ص 844.

وقالوا: إن غلاما اسمه «جبر» كان قد أسلم على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و كتم ذلك عن أهله فلا يدرون به، فلما ارتد ابن أبي سرح إلى مكة أخبرهم بإسلام ذلك الغلام، فعذبوه أشد العذاب، حتى قال لهم الذي يريدون.

فلما فتح النبي «صلى الله عليه وآله» مكة جاء الغلام فشكا إليه ما لقي بسبب ابن أبي سرح.

قال: فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثمنه، فاشترى نفسه فعتق، واستغنى، و نكح امرأة لها شرف (1).

و نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حل مشكلة ذلك الغلام، بصورة أساسية من ثلاث جهات:

1- أعطاه ما اشترى به نفسه من جلاديه، الذين عذبوه أشد العذاب، و حصل على نعمة الحرية، و هي من أغلى الأمنيات عنده.

2- أعطاه ما أغناه. .

3- تزوج امرأة لها شرف.

ص: 146

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 865 و 866 و الإصابة ج 4 ص 225 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 5.

ولنا أن نشير أيضا إلى مايلي: 1- إنه «صلى الله عليه وآله» لم يشتري ذلك الغلام من صاحبه، بل أعطاه المال، وكان هو اشترى نفسه منه، فعتق بصورة تلقائية، لأن الإنسان لا يملك نفسه.

ولو أن أحدا كان قد اشتراه، فسيبقى بانتظار إنشاء صيغة العتق من قبل ذلك المشتري.

2- إنه «صلى الله عليه وآله» لم يأخذ ذلك الغلام من صاحبه قهرا.

3- إننا لم نستطع أن نعرف من الذي قام بتعذيب ذلك الغلام. هل هو مالكه نفسه؟ أم آخرون من سائر أهله، أم من غيرهم من فراعنة قريش؟ !

مظاهر تقوى ابن عباد:

لما فتح «صلى الله عليه وآله» مكة جلس عبد الرحمن بن عوف في مجلس جماعة، منهم سعد بن عباد، فمرّ نسوة من قريش، فقال سعد: قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسن وجمال، ما رأيناهن كذلك.

فغضب ابن عوف، وجهه سعدا، فشكاه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغضب «صلى الله عليه وآله» حتى كان وجهه ليتوقد، ثم قال:

«رأيتهن وقد أصبن بآبائهن، وأبنائهن، وإخوانهن، وأزواجهن. خير نساء ركن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد، وأبذله لزوج ما ملكت يد»
(1).

ص: 147

و نقول:

إن هذه القضية إن دلت على شيء، فإنها تدل على الأمور التالية:

1- إن سعد بن عباد الذي رشح نفسه لخلافة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يوكل الأمر إلى من عينه الله ورسوله، فيكون معه، و رهن إشارته، و طوع أمره.

نعم، إن سعدا هذا لا يفكر في مستقبل الإسلام في مكة، وفي المنطقة بأسرها. وفي كيفية حمايته، و تقويته، و نشره، ولكنه يفكر في أمور تدعوه إليها شهوته، و يزينها له هواه، و تعبث به من خلالها شياطين الغواية و الإضلال. .

ثم لم يردعه شرفه، و موقعه، و لاء- منعه دينه و تقواه، من أن يتصفح وجوه النساء حتى لو كن محصنات، ليتبين معالم الجمال في تلك الوجوه، ثم يقارن بين ما يراه و ما سمعه. .

2- ثم يغضب عبد الرحمن بن عوف، و يجبه سعدا، و لا ندري إن كان قد غضب لله، أو أنه غضب لانتقاص سعد من جمال نساء قريش، حمية للعشيرة، و انسياقا مع العصبية.

3- و إذا أردنا أن نصدق أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال كلمته المتقدمة في هذه المناسبة بالذات، و نحن نشك في ذلك- كما سنرى- فإننا نقول:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغضب من منطق سعد. . و ينتصر لنساء قريش. ولكنه انتصار الأتقياء الأبرار، و الأصفياء الأخيار، حين يحول مسار المقارنة، من مقارنة بين أمور مبتذلة و ساقطة، و شكلية، و شهوانية، لتصبح مقارنة بين واقع راهن. حين يقرن إلى معان سامية، و قيم إنسانية نبيلة.

ص: 148

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقد وزنًا لجمال الصورة، و مثار الشهوات.

بل تحدث عن كمال نساء قریش في إنسانيتهم، من حيث أنهم قد بلغن الغاية في الحنان، ولكن على أولادهن، حيث يحتاج أولادهن إلى هذا الحنان الذي يغني أرواحهم، بالعاطفة، وبالرحمة، لا بالقسوة الكاسرة والشريرة.

كما أنهم يمثلون القمة في العطاء، ولكنه ليس عطاء عشوائيا يحمل في طياته تبذير المال، و تمزيق ثروة الزوج، بل العطاء للزوج. الذي يبني الأسرة و يقويها، و يجعل المال متمركزا في الموقع القادر على تحريكه، بحكمة، و روية، و بصورة مؤثرة و منتجة للمزيد من الرخاء، و الراحة من التعب و العناء.

لعل ثمة تزويرا:

و الذي نراه: أن هذا الجواب النبوي ربما يكون قد حوّر و زوّر ليصبح في غير الاتجاه الذي انطلق فيه.

إذ إن الصحيح هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خطب أم هاني أخت علي «عليه السلام»، فاعتذرت له بأنها مصابه فتركها، و قال «صلى الله عليه وآله»: خير نساء ركن الإبل، نساء قریش، أحنهن على ولد في صغره، و أراعهن على زوج في ذات يده (1).

ص: 149

1- مسند أحمد ج 2 ص 269 و 275 و 449 و 502 و سبل الهدى و الرشاد ج 1 ص 225 و ج 11 ص 232 و 236 و صحيح مسلم ج 7 ص 182 و الطبقات الكبرى ج 8 ص 152 و المعجم الأوسط ج 4 ص 283 و 295 و ج 5 ص 380 و المعجم الكبير ج 24 ص 436 و 437 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 243 و ج 41 ص 341 و ج 70 ص 115 و شرح مسلم للنووي ج 15 ص 92 و ج 16 ص 80 و مجمع الزوائد ج 4 ص 271 و صحيفة همام بن منه ص 43 و المصنف للصنعاني ج 11 ص 303 و مسند الحميدي ج 2 ص 452 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 547 و الآحاد و المثنائي ج 5 ص 459 و كتاب السنة لابن أبي عاصم ص 625 و 626 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 353 و 354 و مسند أبي يعلى ج 12 ص 25 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 163 و 164 و 165 و مسند الشاميين ج 2 ص 128 ج 3 ص 24 و ج 4 ص 166 و 275 و الجامع الصغير ج 1 ص 629 و كنز العمال ج 12 ص 145 و 146 و تفسير القرآن للصنعاني ج 1 ص 121 و جامع البيان ج 3 ص 357 و 358 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 370 و الدر المنثور ج 2 ص 23 و الإصابة ج 8 ص 197 و 485 و المنتخب من ذيل المذيل ص 110 و البداية و النهاية ج 2 ص 71 و ج 5 ص 322 و قصص الأنبياء لابن كثير ج 2 ص 376 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 596 و لسان العرب ج 14 ص 203 و فقه السنة ج 2 ص 21 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 67 و النوادر للراوندي ص 177 و جامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 48 و صحيح البخاري ج 4 ص 139 و ج 6 ص 120 و 193 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 293 و عمدة القاري ج 16 ص 26 و ج 20 ص 78 و ج 21 ص 22 و الديباج على مسلم ج 5 ص 331 و صحيفة همام بن منه ص 43 و تغليق التعليق ج 4 ص 35 و 482 و فيض القدير ج 3 ص 656 و تفسير ابن أبي حاتم ج 2 ص 647 و المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج 1 ص 433 و تفسير الألوسي ج 3 ص 155 و إمتاع السماع ج 6 ص 102 و قصص الأنبياء لابن كثير ج 2 ص 376.

عن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض عبد الرحمن ابن وليدة زمعة، وقال عتبة: إنه ابني.

فلما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة في الفتح رأى سعد الغلام فعرفه بالشبه، فاحتضنه إليه وقال: ابن أخي ورب الكعبة.

فأقبل به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه.

فقال عبد بن زمعة: يا رسول الله، هذا أخي، هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ابن وليدة زمعة، فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هو»، أي الولد «لك»، هو أخوك يا عبد بن زمعة، من أجل أنه ولد على فراشه، الولد للفراش، وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة، لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص بالولد» (1).

ص: 153

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 258 و 259 عن البخاري، وفي هامشه عن: البخاري ج 5 ص 371 (2745) وصحيح مسلم ج 2 ص 1080 (36/1457) وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 104 و (ط دار المعرفة) ص 59 و سنن الدارمي ج 2 ص 153 و سبل السلام ج 3 ص 211 و مسند أحمد (ط دار صادر) ج 6 ص 129 و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 3 ص 39 و ج 5 ص 96 و ج 8 ص 12 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 4 ص 171 و سنن النسائي ج 6 ص 180 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 86 و 87 ج 10 ص 150 و 266 وعمدة القاري للعيني ج 11 ص 167 و 168 و ج 12 ص 32 و ج 17 ص 290 و فتح الباري ج 8 ص 19 و ج 12 ص 27 و مسند الشاميين ج 4 ص 192 و معرفة السنن والآثار ج 4 ص 479 و البداية والنهاية ج 4 ص 363 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 600 و مسند أبي داود الطيالسي ص 204 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 378 و كنز العمال ج 6 ص 200.

فلم يرها حتى لقي الله.

وفي بعض الروايات: احتجبي منه يا سودة، فليس لك بأخ (1).

ونقول:

أولاً: إن مجرد وجود شبه بين طفل وبين شخص، لا يعني أن يكون لذلك الشخص شأن وعلاقة مباضعة توجب انتساب ذلك الطفل إليه، فقد يكون للشبه بعض الأسباب الوراثية، أو التخليقية في حالات معينة، التي ليس منها العلاقة الجنسية بالأم.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتفوه بما يعده الشارع قذفاً،

ص: 154

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 104 و (ط دار المعرفة) ص 59 و 378 و سنن النسائي ج 6 ص 181 و فتح الباري ج 12 ص 31 و شرح سنن النسائي للسيوطي ج 6 ص 181 و حاشية السندي ج 6 ص 180 و 181 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 379 و سنن الدارقطني ج 4 ص 156 و مسند أحمد ج 4 ص 5 و المصنف للصنعاني ج 7 ص 443 و كنز العمال ج 11 ص 8 و 85.

ولا سيما بعد أن حكم بأن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا يحكم على خلاف ما حكم به الشارع، فما معنى أن ينسب إليه «صلى الله عليه وآله» أنه قال لسودة: «فليس لك بأخ» ؟ !

الصلاة في مكة، والصلاة في بيت المقدس:

عن جابر: أن رجلاً قال للنبي «صلى الله عليه وآله» يوم الفتح: إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «صل ههنا» .

فسأله، فقال: «صل ههنا» .

فسأله، فقال: شأنك إذن (1).

ص: 155

1- راجع: سبل الهدى والرشاد الصالحى الشامى ج 5 ص 259 والمجموع للنووى ج 8 ص 473 والمغنى لابن قدامة ج 11 ص 352 والشرح الكبير لابن قدامة ج 11 ص 365 وكشاف القناع للبهوتي ج 2 ص 410 والمحلى لابن حزم ج 8 ص 19 و 20 وسبل السلام ج 4 ص 114 ونيل الأوطار للشوكاني ج 9 ص 152 ومسند أحمد ج 3 ص 363 و سنن الدارمي ج 2 ص 184 و سنن أبي داود ج 2 ص 102 والمستدرک للحاکم ج 4 ص 304 و 305 و السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 82 و فتح الباري ج 3 ص 53 وعمدة القاري ج 7 ص 253 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 310 و مسند أبي يعلى ج 4 ص 88 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 125 و معرفة السنن و الآثار للبيهقي ج 7 ص 348 و الإستذکار لابن عبد البر ج 5 ص 170 و أضواء البيان للشنقيطي ج 5 ص 253 و الكامل لابن عدي ج 2 ص 45 و ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 342 و لسان الميزان لابن حجر ج 2 ص 45.

وفي رواية عن بعض الصحابة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «والذي بعث محمداً بالحق، لو صليت ههنا لقضى عنك ذلك كل صلاة في بيت المقدس» (1).

وفي رواية عن الأرقم: أنه جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسلم عليه، فقال: أين تريد؟

قال: أردت يا رسول الله ههنا وأشار بيده إلى حد المقدس.

قال: ما يخرجك إليه، أ تجارة؟!

قال: قلت: لا، ولكن أردت الصلاة فيه.

قال: فالصلاة ههنا، وأوماً بيده إلى مكة، خير من ألف صلاة، وأوماً بيده إلى الشام (2).

ص: 156

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 9 ص 103 و ج 5 ص 259 عن أبي داود، والحاكم، وأشار في هامشه إلى: مسند أحمد ج 3 ص 363 و أبي داود (3305)، و البيهقي ج 10 ص 82 و الدارمي ج 2 ص 185 و الطحاوي في المعاني ج 3 ص 115 و البخاري في التاريخ ج 6 ص 170 و الحاكم ج 4 ص 304. و راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 866 و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج 1 ص 288 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 3 ص 129 و ج 11 ص 366 و سنن أبي داود ج 2 ص 102 و أضواء البيان ج 5 ص 253 و نيل الأوطار ج 9 ص 153 و مسند أحمد ج 5 ص 373 و كنز العمال ج 12 ص 211 و 257 و ج 14 ص 116 و المغني ج 11 ص 352.
- 2- راجع: مجمع الزوائد ج 4 ص 5 و اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ص 54 و سبل الهدى والرشاد ج 9 ص 268 و نيل الأوطار ج 9 ص 154 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 504 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 479 و المعجم الكبير ج 1 ص 307 و كنز العمال ج 14 ص 138 و أسد الغابة ج 1 ص 60 و السيرة ج 2 ص 21 و عمدة القاري ج 7 ص 255 و البداية والنهاية ج 5 ص 363 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 672.

وقالت ميمونة، زوج النبي «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، إني جعلت على نفسي، إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا تقدرين على ذلك، يحول بينك وبينه الروم.

فقالت: آتي بخفير، يقبل ويدبر.

فقال: لا تقدرين على ذلك، ولكن ابغثي بزيت يستصبح لك به فيه، فكأنك أتيته.

فكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال يشتري به زيت، يستصبح به في بيت المقدس، حتى ماتت فأوصت بذلك (1).

ونقول:

1-إننا لا ننكر أن لبيت المقدس فضلاً وقيمة، فإن فيه محاريب الأنبياء، وباب حطة، وغير ذلك، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة (2). وهو من

ص: 157

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 866 وإمتاع الأسماع ج 2 ص 4.

2- من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 152 وراجع ص 148 و ثواب الأعمال ص 128 و المحاسن ج 1 ص 55 و البحار ج 99 ص 270 عنهما، وعن تهذيب الأحكام ج 3 ص 53 و الجامع للشرائع ص 103 و منتهى المطلب (ط ق) ج 1 ص 386 و نهاية الأحكام ج 1 ص 353 و كشف اللثام (ط ج) ج 3 ص 320 و (ط ق) ج 1 ص 201 و الينابيع الفقهية ج 4 ص 888 و المبسوط للسرخسي ج 3 ص 132 و سبل السلام ج 2 ص 216 و نيل الأوطار ج 9 ص 154 و المحاسن ج 1 ص 55 و دعائم الإسلام ج 1 ص 148 و مستدرك الوسائل ج 3 ص 430 و البحار ج 80 ص 380 و جامع أحاديث الشيعة ج 4 ص 561 و معجم البلدان ج 5 ص 166 و سبل الهدى والرشاد ج 3 ص 108.

غير أننا نقول:

لما ذا ينذر هؤلاء لبيت المقدس، ولا يندرون للكعبة المشرفة، فإنها أشرف وأفضل من بيت المقدس؟!

2-لما ذا لا يقبل ذلك الرجل ما يأمره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الإستعاضة عن الصلاة في بيت المقدس بالصلاة في مكة المكرمة، والكعبة الشريفة؟!

بل إن ميمونة، وهي زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تناقش هي الأخرى في صدقية ما أخبرها به النبي «صلى الله عليه وآله»، و تلتمس المخارج والسبل للتغلب على ما وضعه أمامها من موانع، ولو بأن تأتي بخفير، يقبل ويدبر، ويستطيع أن يوفر لها القدرة على إسقاط ممانعة الروم لها من الوصول إلى بيت المقدس، كما أخبرها به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم هي لا يقر لها قرار حتى اقترح عليها البديل، الذي يكون لبيت المقدس فيه نصيب و موقع، وهو أن ترسل بزيت يستصيح به في بيت

ص: 158

-
- 1- البحار ج 96 ص 240 و 380 و ج 99 ص 270 عن الأماي للشيخ الطوسي ج 1 ص 379 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 3 ص 545 و الإماي للطوسي ص 369 و جامع أحاديث الشيعة ج 4 ص 510 و 561 و تاريخ الكوفة للبراق ص 67.

المقدس، فهدأت ورضيت.

3-إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل لميمونة: إن نذرها باطل، ولا قال لها: إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فأنا أمنعك من السفر إلى بيت المقدس من هذا المنطلق.

كما أنه لم يقل لها: إنني زوجك، وأنا أنهاك عن هذا السفر. وبذلك ينحل نذرك.

ولم يقل لها: إن ثمة أخطارا جساما تواجهك في سفرك، فهو سفر غير راجح، ولا مرضي، ولا مستساغ.

بل هو قد ذكر لها: أن هناك مانعا لها من الوفاء بنذرها، وهو حيلولة الروم بينها وبين الوصول إلى بيت المقدس.

وهذا أمر لا يقبل التأويل، ولا يسوغ لها، ولا غيرها أن تذهب بها الأوهام والظنون في مذاهب مختلفة، التي قد يوجب بعضها الإخلال بالواجب الديني، أو الاعتقادي.

ضرب شارب خمر:

وعن عبد الرحمن بن الأزهر قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» -عام الفتح- وأنا غلام شاب، ينزل عند منزل خالد بن الوليد، وأتي بشارب فأمرهم، فضربوه بما في أيديهم، فمنهم من ضرب بالسوط، وبالنعل، وبالعصا. وحثا رسول الله «صلى الله عليه وآله» (عليه) التراب (1).

ص: 159

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 258 عن ابن أبي شيبة، ودلائل النبوة للبيهقي ج 8 ص 319 و مسند أحمد ج 4 ص 88 و 350 و تاريخ مدينة دمشق ج 34 ص 184 و تهذيب الكمال ج 16 ص 515 و سنن أبي داود ج 2 ص 362 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 320 و كنز العمال ج 5 ص 492 و تاريخ المدينة ج 2 ص 731.

وعن عائشة: أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟

ف قيل: و من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حبّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟

ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال: «أتكلمني» ؟

وفي لفظ: «أشفع في حد من حدود الله» ؟ !

قال أسامة: يا رسول الله، استغفر لي.

فلما كان العشي قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطيباً فأثنى على الله تعالى بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الناس» .
وفي لفظ: «هلك بنو إسرائيل» .

وفي لفظ: «الذين من قبلكم» : أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف.

وفي لفظ: «الوضع قطعوه» .

وفي لفظ: «أقاموا عليه الحد» ، و الذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .

ثم أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتلك المرأة (فقطعت) .

وفي رواية النسائي: «قم يا بلال، فخذ بيدها فاقطعها» .

فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت رجلاً من بني سليم.

قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

ص: 161

1- سبل الهدى والرشاد ج 9 ص 196 و ج 5 ص 259 عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي، وأشار في هامشه إلى: البخاري ج 6 ص 513 (3475) ومسلم ج 3 ص 1315 (8/1688) وأحمد ج 3 ص 363. وراجع: المحلى ج 10 ص 496 و ج 11 ص 359 وصحيح البخاري ج 4 ص 151 و ج 5 ص 97 و ج 8 ص 16 و سنن النسائي ج 8 ص 73 و 75 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 254 و 267 و 280 و 332 وعمدة القاري ج 17 ص 291 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 334 و البداية والنهاية ج 2 ص 172 و ج 4 ص 364 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 601 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 59 و نيل الأوطار ج 7 ص 311 و سنن الدارمي ج 2 ص 173 وصحيح مسلم ج 5 ص 114 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 851 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 581 و سنن ابن داود ج 2 ص 332 و سنن الترمذي ج 2 ص 442 وعمدة القاري ج 16 ص 60 و ج 17 ص 291 و ج 23 ص 276 و مجمع الزوائد ج 6 ص 259 و عون المعبود ج 12 ص 21 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 171 وصحيح ابن حبان ج 10 ص 248 والمعجم الأوسط ج 7 ص 272 و معرفة السنن والآثار ج 6 ص 474 و الإستذكار ج 7 ص 570 و رياض الصالحين ص 331 و 332 و 681 و تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 414 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 59 و تفسير الألوسي ج 18 ص 83 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 710 و إمتاع الأسماع ج 10 ص 26.

وقال الحلبي: «وفي كلام بعضهم: كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى» (1).

ولنا مع ما تقدم وقفات نوردها كما يلي:

لو سرت فاطمة لقطعت يدها:

إننا بالنسبة لحديث: «لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها» نقول:

أولاً: إن كلمة: «لو» كما يستظهرون من الأمثلة التالية قد يراد منها: بيان عدم وقوع الشرط جزماً، كقولك: لو جئتني لأكرمك.

في حين أن كلمة: «إذا» قد يقصد بها الدلالة على اليقين، بوقوع الشرط، فيرتب الجزاء. كقوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (2).

وكلمة: «إن» قد تستعمل في موارد الشك في وقوع فعل الشرط (3). كما في قولك: إن جاءك فلان فقل له: كذا.

والحاصل: أن قوله: «لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها» يراد به الدلالة على عدم وقوع الفعل، ولكنه يرتب الجزاء على فرض الوقوع، في صورة عدم الوقوع.

ص: 162

1- السيرة الحلبيّة ج 3 ص 104 و (ط دار المعرفة) ص 59.

2- الآيات 1-3 من سورة النصر.

3- راجع: مغني اللبيب (مطبوع مع حاشية الأمير) ج 1 ص 205.

ثانيا: قال تعالى في القرآن الكريم:

1- قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (1). حيث يراد التأكيد على نفي فعل الشرط، وأن الله ليس له ولد حتما وجزما.

2- وقال تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (2). وقال تعالى: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (3).

فإن المقصود هو: التأكيد على حتمية فعل الجزاء، من قبل منشئه و جاعله. مع العلم بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» المعصوم، لا يمكن أن يتقول على الله، ولا أن يكون فظا غليظ القلب.

3- وقال تعالى: لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (4). فالمراد: إظهار اليقين والثوق بوقوع الجزاء، وهو حبط العمل.

و حديث: «لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها» من قبيل هذه الآية الأخيرة وما سبقها.

أي أن المقصود: التأكيد على إجراء أحكام الله تبارك وتعالى، وإفهام الناس أنه لا محاباة لأحد في هذا الأمر، حتى لو كان الفاعل هو فاطمة «عليها السلام» ، وإن كان هذا الأمر يستحيل أن يصدر عن هي معصومة،

ص: 163

1- الآية 81 من سورة الزخرف.

2- الآيات 44-46 من سورة الحاقة.

3- الآية 159 من سورة آل عمران.

4- الآية 65 من سورة الزمر.

و من قد طهرها الله تعالى بنص آيات القرآن الكريم.

و ليس المراد: وضع فاطمة «عليها السلام» في دائرة احتمال صدور السرقة منها بالفعل، كما لا يمكن أن يصدر من الأنبياء والأوصياء، فضلاً عن سيد الخلق أجمعين.

أسامة حب الرسول صلى الله عليه وآله أم زيد؟! :

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن أحدا لا يجترئ على أن يكلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى حب رسول الله، أسامة بن زيد. غير أننا نقول:

ألف: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سمى زيد بن حارثة بزيد الحب، و لم يسم أسامة نفسه بذلك (1).

و إنما أطلقوا عليه: أنه الحب ابن الحب (2)، لأنه كان بنظرهم يستحق

ص: 164

-
- 1- البحار ج 22 ص 215 و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 1 ص 548 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 213 و تفسير القمي ج 2 ص 172 و التفسير الصافي ج 4 ص 163 و ج 6 ص 10 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 236 و الطبقات الكبرى ج 3 ص 40 و ج 5 ص 246 و تاريخ مدينة دمشق ج 19 ص 346 و الدرجات الرفيعة ص 440 و المنتخب من ذيل المذيل ص 50.
 - 2- راجع: الإصابة ج 1 و الإستيعاب (ترجمة أسامة)، و عمدة القاري ج 2 ص 252 و جزء البغوي ص 16 و مسند أسامة بن زيد ص 33 و 34 و فيض القدير ج 1 ص 618 و الإصابة ج 1 ص 202 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 499 و إكمال الكمال ج 2 ص 8 و تاريخ مدينة دمشق ج 8 ص 51 و 52 و ج 19 ص 351 و تهذيب الكمال ج 1 ص 307 و ج 2 ص 338 و إكمال تهذيب الكمال ج 2 ص 54 و تهذيب التهذيب ج 1 ص 182 و الوافي بالوفيات ج 1 ص 87 و البداية و النهاية ج 4 ص 290 و إمتاع الأسماع ج 6 ص 308 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 481 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 85 و ج 3 ص 228.

هذا الوسام أكثر من أبيه، لأن الأحداث بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أظهرت أن له موقفاً من علي «عليه السلام» يوجب على مناوئيه أن يكافؤوه عليه، فهو لم يشترك مع علي «عليه السلام» في أي من حروبه (1)، وقد منعه علي «عليه السلام» من العطاء (2). وكان قد تخلف عن بيعته (3)، وإن كان سلم له بعد ذلك.

ب: بالنسبة لجرأته على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

لعلها كانت نوعاً من الإدلال من أسامة، وهو يرى تعزيز النبي «صلى الله عليه وآله» له بعد استشهاد أبيه زيد، الذي كان يحبه النبي «صلى الله عليه وآله»، وربما كان يريد أن يحفظه في ولده، فكان إكرامه لأسامة قد جراً

ص: 165

-
- 1- أسد الغابة ج 1 ص 65 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 681 و أعيان الشيعة ج 3 ص 249 و الفصول المهمة لابن الصباغ ج 1 ص 351.
 - 2- قاموس الرجال ج 1 ص 468-472 و (ط جماعة المدرسين 1419 هـ) ج 11 ص 68 عن الكشي، و البحار ج 34 ص 296 ج 97 ص 52 و رجال الكشي ص 26 و الغارات ج 2 ص 577 و ميزان الحكمة ج 4 ص 2996 و نهج السعادة ج 4 ص 127 و شرح النهج للعتزلي ج 4 ص 102 و الدرجات الرفيعة ص 445 و مستدرك الوسائل ج 11 ص 97 و جامع أحاديث الشيعة ج 13 ص 191.
 - 3- البحار ج 32 ص 216 و راجع: أسد الغابة ج 1 ص 65 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 681 و أعيان الشيعة ج 3 ص 249 و الفصول المهمة لابن الصباغ ج 1 ص 351.

أسامة على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأطلق لسانه عنده. وليس من الضروري أن تكون هذه الجرأة مستحسنة، أو مرضية.

ويشهد لذلك نفس هذه الحادثة، التي كان يكلمه أسامة فيها، ووجهه «صلى الله عليه وآله» يتلون تغيطا، حتى انتهى الأمر بملامة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له، ثم طلبه من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يستغفر له.

أشياء يحرم بيعها:

وعن جابر قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح يقول: «إن الله تعالى حرم بيع الخمر، و الخنازير، و الميتة، و الأصنام»

فقال رجل: يا رسول الله! ما ترى في شحوم الميتة، فإنه يدهن بها السفن و الجلود، و يستصيح بها؟

قال: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومهما أخذوها فجمدوها (فجملوها)، ثم باعوها، و أكلوا ثمنها» (1).

ص: 166

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 258 عن ابن أبي شيبة، وفي هامشه عن: البخاري ج 4 ص 424 (2236) و ج 4 ص 414 (3223) و مسلم ج 3 ص 1307 (71/1581) و (72/1582). وراجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 864 و 865 صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 5 ص 194 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 5 ص 41 و ج 11 ص 6 و عون المعبود ج 9 ص 274 و تغليق التعليق ج 3 ص 274 و السنن الكبرى للنسائي ج 4 ص 54 و مسند أبي يعلى ج 3 ص 395 و 396 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 193 و الدر المنثور ج 3 ص 53 و الخلاف ج 3 ص 186 و جواهر الكلام ج 22 ص 11 و الينابيع الفقهية ج 35 ص 137 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 541 و مسند أبي يعلى ج 3 ص 396 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 311 و كنز العمال ج 4 ص 170 و منتهى المطلب (ط ق) ج 2 ص 1010 و المجموع ج 14 ص 283 و المغني ج 4 ص 284 و ج 5 ص 513 و الشرح الكبير ج 4 ص 41 و ج 5 ص 462 و المحلى ج 1 ص 121 و ج 9 ص 8 و سبل السلام ج 3 ص 5 و مسند أحمد ج 3 ص 326 و سنن أبي داود ج 2 ص 141 و سنن النسائي ج 7 ص 310 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 12 و ج 9 ص 355 و معرفة السنن و الآثار ج 7 ص 284.

ونقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» أراد هنا: أن يعالج ظاهرة الطمع والحرص، التي ظهرت في الناس، والتي هي من شيم اليهود.

وقد ظهرت بوادر هذا الحرص الذي يجر وراءه ركاما من الشبهات والمشكلات في استقصاء السؤال عن شحوم الميتة، حيث إن الإهتمام بالميتة إلى هذا الحد، ربما يعطي الانطباع عن أن ثمة علاقة شديدة للناس حتى بالميتة، وبأدق أجزائها. . يصعب التغلب عليها.

وقد يشير إلى ذلك: أنهم صاروا يسألون عن دهن الجلود، والإستصباح بها مع أنهما ليسا من الضرورات، التي لا يمكن الإستغناء عن الميتة فيها، إذ يمكن أن يستفاد في هذا وذاك من الشحوم الحلال، التي يأمن الإنسان معها من ملابسة النجاسة الناشئة عن كونها ميتة. فإن هذه الإستفادة من شحوم الميتة تجعل من الصعب تجنب الإرتطام بالنجاسة في كثير من الأوضاع.

ويزيد الأمر سوءا حين لا ينحصر التعاطي مع تلك الشحوم-التي

ص: 167

يستفاد منها-في الذين يعرفون بكونها ميتة. حيث إن التعامل معها سيكون على أساس كونها محكومة بالطهارة الظاهرية. ولا بد أن ينعكس ذلك على أكل الناس وشرابهم، وتعاملهم مع لباسهم، وأوانيهم، التي يستعملونها في سائر شؤونهم الحياتية، والعبادية.

كسر الدف و المزمار:

وقد رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال في فتح مكة: «إنما بعثت بكسر الدف و المزمار» .

فخرج الصحابة يأخذونها من أيدي الولدان و يكسرونها (1).

و نقول:

قد تقدم بعض الحديث عن هذا الأمر، حين استعرضنا ما قالوه في حديث الهجرة، من أن أهل المدينة قد استقبلوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالغناء، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» صار يرقص لهم بأكمامه.

غير أننا نشير هنا: إلى بعض ما رووه أوقالوه حول تحريم الضرب على المعازف و الدفوف، وغيرها من آلات الموسيقى. . فمن رواياتهم نذكر ما يلي:

1- في تفسير قوله تعالى: **وَاسْتَغْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ** (2).

قال ابن عباس و مجاهد: إنه الغناء، و المزامير، و اللهو (3).

ص: 168

1- بهجة النفوس، شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة الأزدي ج 2 ص 74 و الغدير ج 8 ص 72.

2- الآية 64 من سورة الإسراء.

3- راجع: جامع البيان ج 15 ص 81 و (ط دار الفكر) ص 147 و زاد المسير ج 5 ص 48 و الجامع لأحكام القرآن (ط مؤسسة التاريخ العربي) ج 10 ص 288 و ج 14 ص 51 و الغدير ج 8 ص 69 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 49 و (ط دار المعرفة) ص 53 أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 266 و تفسير السمعاني ج 3 ص 258 و تفسير الثعالبي ج 3 ص 484 و تفسير الأندلسي ج 3 ص 470 و عن تفسير الخازن ج 3 ص 178 و عن تفسير النسفي ج 3 ص 178 و عن تفسير ابن جزى ج 2 ص 175 و عن تفسير الآلوسي ج 15 ص 111.

2- وروي مرفوعاً: ليكونن في أمتي قوم يستحلون الخبز، (والتحرير) والخمر، والمعاذف (1).

3- عن ابن عباس، وأنس، وأبي أمامة مرفوعاً: «ليكونن في هذه الأمة خسف، وقذف، ومسح. وذلك إذا شربوا الخمر، واتخذوا القينات، وضربوا بالمعاذف» (2).

ص: 169

-
- 1- السنن الكبرى ج 10 ص 321 و تفسير الألوسي ج 21 ص 76 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1333 و عن سنن أبي داود ج 4 ص 46 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 2123 و عن أحمد، و أبي نعيم، و المحلي ج 9 ص 59 و نيل الأوطار ج 2 ص 86 و الغدير ج 8 ص 70 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 272 و فتح الباري ج 10 ص 42 و كنز العمال ج 11 ص 134 و تاريخ مدينة دمشق ج 67 ص 189.
 - 2- الدر المنثور ج 2 ص 324 و المعجم الكبير ج 6 ص 150 و تفسير الألوسي ج 21 ص 76 و عن مسند أحمد ج 2 ص 347 و مجمع الزوائد ج 8 ص 10 و المعجم الأوسط ج 7 ص 77 و المعجم الكبير ج 6 ص 150 و الجامع الصغير ج 2 ص 62 و 229 و 471 و منز العمال ج 5 ص 347 و ج 14 ص 277 و 281 و فيض القدير ج 4 ص 168 و ج 5 ص 503 و سبل الهدى و الرشاد ج 10 ص 195 و 196.

4- وروي مرفوعاً أيضاً: «بعثني (رحمة للعالمين وأمرني) بمحق المعازف، والمزامير، وأمر الجاهلية» (1).

5- عن عبد الله بن عمر (أو عمرو) في قوله تعالى: إِنََّّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (2).

قال: هي في التوراة. إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل، ويبطل به اللعب، والزفن، والمزامير، والكبارات (يعني البرابط) والزمارات (يعني الدف) والطناير (3).

6- عن علي «عليه السلام» مرفوعاً: تمسخ طائفة من أمتي قردة، وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم، بأنهم

ص: 170

1- نيل الأوطار ج 8 ص 111 و الدر المنثور ج 2 ص 323 و جامع بيان العلم ج 1 ص 153 تكملة حاشية رد المحتار ج 1 ص 571 و الشرح الكبير ج 12 ص 48 و الغدير ج 8 ص 70 و مسند أحمد ج 5 ص 268 و مسند أبي داود الطيالسي ص 155 و جزء أشيب ص 39 و المعجم الكبير ج 8 ص 197 و كنز العمال ج 11 ص 443 و تفسير الثعلبي ج 7 ص 310.

2- الآية 90 من سورة المائدة.

3- السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 222 و الدر المنثور ج 2 ص 317 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 99 و الغدير ج 8 ص 70 و مجمع الزوائد ج 7 ص 19 و الفائق في غريب الحديث ج 2 ص 84 و غريب الحديث ج 4 ص 276 و النهاية في غريب الحديث ج 2 ص 305 و ج 4 ص 326 و لسان العرب ج 5 ص 152 و ج 13 ص 197 و تاج العروس ج 7 ص 458.

شربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، وضربوا بالدفوف (1).

7- وعن عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إنما نهيت عن صوتين، أحمقين، فاجرين: صوت عند نغمة لهو، و مزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خممش وجوه، وشق جيوب، ورنه شيطان. ونحوه عن أنس مرفوعاً (2).

ص: 171

-
- 1- الدر المنثور ج 2 ص 324 والغدير ج 8 ص 71 وكنز العمال ج 15 ص 223.
 - 2- راجع: الجامع الصحيح للترمذي ج 3 ص 328 وشرح معاني الآثار ج 4 ص 293 وعن المصنف لابن أبي شيبة ج 3 ص 266 ونبيل الأوطار ج 4 ص 154 و ج 8 ص 268 وفتح القدير ج 4 ص 236 والجامع لأحكام القرآن ج 14 ص 53 وتلبيس إبليس ص 233 وكنز العمال ج 15 ص 219 والدر المنثور ج 5 ص 160 وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج 2 ص 119 والذكرى للشهيد الأول ج 2 ص 49 والتحفة السنية (مخطوط) ص 44 والمغني ج 2 ص 411 والشرح الكبير ج 2 ص 429 ومستدرک الوسائل ج 2 ص 454 و 456 و 458 و عوالي اللآلي ج 1 ص 89 و 122 و مكسن الفؤاد ص 93 و البحار ج 79 ص 90 و جامع أحاديث الشيعة ج 3 ص 486 و ج 17 ص 199 و 204 والغدير ج 8 ص 69 و ميزان الحكمة ج 2 ص 1674 و سنن الترمذي ج 2 ص 237 والمستدرک للحاكم ج 4 ص 40 و السنن الكبرى للبيهقي ج 4 ص 69 و مجمع الزوائد ج 3 ص 17 وفتح الباري ج 3 ص 139 وعمدة القاري ج 8 ص 102 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 76 وعون المعبود ج 13 ص 186 ومسند أبي داود الطيالسي ص 235 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص 309 و التمهيد ج 17 ص 284 و ج 24 ص 443 و تخريج الحديث والآثار ج 2 ص 176 ونصب الراية ج 5 ص 89 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 172 و كنز العمال ج 15 ص 611 و 616 وأحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 442 و 589 وأحكام القرآن لابن العربي ج 3 ص 207 وفتح القدير ج 4 ص 236 والطبقات الكبرى ج 1 ص 138 وكتاب المجروحين ج 2 ص 246 وفتوح مصر وأخبارها ص 124 وسيرة ابن غسحاق ج 5 ص 251 وسبل الهدى والرشاد ج 8 ص 355 و ج 11 ص 22 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 395.

8-عن أبي هريرة، وأنس، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، والغازي بن ربيعة، وعبد الرحمن بن سابط، وصالح بن خالد، يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسخ قوم في آخر الزمان قردة وخنازير، فقال: «اتخذوا المعازف، والدفوف، والقينات، وباتوا على شربهم، ولهوهم الخ.». (1).

9-قال نافع: سمع ابن عمر مزماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع، هل تسمع شيئاً؟

فقلت: لا.

فرفع أصبعيه عن أذنيه، وقال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصنع مثل هذا (2).

ص: 172

1- الدر المنثور ج 2 ص 324 عن ابن أبي الدنيا، والحاكم، وابن عدي، وابن أبي شيبة، والبيهقي، وأبي داود، وسنن ابن ماجه ج 2 ص 1323 وعن المستدرک على الصحيحين ج 4 ص 560 و 561 وعن المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 107 وسنن أبي داود ج 4 ص 46 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 295 والمحلى ج 9 ص 58 ونيل الأوطار ج 2 ص 86 وعمدة القاري ج 21 ص 177 وعون المعبود ج 11 ص 59 وسبل الهدى والرشاد ج 10 ص 193 والغدير ج 8 ص 71.

2- السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 222 وتاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 169 وج 27 ص 35 وسنن أبي داود ج 2 ص 461 والمغني ج 12 ص 39 والشرح الكبير ج 12 ص 48 والمحلى ج 9 ص 68 والغدير ج 8 ص 75 وميزان الحكمة ج 3 ص 2313 وعون المعبود ج 13 ص 181 ومسند الشاميين ج 1 ص 186 ومعرفة السنن والآثار ج 7 ص 443 وكنز العمال ج 15 ص 227 وأحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 363 والكامل ج 3 ص 269 وطبقاتن المحدثين بإصبهان ج 4 ص 161 وسير أعلام النبلاء ج 5 ص 437 وسبل الهدى والرشاد ج 9 ص 402.

10-عن علي «عليه السلام» مرفوعاً: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، فذكر منها: إذا اتخذت القينات و المعازف (1).

فذلك كله يدل بوضوح: على أن استعمال المعازف و الدفوف، ونحوها لا يرضاه الإسلام، ولا يقره.

والتفريق بين الموسيقى الكلاسيكية وغيرها لا أثر له في مصادر التشريع، ولا يعرف ذلك بين أهل ذلك الزمان، سواء في ذلك المتشعبة أو غيرهم.

روايات مكذوبة:

و من رواياتهم المكذوبة و المتناقضة نذكر:

1-استأذن أبو بكر على النبي «صلى الله عليه و آله» ، و جارية تضرب

ص: 173

1- راجع: الجامع الصحيح للترمذي ج 4 ص 428 و تليس إبليس ص 249 و الجامع لأحكام القرآن ج 14 ص 53 و نيل الأوطار ج 8 ص 263 و تحف العقول ص 53 و مستدرك الوسائل ج 3 ص 382 و أمالي الطوسي ص 516 و البحار ج 6 ص 311 و ج 74 ص 157 و الغدير ج 8 ص 71 و سنن الترمذي ج 3 ص 334 و الجامع الصغير ج 1 ص 119 و العهود المحمدية ص 807 و الجامع لأحكام القرآن ج 14 ص 53 و تاريخ بغداد ج 3 ص 376.

بالدف، فدخل. ثم استأذن عمر، فدخل. ثم استأذن عثمان، فأمسكت.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إن عثمان رجل حيي (1).

2- انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بعض غزواته، فجاءته جارية سوداء، فزعمت أنها نذرت: إن رد الله النبي «صلى الله عليه وآله» صالحاً أن تضرب بين يديه بالدف، و تغني. فأذن لها أن تقي بندرها، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم علي، ثم عثمان، فلما دخل عمر ألقت الدف تحت إستها، وقعدت عليها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الشيطان يخاف (ليخاف) منك يا عمر الخ. (2).

ص: 174

-
- 1- مسند أحمد ج 4 ص 353 و 354 و راجع ص 249 و ج 6 ص 155 و 167 و الغدير ج 8 ص 80 و ج 9 ص 274 و صحيح مسلم ج 7 ص 117 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 231 و مجمع الزوائد ج 9 ص 81 و عمدة القاري ج 4 ص 81 و 82 و ج 16 ص 202 و المصنف للصنعاني ج 11 ص 233 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 565 و 566 و ج 3 ص 1021 و الأدب المفرد ص 131 و كتاب السنة ص 575 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 242 و المعجم الكبير ج 6 ص 61 و مسند الشاميين ج 4 ص 259 و كنز العمال ج 11 ص 586 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 83 و 85 و 93 و ج 62 ص 232 و 233 و أسد الغابة ج 2 ص 310 و البداية و النهاية ج 7 ص 227 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 279 و النهاية في غريب الحديث ص 444 و لسان العرب ج 8 ص 253.
- 2- أسد الغابة ج 4 ص 64 و نادر الأصول للحكيم الترمذي ص 58 و مسند أحمد ج 5 ص 353 و 354 و سنن البيهقي ج 10 ص 77 و السيرة الحلبية ج 2 ص 62 و (ط دار المعرفة) ص 247 و مصابيح السنة للبخاري، و دلائل الصدق ج 1 ص 390 و 391 و عن الترمذي ج 2 ص 293 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 131 و الغدير ج 8 ص 64 و 65 و 96 و نيل الأوطار ج 8 ص 271 و سنن الترمذي ج 5 ص 284 و فتح الباري ج 11 ص 510 و تحفة الأحوذى ج 10 ص 122 و عون المعبود ج 9 ص 100 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 481 و كتاب السنة لابن أبي عاصم ص 567 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 315 و نصب الراية ج 4 ص 64 و موارد الظمآن ج 7 ص 99 و الجامع الصغير ج 1 ص 312 و كنز العمال ج 11 ص 574 و تاريخ مدينة دمشق ج 44 ص 83 و 84 و أسد الغابة ج 4 ص 64 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 259 و إحقاق الحق (الأصل) ص 233.

3-عن جابر: دخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يضرب بالدف عنده، فقعد ولم يجر لما رأى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء عمر، فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته قال: كف عن ذلك.

فلما خرجا قالت عائشة: يا رسول الله، كان حالاً، فلما دخل عمر صار حراماً؟!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عائشة، ليس كل الناس مرخي عليه (1).

4-إن النبي «صلى الله عليه وآله» دخل بيت عائشة، فوجد فيه جاريتين تغنيان، وتضريان بالدف، فلم ينههما عن ذلك، وقال عمر بن

ص: 175

1- نيل الأوطار ج 8 ص 271 و نوادر الأصول ص 138 و الغدير ج 8 ص 64 و 65 و عن مشكاة المصابيح ص 55 وغيره، و كنز العمال ج 4 ص 248 و ذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 95.

الخطاب حين غضب: أزممار الشيطان في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : دعهما يا عمر، فإن لكل قوم عيداً (1).

وروت عائشة: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفعان وتضربان والنبي «صلى الله عليه وآله» متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي «صلى الله عليه وآله» عن وجهه فقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد» (2).

5-زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرعى الغنم مع رفيق له، فطلب من رفيقه أن يحفظ له غنمه، ليسمر كما يسمر غيره، ثم جاء إلى

ص: 176

1- اللمع لأبي نصر الطوسي ص 345 والغدير ج 8 ص 66 عنه.

2- راجع: فقه السنة ج 1 ص 323 ومسند أحمد ج 6 ص 33 و 99 و 127 و 168 وصحيح البخاري ج 2 ص 3 و ج 4 ص 266 وصحيح مسلم ج 3 ص 21 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 612 و سنن النسائي ج 3 ص 195 و السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 224 وعمدة القاري ج 6 ص 270 و 274 و ج 17 ص 64 والمصنف للصنعاني ج 11 ص 4 ومسند أبي راهويه ج 2 ص 272 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 552 ومسند أبي يعلى ج 1 ص 50 وصحيح ابن حبان ج 13 ص 188 والمعجم الكبير ج 23 ص 180 وأمالى الحافظ الأصبهاني ص 57 ومعرفة السنن والآثار ج 7 ص 436 وتعليق التعليق ج 2 ص 384 و كنز العمال ج 15 ص 212 وتفسير الآلوسي ج 21 ص 70 والبداية والنهاية ج 1 ص 320 وقصص الأنبياء لابن كثير ص 93.

مكة، فسمع في اول دار منها عزفا بالدفوف و المزامير، فجلس ينظر، فضرب الله على أذنه، فنام، فلم يستيقظ حتى مسته الشمس.

ثم جرى له في الليلة الثانية مثلما جرى له في سابقتها. . ثم لم يهتم بعدها بسوء حتى أكرمه الله برسالته (1).

ونقول:

إن الحديث حول هذه الروايات طويل، و لكننا نذكر هنا بعض الإشارات الخاطفة من ذلك، فنقول:

ألف: إن الروايات الأولى تقول: إن عثمان رجل حيي، فهل ذلك يعني: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن كذلك، و كذا الحال بالنسبة لأبي بكر وعمر، و هل يرضى اتباعهما و محبوهما بنسبة ذلك إليهم؟!

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان عثمان رجلا حيا فما شأن الجارية؟! هل كانت تعرف ذلك فيه فتراعيه، و تعرف خلافه في غيره، فتعامله وفق ما تعرفه منه؟!

ب: في الرواية الثانية: يصف النبي «صلى الله عليه وآله» فعل تلك

ص: 177

1- دلائل النبوة لأبي نعيم ج 1 ص 58 و البداية و النهاية ج 2 ص 287 و الخصائص الكبرى للسيوطي ج 1 ص 88 و أعلام النبوة للماوردي ص 140 و الكامل في التاريخ ج 1 ص 471 و عن المصادر التالية: عيون الأثر ج 1 ص 44 و السيرة الحلبية ج 1 ص 122 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 279 و البحار ج 15 ص 362 و الغدير ج 8 ص 76 و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 207 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 34 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 300 و 360 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 1 ص 136 و تفسير الرازي ج 31 ص 218.

الجارية أمامه بما يفيد: أنه فعل شيطاني. فكيف رضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك بحضرته؟!

ج: كيف ينعقد نذر في أمر يكون من أفعال الشياطين؟!

د: في الرواية الثالثة: إشارة إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يتستر على أمور قد تكون من الحرام.

هـ: في الرواية الرابعة: دلالة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» يرضى بسماع زمارة الشيطان، وأن تستعمل في داخل بيته.

و: إنها تدل على حلية سماع زمارة الشيطان في أيام العيد.

ي: إذا كان ذلك من مزامير الشيطان، ويحل لتينك الجاريتين أن يستمعاه في عيدهما، فإن هذا العيد لم يكن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحل له سماع مزامير الشيطان.

ك: إن الرواية الخامسة: تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد همّ بفعل السوء.

ل: وفيها دلالة على أن الله قد تدخل لمنعه من ذلك السوء بصورة تكوينية، حيث ضرب على أذنه.

م: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرتدع من المرة الأولى، فأعاد الكرة في الليلة الثانية أيضا.

ن: و آخر ملاحظة نذكرها هنا: أن هذه الروايات رغم أنها مكذوبة، فإنها تدل على حرمة الضرب على المعازف والدفوف، وعلى أنها من السوء، وأنها مزامير الشيطان، وما إلى ذلك، وهذا يعني: أن الأولى الاستدلال بها على الحرمة، وأنها من الأمور المفروغ عنها.

هذا ولا بد لنا من العودة لتذكير القارئ الكريم بلزوم مراجعة ما ذكرناه في أوائل هذا الكتاب، في فصل: «حتى المدينة.». للاطلاع على المزيد مما قد يكون من المفيد الإطلاع عليه.

متعة النساء عام الفتح:

قال الحلبي الشافعي: وحل المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها.

ففي صحيح مسلم، عن بعض الصحابة: «لما أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المتعة خرجت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة غطاء». .

وفي لفظ: «مثل البكرة العنطنطة، فعرضنا عليها أنفسنا. فقلنا لها: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟

فقلت: ما تدفعان؟

قلنا: بردينا». .

وفي لفظ: «ردائنا». .

فجعلت تنظر، فتراني أجمل من صاحبي، و ترى برد صاحبي أحسن من بردي، فإذا نظرت إليّ أعجبتها، وإذا نظرت إلى برد صاحبي أعجبها، فقلت: أنت وبردك تكفيني، فكنت معها ثلاثا». .

والحاصل: أن نكاح المتعة كان مباحا، ثم نسخ يوم خيبر، ثم أبيح يوم الفتح، ثم نسخ في أيام الفتح، واستمر تحريمه إلى يوم القيامة.

وكان فيه خلاف في الصدر الأول، ثم ارتفع. وأجمعوا على تحريمه، وعدم جوازه.

قال بعض الصحابة: «رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قائما بين الركن والباب وهو يقول: أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الإستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء، فليخلّ سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا» .

لكن في مسلم، عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال: «استمتعنا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وأبي بكر، وعمر» .

وفي رواية عنه: حتى نهى عنه عمر.

وقد تقدم في غزاة خيبر، عن الشافعي: لا أعلم شيئا حرم ثم أباح ثم حرم إلا المتعة، وهو يدل على: أن إباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر، ثم حرمت به.

وهذا يعارض ما تقدم: أن الصحيح أنها حرمت في حجة الوداع.

إلا أن يقال: يجوز أن يكون تحريمها في حجة الوداع تأكيدا لتحريمها عام الفتح، فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة، كما يدل عليه كلام الشافعي.

لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة: «رخص لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام أوطاس في المتعة ثلاثا، ثم نهى عنها» .

وقد يقال: مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح، لأن غزاة أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم.

وما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من جوازها رجع عنه.

فقد قال بعضهم: والله، ما فارق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع إلى قول الصحابة في تحريم المتعة.

ونقل عنه رضي الله تعالى عنه: أنه قام خطيباً يوم عرفة، فقال: أيها الناس، إن المتعة حرام كالميتة و الدم و لحم الخنزير.

و الحاصل: أن المتعة من الأمور الثلاثة التي نسخت مرتين.

الثاني: لحوم الحمر الأهلية.

الثالث: القبله، كذا في (حياة الحيوان) (1).

و عن سبرة قال: حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» متعة النساء يومئذ (2). يعني: عام الفتح.

ونقول:

إن زواج المتعة هو من الموضوعات الخلافية المعروفة فيما بين شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، و بين أهل السنة، حيث اتفق الجميع على أن هذا الزواج كان حلالاً في أول الإسلام، ثم ادّعى أهل السنة أنه قد نسخ. و أنكر عليهم الشيعة هذه الدعوى، و ردوها بالأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة.

و قد اضطربت روايات أهل السنة في تاريخ نسخ هذا الزواج، و في ناسخه، و كلها اجتهادات تستند إلى دعاوى مدخولة، أو إلى أخبار آحاد، لا تقوم بها حجة، و لا يثبت بها شيء..

و قد ناقشنا جميع تلك المزاعم و سواها في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق

ص: 181

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 103 و 104 و (ط دار المعرفة) ص 58 و راجع: البحر الرائق ج 3 ص 190.

2- المغازي للواقدي ج 2 ص 865 و راجع: إمتاع الأسماع ج 2 ص 3.

و دراسة» و هو مؤلف من ثلاثة أجزاء، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات، فيمكن الرجوع إليه، لمن أراد التوسع في البحث، و الإستقصاء في البيان.

غير أننا نشير هنا: إلى نبذة يسيرة تفيد في توضيح الأمر فيما يرتبط بخصوص الروايات التي تزعم أن هذا الزواج قد نسخ في فتح مكة.

أما سائر المزاعم التي أوردها الحلبي في عبارته المتقدمة، فقد فندناها بما لا مزيد عليه في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق و دراسة» فمن أراد الوقوف عل ذلك، فليراجع ذلك الكتاب.

أما هنا فنكتفي بما يلي:

روايات النسخ يوم الفتح:

1- عن الحارث بن غزية: سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة يقول: متعة النساء حرام. ثلاث مرات (1).

2- وقد روي عن سبرة بن معبد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى يوم الفتح عن متعة النساء (2). رواه مسلم.

ص: 182

-
- 1- مجمع الزوائد ج 4 ص 266 عن الطبراني، و المعجم الكبير للطبراني ج 3 ص 273 و الإستيعاب ج 1 ص 299.
 - 2- راجع السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 202 و 204 و سنن الدارمي ج 2 ص 140، و مسند الشافعي ص 255 دون تعيين المناسبة، و كذا في لباب التأويل ج 1 ص 343 و كذا في تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص 34 و 35، و علل الحديث للرازي ج 1 ص 420، و كنز العمال ج 22 ص 97 و 96، و جامع الأصول ج 12 ص 134، و شرح معاني الآثار ج 3 ص 26، و التاج الجامع للأصول ج 2 ص 335، و سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 218، و الإستذكار ج 16 ص 289 و 290، و المصنف لابن أبي شيبة ج 3 ص 389، و مسند أحمد ج 3 ص 404 و مسند الحميدي ج 2 ص 374 و حلية الأولياء ج 5 ص 363 و المعجم الكبير ج 7 ص 112 و 113 و كتاب الأم ج 7 ص 183 و الشرح الكبير ج 7 ص 531 و كتاب المسند للشافعي ص 387 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 327 و مسند عمر بن عبد العزيز ص 173 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 454 و 464 و معرفة علوم الحديث ص 150 و مسند أبي حنيفة ص 40 و 270 و معرفة السنن و الآثار ج 5 ص 341 و الآحاد و المثاني ج 5 ص 29.

3- وفي رواية: أمرنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج حتى نهانا عنها [\(1\)](#) رواه مسلم.

4- وفي نص آخر رواه مسلم وغيره، عن سبرة أنه قال: أذن لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر، كأنها بكرة عطاء، فعرضنا أنفسنا عليها، فقالت: ما تعطي؟

فقلت: ردائي.

وقال صاحبي: ردائي.

وكان رداء صاحبي أجود من ردائي، وكنت أشب منه، فإذا نظرت إلى رداء

ص: 183

1- البداية والنهاية ج 4 ص 193 و 319، والإحسان ج 9 ص 457 و هامش ص 454 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 366، وراجع المعجم الكبير رقم 6525 و 6526، و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 203 و 202 و كشف القناع ج 5 ص 106 و نيل الأوطار ج 6 ص 269 و صحيح مسلم ج 4 ص 133 و فتح الباري ج 9 ص 146 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 58.

صاحبي أعجبها، وإذا نظرت إلي أعجبته، ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني.

فمكثت معها ثلاثاً، ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع، فليخل سبيلها» (1).

وللحديث نصوص أخرى متقاربة يمكن مراجعتها في المصادر المختلفة.

مناقشة روايات النسخ:

أولاً: إن رواية الحارث بن غزية، وكذلك رواية سبرة لا تتلاءم مع

ص: 184

1- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 131 و 133، وفتح الملك المعبود ج 3 ص 224، و سنن البيهقي ج 7 ص 202 و 203، و أوجز المسالك ج 9 ص 406، و مسند أحمد ج 3 ص 405. و روايات سبرة حول نهى النبي «صلى الله عليه وآله» عن المتعة يوم الفتح توجد في كتاب: التمهيد ج 10 ص 106، و البداية و النهاية ج 4 ص 193 عن البخاري، وأشار إليها الترمذي في الجامع الصحيح المطبوع مع تحفة الأحوزي ج 4 ص 268، و كذا في تحفة الأحوزي نفس الجزء، و الصفحة عن المنتقى، و التفسير الكبير ج 10 ص 51، و نصب الراية ج 3 ص 177، و المنار في المختار ج 1 ص 462، و فقه السنة ج 4 ص 42 و تحريم نكاح المتعة ص 58 و 59 و 61، و مسند الحميدي (ط المكتبة السلفية) ج 2 ص 374 و سنن سعيد بن منصور (ط دار الكتب العلمية) ج 1 ص 217 و راجع ص 218، و راجع: حواشي البجيرمي على الخطيب ج 3 ص 336، و مرقاة المفاتيح ج 3 ص 422 و المبسوط للسرخسي ج 5 ص 152 و سنن النسائي ج 6 ص 127 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 329 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 25 و تاريخ مدينة دمشق ج 20 ص 134 و تهذيب الكمال ج 9 ص 84.

الروايات الأخرى التي تقول: إن المتعة قد حرمت عام خير، أو أوطاس، أو عمرة القضاء، أو حنين، أو حجة الوداع، أو تبوك.

ثانياً: إنها تتناقض مع الروايات الكثيرة المثبتة في كتب أهل السنة، سواء في ذلك كتب الصحاح وغيرها. . والتي صرحت: بأن عمر هو الذي حرم زواج المتعة، وأن هذا الزواج كان حلالاً في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و عهد أبي بكر، و شطر من خلافة عمر.

وقد أوردنا في كتابنا: «زواج المتعة: تحقيق ودراسة» أكثر من مائة رواية تدل على بقاء حلية المتعة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ثالثاً: إن رواية سبرة المتقدمة لا تدل على التحريم، بل هو «صلى الله عليه وآله» قد أمرهم بتخلية سبيل النساء استعداداً للرحيل. . و لعل هذا هو النص المعقول من رواية سبرة.

و أما الكلمات التي تدل على التحريم المؤبد، فلعلها إضافات متعمدة على الروايات الصحيحة. .

رابعاً: هناك تناقضات لا بد من ملاحظتها في نفس رواية سبرة، فهل أعطى المتمتع تلك المرأة بردين أحمرين؟ (1). أم أعطاها برداً واحداً؟ (2).

ص: 185

-
- 1- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 133 و 134 و مسند عمر بن عبد العزيز ص 176 و المعجم الكبير للطبراني ج 7 ص 112 و نصب الراية ج 3 ص 333 و 337 و تهذيب الكمال ج 8 ص 177 و المنتخب من الصحاح الستة لمحمد حياة الأنصاري ص 133.
 - 2- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 131 و 132 و 133 و مسند أحمد ج 3 ص 404 و 405 و 406 و سنن الدارمي ج 2 ص 140 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 631 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 202 و 203 و مجمع الزوائد ج 4 ص 264 و المصنف للصنعاني ج 7 ص 504 و المنتقى من السنن المسندة ص 175 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 453 و 454 و 455 و المعجم الكبير للطبراني ج 7 ص 108 و 110 و 111 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 451 و 453 و معرفة علوم الحديث ص 176 و معرفة السنن و الآثار ج 5 ص 343 و التمهيد لابن عبد البر ج 10 ص 107 و 108 و الفائق في غريب الحديث ج 2 ص 414 و نصب الراية ج 3 ص 334 و كنز العمال 16 ص 524 و 525 و تفسير الميزان ج 4 ص 292 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 193 و تاريخ مدينة دمشق ج 20 ص 133 و ج 36 ص 324 و الإصابة ج 3 ص 26 و الخلاف للطوسي ج 4 ص 342.

و هل الذي كان مع سيرة هو أخوه؟ (1). أو ابن عم له؟ (2). أو أنه عمه؟ (3)

ص: 186

1- تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص 59.

2- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 132 و مسند أحمد ج 3 ص 405 و 406 و سنن الدارمي ج 2 ص 140 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 631 و مجمع الزوائد ج 4 ص 264 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 238 و المنتقى من السنن المسندة ص 175 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 454 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 452 و معرفة و الإستذكار ج 5 ص 504 و السنن و الآثار ج 5 ص 343 و التمهيد لابن عبد البر ج 10 ص 107 و 108 و الفايق في غريب الحديث ج 2 ص 414 و المعجم الأوسط ج 2 ص 83 و نصب الراية ج 3 ص 334 و كنز العمال ج 16 ص 525 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 193 و تاريخ مدينة دمشق ج 36 ص 324 و الخلاف للطوسي ج 4 ص 342 و جامع الخلاف و الوفاق ص 460 و الينايع الفقهية ج 38 ص 55.

3- راجع: المبسوط للسرخسي ج 5 ص 152.

أو أنه من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»؟ (1) أو أنه صاحبه؟ (2) أو أنه من قومه؟ (3) أي من جهينة. و جهينة من قضاة. أو أنه من بني سليم؟ (4) وهم إما بطن من عدنان، أو من قحطان (5).

و هل الوسيم الذي استمتع بالمرأة هو سبرة، و كان برده خلقاً؟ أما

ص: 187

1- راجع: مسند أحمد ج 3 ص 405 و تاريخ مدينة دمشق ج 18 ص 70 و ج 20 ص 133 و راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 131 و سنن النسائي ج 6 ص 127 و ج 7 ص 202 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 328 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 453 و المعجم الكبير ج 7 ص 110 و 111 و التمهيد لابن عبد البر ج 10 ص 108 و الفايق في غريب الحديث ج 2 ص 414 و نصب الراية ج 3 ص 334 و تهذيب الكمال ج 9 ص 84.

2- راجع: مسند أحمد ج 3 ص 404 و 405 صحيح مسلم ج 4 ص 133 و المصنف ج 7 ص 504 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 453 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 451 و 453 و كنز العمال ج 16 ص 524 و الإصابة ج 3 ص 26 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 25.

3- راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 202 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 455 و المعجم الكبير للطبراني ج 7 ص 111 و تفسير الميزان ج 4 ص 292 و صحيح مسلم ج 4 ص 132.

4- راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 203 و صحيح مسلم ج 4 ص 133 و معرفة علوم الحديث ص 176 و تاريخ مدينة دمشق ج 20 ص 133 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 455.

5- راجع: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص 261 و 279 و 408 و 444.

الآخر، فكان دميما، و برده جديد؟ أم العكس؟ (1).

خامسا: إن هذه الرواية خبر واحد، و النسخ لا يثبت بأخبار الآحاد، لأنها تنتهي إلى الحارث بن غزية، و سبرة بن معبد، برواية ولده عبد الرحمن بن سبرة عنه، ثم حفيده عبد الملك بن عبد الرحمن، عن أبيه.

إلا أن حذيفة قد روى هذه الرواية عن الزهري، عن محمد بن عبد الله عن سبرة (2).

مع أن المتوقع هو: أن يروي ذلك النسخ عن النبي «صلى الله عليه وآله» عشرات الصحابة، لأن رواية سبرة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعلن هذا التحريم على المنبر، و هو قائم بين الركن و المقام، أو بين الباب و الحجر، أو بين الباب و زمزم، أو نحو ذلك (3).

و من الواضح: أن هذا الأمر مما يهتم الناس لتحليله و لتحريمه على حد سواء.

سادسا: إن حديث سبرة متناقض في نفسه، لأن بعض نصوصه تقول:

ص: 188

1- راجع: مسند أحمد ج 3 ص 405 و مجمع الزوائد ج 4 ص 264، وقال: رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح.

2- تحريم المتعة للمحمدي ص 166 و 167 و راجع: أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 190.

3- راجع: التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص 107 و صحيح مسلم ج 4 ص 132 و مسند الحميدي ج 2 ص 374 و تحريم نكاح المتعة للمقدسي ص 61 و التفسير الحديث ج 9 ص 53 و المرأة في القرآن و السنة ص 180 و مصادر كثيرة أخرى.

إن ما جرى من تحليل، ثم تحريم المتعة قد كان عام الفتح (1).

وبعضها الآخر يصرح: بأن ذلك كان في حجة الوداع (2).

ص: 189

1- راجع: مسند أحمد ج 3 ص 404 و 405 و سنن الدارمي ج 2 ص 140 و صحيح مسلم ج 4 ص 132 و 133 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 202 و 204 و شرح مسلم للنووي ج 9 ص 180 و مجمع الزوائد ج 4 ص 264 و مسند الحميدي ج 2 ص 374 و المصنف لابن أبي شيبة ج 3 ص 389 و الآحاد و المثنائي ج 5 ص 29 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 328 و مسند عمر بن عبد العزيز ص 175 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 453 و المعجم الكبير للطبراني ج 7 ص 110 و 111 و 112 و الخلاف للطوسي ج 4 ص 342 و جامع الخلاف و الوفاق ص 460 و الينابيع الفقهية ج 38 ص 55 و المجموع للنووي ج 16 ص 254 و المبسوط للرخسي ج 5 ص 152 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 7 ص 537 و كشف القناع ج 5 ص 106 و نيل الأوطار ج 6 ص 269 و 273 و الغدير ج 6 ص 239 و ناسخ الحديث و منسوخه ص 464 و 465 و مسند أبي حنيفة ص 40 و معرفة السنن و الآثار ج 5 ص 341 و الإستذكار ج 5 ص 503 و التمهيد لابن عبد البر ج 10 ص 102 و 103 و نصب الراية ج 3 ص 336 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 58 و كنز العمال ج 16 ص 525 و شرح مسند أبي حنيفة ص 210 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 190 و البداية و النهاية ج 4 ص 220 و 364 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 366 و 601.

2- جامع الأصول ج 12 ص 135 و التمهيد ج 9 ص 104 و 105 و 106 و 107، و فتح القدير ج 1 ص 449، و الإستذكار ج 16 ص 290 و 291، و البناء في شرح الهداية ج 4 ص 100، و الجامع لأحكام القرآن ج 5 ص 131، و نيل الأوطار ج 6 ص 269 و 272، و فتح الباري ج 9 ص 146 و 149، و الإعتصام بحبل الله المتين ج 3 ص 204 و 203، و راجع شرح الموطأ للزرقاني ج 4 ص 46 عن أبي داود، و عن سنن أبي داود ج 1 ص 283 و ج 2 ص 226 و 227 الحديث رقم (2072)، و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 474، و البداية و النهاية ج 4 ص 418 و مسند أحمد ج 3 ص 404 و 405، و تحريم نكاح المتعة للمقدسسي ص 34 و 35، و الإعتبار في النسخ و المنسوخ ج 5 ص 176 و راجع ص 177، و شرح النووي على صحيح مسلم ج 9 ص 180 و تاريخ بغداد ج 6 ص 105 و 106 و أوجز المسالك ج 9 ص 407، و المنتقى ج 2 ص 522 عن أحمد، و أبي داود، و السنن الكبرى ج 7 ص 203 و 204، و راجع غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ج 2 ص 335، و شرح معاني الآثار ج 3 ص 25، و كنز العمال ج 22 ص 97 و 98 عن ابن جرير، و عبد الرزاق، و إرواء الغليل ج 6 ص 312 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 631 و سنن الدارمي ص 140 و الإحسان ج 9 ص 454 و 455 و كتاب العلوم لأحمد بن عيسى بن زيد ص 12، و السيرة الحلبيية ج 3 ص 103، و الهداية في تخريج أحاديث البداية ج 6 ص 508 عن صحيح ابن حبان، و عن المنتقى لابن الجارود ص 234، و مجمع الزوائد ج 4 ص 264 عن أحمد و رجاله رجال الصحيح.

أوفي عمرة القضاء (1). فأى ذلك هو الصحيح؟!

تعدد نسخ تشريع المتعة:

أما حديث: أن هذا الزواج أبيع ثم نسخ، ثم أبيع، ثم نسخ، مرتين أو ثلاثا، أو أكثر، فهو غير صحيح، فإن المتعة قد شرعت بالقرآن، وقام

ص: 190

1- راجع: التمهيد ج 9 ص 108، ونيل الأوطار ج 6 ص 272، وشرح النووي على مسلم ج 9 ص 180 والمجموع للنووي ج 16 ص 254 وعمدة القاري ج 10 ص 166 والمصنف للصنعاني ج 7 ص 504 والإستذكار لابن عبد البر ج 5 ص 504 والجامع لأحكام القرآن ج 5 ص 131.

الإجماع على تشريعها، ودلت على ذلك أيضا الأخبار المتواترة.

وقد ذكرنا: أن جماعات كثيرة من الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب، وعلماء السلف قائلون ببقاء تشريعها. . ولكن عمر هو الذي حرّمها.

فإذا كانت المتعة قد شرعت بالقرآن، فالسنة لا تنسخ القرآن (1). كما أن

ص: 191

1- المستصفى للغزالي ج 1 ص 124 و (ط دار الكتب العلمية) ص 99 و 100 و 101 وفواتح الرحموت بهامشه ج 2 ص 78، و الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج 3 ص 139 و راجع ج 4 ص 107 ونهاية السؤل للأسنوي ج 2 ص 579 و 580 و 586 متنا و هامشا، و راجع ج 4 ص 457، و إرشاد الفحول ص 191، وقال: وبه جزم الصيرفي والخفاف، و أصول السرخسي ج 2 ص 67 و 68 و 69، و لباب التأويل للخازن ج 1 ص 343 و الإعتبار في النسخ و المنسوخ من الآثار ص 28 و تنقيح الفصول ص 311 و أحكام الفصول لابن خلف الناجي ص 358 و تيسير التحرير ج 3 ص 201 و إرشاد الفحول ص 190 وفواتح الرحموت ج 2 ص 76 و الغدير ج 6 ص 233 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 203 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 206 و المحصول للرازي ج 3 ص 351 و المجموع للنووي ج 15 ص 422 و نيل الأوطار ج 6 ص 152 و فتح الباري ج 5 ص 278 و تحفة الأحوذى ج 6 ص 261 و تفسير الرازي ج 20 ص 116 و الفصول في الأصول للجصاص ج 2 ص 353 و الإستذكار ج 7 ص 264 و فقه القرآن للراوندي ج 2 ص 370 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 206 و الإتيان في علوم القرآن ج 2 ص 56 و أضواء البيان للشنقيطي ج 2 ص 451 و اللمع في أصول الفقه ص 174 و إختلاف الحديث للشافعي ص 484 وعمدة القاري ج 1 ص 247 و التبيان ج 3 ص 167.

السنة المتواترة لا تنسخ بأخبار الآحاد (1).

وقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «والقول بأن السنة لا تنسخ القرآن مذهب أكثر الشيعة، وجماعة من المتفقهة وأصحاب الحديث، و يخالفه كثير من المتفقهة والمتكلمين (2)».

وتعدد النسخ مما لا يعهد في الشرع، ولا يقع مثله فيها (3).

وقال العسقلاني عن روايات النسخ: لا يصح من الروايات شيء بغير

ص: 192

1- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج 2 ص 134، وإرشاد الفحول ص 190 وأضواء البيان للشنقيطي ج 4 ص 403 و 451 و نيل الأوطار ج 9 ص 194 وفتح الباري ج 5 ص 207 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 479 و شرح مسلم للنووي ج 4 ص 37 و اللمع في أصول الفقه ص 173 منتهى المطلب (ط ج) ج 2 ص 83 و الينابيع الفقهية ج 12 ص 156 و ج 34 ق 1 ص 271 و شرح النهج للمعتزلي ج 19 ص 42 و التبيان ج 2 ص 108 و تفسير جوامع الجامع ج 1 ص 181 و نواسخ القرآن ص 27 و تفسير الرازي ج 5 ص 68 و ج 9 ص 232 و ج 10 ص 43 و ج 11 ص 21 و 163 و تفسير البحر المحيط ج 3 ص 204 و عدة الأصول (ط ج) ج 2 ص 531 و الفصول في الأصول ج 1 ص 163 و 196 و ج 2 ص 276 و 321 و المستصفى ص 248 و المحصول ج 3 ص 349.

2- راجع: أوائل المقالات ص 123.

3- راجع: زاد المعاد ج 2 ص 183 و فقه السنة ج 2 هامش ص 42 و المنتقى ج 2 هامش ص 92 و البداية والنهاية ج 4 ص 193 و تفسير النيسابوري (مطبوع بهامش الطبري) ج 5 ص 19 و التفسير الكبير للرازي ج 10 ص 52 و سنن البيهقي ج 7 ص 201 و 207.

وروايات الفتح خبر واحد، لا يصح النسخ بها، بالإضافة إلى عاهات وعلل أخرى ذكرنا بعضها في كتاب: «زواج المتعة تحقيق ودراسة» فراجع.

على أن نفس القائلين بنسخ المتعة في زمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يروون: أن الصحابة كانوا يستمتعون على عهد أبي بكر وعمر، حتى نهاهم عمر.

وأما ما نسب إلى ابن عباس: من أنه رجع عنها، إلا في حال الضرورة، فهو لا يفيد شيئاً، لأن المفروض: أن الرجوع عنها يقتضي القول بنسخها مطلقاً.

مع أنهم ينسبون إليه أنه قال: إنه إنما أحلها حال الضرورة. وأنه لم يرجع عن قوله هذا. والحال أنهم ينكرون بقاء تشريعها حتى في هذه الحال أيضاً.

مدة الإقامة التي يجب فيها القصر:

عن ابن عباس قال: أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين (2).

ص: 193

1- فتح الباري ج 9 ص 146 و 147.

2- سبل السلام ج 2 ص 40 و صحيح البخاري ج 5 ص 95 و فتح الباري ج 7 ص 18 و عمدة القاري ج 17 ص 288 و راجع: معرفة السنن والآثار ج 2 ص 434 و المجموع للنووي ج 4 ص 360 و فتح الباري ج 2 ص 463 و ج 8 ص 17 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 341 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 149 و 150 و صحيح ابن خزيمة ج 2 ص 75 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 416 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 261 و تلخيص الحبير ج 4 ص 450.

وفي لفظ: «أقمنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة تسعة عشر نقصر الصلاة» (1).

وعند أبي داود: سبعة عشر (2).

وعن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الفتح، فأقام بمكة ثمانين ليلة لا يصلي إلا ركعتين» (3).

ص: 194

-
- 1- سبل السلام ج 2 ص 40 وصحيح البخاري ج 5 ص 95 وعمدة القاري ج 17 ص 288 معرفة السنن والآثار ج 2 ص 434 ونصب الراية ج 2 ص 221 وأضواء البيان ج 1 ص 275 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 562 والمجموع للنووي ج 4 ص 360 والبداية والنهاية ج 4 ص 362 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 599 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 261.
- 2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 143 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 261 عن البخاري، وأبي داود، والسيرة الحلبية ج 3 ص 104 وتاريخ الخميس ج 2 ص 90 ونصب الراية ج 2 ص 221 وراجع: سبل السلام ج 2 ص 40 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 562 ونيل الأوطار ج 3 ص 256 والمجموع للنووي ج 4 ص 360 والمعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 258 وفتح الباري ج 2 ص 463 وتحفة الأحوذى ج 3 ص 93 وتلخيص الحبير ج 4 ص 450 والبداية والنهاية ج 4 ص 362 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 599 والسنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 149 و 150 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص 202 والمعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 207.
- 3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 261 و ج 8 ص 231 عن أبي داود، والسيرة الحلبية ج 3 ص 104 وتحفة الأحوذى ج 3 ص 91 و 93 وعون المعبود ج 4 ص 70 والمصنف لابن أبي شيبة ج 1 ص 419 و ج 2 ص 338 والمعجم الكبير للطبراني ج 18 ص 209 والإستذكار ج 2 ص 229 و ج 2 ص 243 و 250 والتمهيد لابن عبد البر ج 16 ص 314 و ج 22 ص 307 ونصب الراية ج 2 ص 224 و 225 و 226 والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 1 ص 212 وكنز العمال ج 7 ص 545 و ج 8 ص 237 وأحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 318 وأضواء البيان للشنقيطي ج 1 ص 277 والبداية والنهاية ج 4 ص 362 و 463 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 599 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 143 و 144 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 562 والمغني لابن قدامة ج 2 ص 130 و 138 والشرح الكبير لابن قدامة ج 2 ص 103 وتلخيص الحبير ج 4 ص 449 ونيل الأوطار ج 3 ص 256 والغدير ج 8 ص 113 و مسند أحمد ج 4 ص 431 و 432 و سنن أبي داود ج 1 ص 275 والسنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 157 وفتح الباري ج 2 ص 463.

وعن أنس قال: «أقمنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرة تقصر الصلاة» (1).

وقال الشافعي: «قد قصر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 195

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 261 عن البخاري باب مقام النبي «صلى الله عليه وآله» بمكة زمان الفتح، وعن صحيح مسلم ج 2 ص 141 ح (15) و (ط دار الفكر) ص 145 وعن صحيح البخاري ج 1 ص 367 ح (1031) وج 4 ص 1564 ح (1046). وراجع: المحلى ج 5 ص 26 و تلخيص الحبير ج 4 ص 444 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 342 و السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 153 و شرح مسلم للنووي ج 5 ص 202 و الديباج على مسلم ج 2 ص 328 و ضعفاء العقيلي ج 4 ص 400 و صحيح ابن خزيمة ج 2 ص 75.

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وابن عباس: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقام بمكة عام الفتح خمس عشرة بقصر الصلاة» (2).

وعن عراك بن مالك: أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرين ليلة يصلي ركعتين (3).

قال الحلبي: «وبهذا الثاني قال أئمتنا: إن من أقام بمحل لحاجة يتوقعها

ص: 196

1- الأم ج 1 ص 165 وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 153 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 437.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 261 و ج 8 ص 231 عن أبي داود، و النسائي، و صححه الحافظ. و المغازي للواقدي ج 2 ص 871 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و أضواء البيان ج 1 ص 276 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 144 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 562 و المجموع للنووي ج 4 ص 360 و تحفة الأحوزي ج 3 ص 92 و 93 و عون المعبود ج 4 ص 70 و المصنف لابن أبي شيبة ج 2 ص 340 و ج 8 ص 540 و المعجم الكبير للطبراني ج 10 ص 304 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 562 و معرفة السنن والآثار ج 2 ص 434 و البداية و النهاية ج 4 ص 362 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 599 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 342 و شرح معاني الآثار ج 1 ص 417 و تلخيص الحبير ج 4 ص 450 و ج 7 ص 355 و سبل السلام ج 2 ص 40 و نيل الأوطار ج 3 ص 256 و الإستذكار لابن عبد البر ج 2 ص 246 و 248 و نصب الراية ج 2 ص 224 و الجواهر النقي ج 3 ص 151 و سنن أبي داود ج 1 ص 275 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 151.

3- المغازي للواقدي ج 2 ص 871 و تلخيص الحبير ج 4 ص 449 و تحفة الأحوزي ج 3 ص 94 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 201.

كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول و الخروج، و لعل سبب إقامته المدة المذكورة: أنه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في أهل الضعف من أصحابه، فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة إلى حنين لحرب هوازن» (1).

ونقول:

1- إن الثابت عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام»: أن من نوى إقامة عشرة أيام فإنه يتم الصلاة، أما من بقي مترددا فإنه يقصر الصلاة إلى شهر، ثم يبدأ بالإتمام.

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن ثمة اختلافا في مدة بقاء النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة، ما بين عشرة أيام إلى عشرين يوما.

فإن أخذنا برواية بقاءه عشرة أيام، فإن القصر في الصلاة يصبح أمرا طبيعيا إذا كانت العشرة غير تامة.

وإن أخذنا بسائر الروايات: فإن تقصير الصلاة لا بد أن يكون بسبب التردد في مدة البقاء، و توقع الخروج يوما بعد آخر.

فإن اعترض أحد: بأنه كيف يتردد النبي «صلى الله عليه وآله»، و أنتم تقولون: إن الله يطلعه على غيبه؟!!

فالجواب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما يتعامل مع الأمور وفق مسارها الطبيعي، لا وفق ما يطلع عليه بوسائط غير عادية. فإذا علم بعلم الشاهدية: أن فلانا مثلا سارق، فليس له أن يقطع يده إذا لم يشهد شاهدان عليها بالسرقة، أو يقر هو بذلك.

ص: 197

و كذلك الحال: لو أخبره جبرئيل «عليه السلام»: بأن مقامه بمكة سوف يستمر إلى عشرين يوما. لكن مسار الأمور يعطي: أن يتوقع الخروج يوما بعد آخر. فإن عليه أن يعمل وفق هذا المسار الطبيعي، الذي يجعل الناس عادة في موقع التردد؛ فيأخذ حكم المتردد في الإقامة في عباداته، و معاملاته مع الناس. و غير ذلك.

2-إن ما ذكره: من أن سبب بقاءه «صلى الله عليه وآله» في مكة هو توقع حصول المال الذي اقترضه، ليؤديه لأصحابه. غير سديد:

أولاً: لأن أداء دينه لا- يحتاج إلى بقاءه، إذ يمكنه أن يرجع إلى المدينة، و يرسل به إلى دائنه. خصوصا وأن الذين يعطون الأخماس و الزكوات لم يحملوا أموالهم إلى مكة ليؤدوا للنبي «صلى الله عليه وآله» الحق الشرعي منها. . و لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يعتمد في أداء ديونه على غنائم الحرب، و لا كان يخطط لشن غزوات من أجل أدائها منها.

ثانيا: إنه ليس ثمة ما يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد التزم بأداء ذلك المال و هو في مكة، كما لا دليل على أنه التزم بأدائه لهم في هذه المدة الوجيزة، فلعل مهلة الأداء تمتد إلى شهور، أو سنوات.

ثالثاً: إن خروجه «صلى الله عليه وآله» إلى حرب هوأزن ليس لأجل الحصول على المال، بل لأنها حرب قد فرضت عليه في هذا الوقت، بسبب جمعهم له، و ظهور خطرهم. . على أن حصول النبي «صلى الله عليه وآله» على المال لا ينحصر بأن يكون عن طريق الغزو، فهناك مصادر أخرى له، مثل الزراعات و التجارات، و الأخماس المترتبة على الناس في أموالهم حسبما ألمحنا إليه.

قالوا: وولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عتاب بن أسيد، وعمره ثماني عشرة، أو إحدى وعشرون سنة أمر مكة، وأمره «صلى الله عليه وآله» أن يصلي بالناس، وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة (1).

قال في السيرة الحلبية: «في الكشف، وعنه «صلى الله عليه وآله»: أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «انطلق فقد استعملتكم على أهل الله. أي وقال ذلك ثلاثا» فكان شديدا على المريب، لينا على المؤمن.

وقال: والله، لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق.

فقال أهل مكة: يا رسول الله، لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد، أعرابيا، جافيا؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب، فقلقلها قلقلًا شديدا حتى فتح له، فدخلها، فأعز الله به الإسلام، فنصرته للمسلمين على من يريد

ص: 201

هذا . وفي تاريخ الأزرقى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد رأيت أسيدا في الجنة، وأنى. أي كيف يدخل أسيد الجنة.

فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: هذا الذي رأيت، ادعوه لي.

فدعي له، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال: يا عتاب، أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله، فاستوص بهم خيرا. يقولها ثلاثا.

فإن قيل: كيف يقول عن أسيد إنه رآه في الجنة، ثم يقول عن ولد أسيد إنه الذي رآه في الجنة.

قلنا: لعل عتابا كان شديد الشبه بأبيه، فظن «صلى الله عليه وآله» عتابا أباه، فلما رآه عرف أنه عتاب لا أسيد.

وفي كلام سبط ابن الجوزي: عتاب بن أسيد استعمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة لما خرج إلى حنين وعمره ثماني عشرة سنة.

وفي كلام غيره ما يفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عودته من الطائف، وعمرته من الجعرانة.

إلا أن يقال: لا مخالفة، و مراده باستخلافه إبقاؤه على ذلك.

إلى أن قال في السيرة الحلبية: و كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 202

1- السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 59 و 60 و تفسير الثعلبي ج 6 ص 128 و ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 406 و الإصابة ج 4 ص 357 و لسان الميزان ج 3 ص 270.

رأى في المنام: أن أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما، فمات على الكفر، فكانت الرؤيا لولده، كما تقدم مثل ذلك في أبي جهل وولده عكرمة.

ولما ولاه «صلى الله عليه وآله» على مكة جعل له في كل يوم درهما، فكان يقول: لا أشبع الله بطنا جاع على درهم في كل يوم.

ويروى: أنه قام فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم. أي له درهم، فقد رزقني رسول الله «صلى الله عليه وآله» درهما في كل يوم، فليست لي حاجة إلى أحد.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة».

ولعل الدرهم كل يوم يحرز القدر المذكور: أي أربعين أوقية في السنة فلا مخالفة (1).

وستأتي مناقشة هذه الأقاويل إن شاء الله تعالى.

كتاب النبي صلى الله عليه وآله للمكيين مع عتاب:

وقالوا أيضا: لما حتم قضاء الله بفتح مكة، واستوسقت له أمر عليهم عتاب بن أسيد، فلما اتصل بهم خبره قالوا: إن محمدا لا يزال يستخف بنا حتى ولى علينا غلاما حدث السن ابن ثمانى عشرة سنة، ونحن مشايخ ذوي الأسنان و جيران حرم الله الآمن، و خير بقعة على وجه الأرض.

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعتاب بن أسيد عهدا على مكة

ص: 203

1- السيرة الحلبية ج 4 ص 105 و (ط دار المعرفة) ج 3 ص 59 و 60.

«من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جيران بيت الله الحرام، وسكان حرم الله.

أما بعد . فمن كان منكم بالله مؤمنا، وبمحمد رسوله في أقواله مصدقا، وفي أفعاله مصوبا، ولعلي أخي محمد رسوله، ونبيه، وصفيه، و وصيه، وخير خلق الله بعده مواليا، فهو منا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفا، فسحقا وبعدا لأصحاب السعير، لا يقبل الله شيئا من أعماله، وإن عظم وكبر، يصلية نار جهنم خالدا مخلدا أبدا.

وقد قلد محمد رسول الله عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد فوض إليه تنبيه غافلکم، وتعليم جاهلكم، وتقويم أود مضطربكم، وتأديب من زال عن أدب الله منكم، لما علم من فضله عليكم، من موالاة محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ومن رجحانه في التعصب لعلي ولي الله، فهو لنا خادم، وفي الله أخ، ولأوليائنا موال، ولأعدائنا معاد، وهو لكم سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، قد فضله الله على كافتكم بفضل موالاته ومحبه لمحمد وعلي، والطيبين من آلهمما، وحكمه عليكم، يعمل بما يريد الله فلن يخليه من توفيقه.

كما أكمل من موالاة محمد وعلي «عليه السلام» شرفه وحظه، لا يؤامر رسول الله ولا يطالعه، بل هو السديد الأمين.

فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء، وعظيم الحباء.

وليتوق المخالف له شديد العذاب، وغضب الملك العزيز الغلاب.

ولا يحتج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل،

بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر في مولاتنا وموالاة أوليائنا، ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم، والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحبا به. ومن خالفه فلا يبعد الله غيره» .

قال: فلما وصل إليهم عتاب وقرأ عهده، وقف فيهم موقفا ظاهرا نادى في جماعتهم حتى حضروه، وقال لهم:

معاشر أهل مكة، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رمانى بكم (1) شهابا محرقا لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإني أعلم الناس بكم وبمنافقكم، وسوف آمركم بالصلاة فيقام بها، ثم أتخلف أراعي الناس، فمن وجدته قد لزم الجماعة التزمت له حق المؤمن على المؤمن، ومن وجدته قد بعد عنها فتشته، فإن وجدت له عذرا عذرتة، وإن لم أجد له عذرا ضربت عنقه، حكما من الله مقضيا على كافتك، لأطهر حرم الله من المنافقين.

أما بعد. . فإن الصدق أمانة، والفجور خيانة، ولن تشيع الفاحشة في قوم إلا ضربهم الله بالذل، قويمكم عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى أخذ الحق له.

اتقوا الله، وشرفوا بطاعة الله أنفسكم، ولا تذلوها بمخالفة ربكم.

ففعّل والله كما قال، وعدل، وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتديا بهدى الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة (2).

ص: 205

1- لعل الصحيح: رماكم بي.

2- البحار ج 21 ص 122-124 والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص 555 و 557 وراجع: الإقبال ص 318 ومدينة البلاغة ج 2 ص 292.

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «لا يخفى ما في هذا الكتاب من آثار الكلفة والصنعة، مع ضعف هذا التفسير في الإنتساب إليه صلوات الله وسلامه عليه (وآله)».

هذا مضافا إلى أن يخالف أسلوب كتبه «صلى الله عليه وآله» (1).

عتاب قاض، أم أمير؟ ! :

وقد قال الدميري: «عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي «صلى الله عليه وآله» قاضيا على مكة يوم الفتح» (2).

والظاهر: أن هذا غير دقيق، فإن الروايات تؤكد أنه أمير، والقضاء من الشؤون التي ترجع إلى الأمير أيضا.

تولية عتاب على مكة و خلافة الرسول صلى الله عليه وآله:

وبعد . فإن تولية عتاب على مكة وهو قرشي، وعمره ثماني عشرة، أو إحدى وعشرون سنة، ثم تولية أسامة بن زيد على المهاجرين والأنصار بعد ذلك وعمره ثماني عشرة سنة يثيران أمامنا العديد من الأمور.

ولعل أهمها: أن ذلك يدخل في سياق إبطال التعللات التي يحاول مناوئوا علي «عليه السلام» أن يتذرعوا بها في تمردهم عليه، وردّ أمر الله ورسوله فيه.

ص: 206

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 262.

2- حياة الحيوان ج 2 ص 13 ووفيات الأعيان ج 6 ص 149.

فتولية عتاب بن أسيد، على شيوخ قریش، وعتاتها، والمستكبرين فيها، وهو الشاب ذو الثمانية عشر عاما أو أكثر بيسير، الذي تربى في محيط مكة، و ترعرع بين شعابها، ويعرف الناس عنه كل شاردة و واردة، مما لا يستسيغه أولئك الناس، ولا يجذبونه، بل هم يفضلون رجلا شيخا مجربا قرشيا، ظاهر السيادة فيهم، عظيم المقام بينهم.

و إذا كان قد سهل عليهم أن يتجرعوا هذه الكأس، و لو بشيء من المرارة، أو التبرم، و الإستهجان، فذلك لأنه قرشي، و هو منهم وإليهم.

و لو كان من غيرهم، كأن يكون من الأنصار مثلا، فإن المصيبة ستكون عليهم أشد، و البلاء سيكون أعظم.

ثم جاءت تولية أسامة بن زيد على شيوخ المهاجرين و الأنصار في مرض رسول الله «صلى الله عليه و آله» مع ما لها من ارتباط وثيق بموضوع خلافة الرسول «صلى الله عليه و آله» ، و ما لها من أثر في إبطال الذرائع التي ربما تكون قد أعدت سلفا و كان عمره أيضا ثمانية عشر عاما، فكانت الضربة القاسية التي استهدفت صميم مشروعهم الانقلابي على العهود التي أعطوها لرسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و على ما أنشأوه من بيعة لعلي «عليه السلام» بالإمامة في يوم غدیر خم.

فلم يعد يفيدهم القول: بأن ثمة من هو أسنّ من علي «عليه السلام» ، و الناس لا يرضون بتقديمه عليهم، إذ كيف رضي عتاة قریش بتولية عتاب على مكة. . و كيف رضي شيوخ المهاجرين و الأنصار بتولية أسامة بن زيد عليهم.

فإن أمكن التعلل: بأن قضية أسامة إنما ترتبط بشأن الحرب، و ليس

بالضرورة أن يكون الخبير بالحرب مؤهلاً لقيادة الأمة في سائر شؤونها: السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، ولا أن يكون قادراً على حل مشاكلها في سائر المجالات، فضلاً عن أن يكون أهلاً لمقام الفتوى والقضاء، وتربية الناس، تربية صالحة، وبث المعارف الصحيحة فيهم.

فإن الجواب عن ذلك هو:

أولاً: إن تولية عتاب بن أسيد على مكة لا تختص بالأمور العسكرية، بل هي لإدارة جميع الشؤون السياسية، والإجتماعية، وغيرها.

ثانياً: إن القيادة العسكرية هي من شؤون الحاكم أيضاً. فإذا كان أسامة، وهو الشاب الذي قد لا يزيد سنّه على ثمانية عشر عاماً، أُلقيَ ممن يرشحون أنفسهم لخلافة النبوة، ويكون هو الذي يصدر الأوامر إليهم، ويدبر شؤونهم، فما بالك بسائر الشؤون؟!

وكيف يمكن إثبات جدارة هؤلاء الناس لمقام خلافة النبوة، في الأمور الأعظم أثراً، والأكثر خطراً؟!

ثالثاً: لو كان السن هو المعيار لقيادة الأمة، لم يصح أن يبعث الله أحداً من الأنبياء، والرسل ولا أنه يجعل أحداً من الناس رسولاً أو حاكماً للأمة إلا إذا كان أكبر الناس سناً. ولبطلت نبوة نبينا «صلى الله عليه وآله»، لأن المفروض: أنه حين صار نبياً، ثم حين صار رسولاً كانت هناك فئات كبيرة من الأمة تكبره من حيث السن.

خلاصة و توضيح:

إن عتاب بن أسيد قد أسلم يوم الفتح. وقد كان في المهاجرين المكيين،

من هو أفضل وأورع وأتقى، وأكثر تجربة منه بلا شك. .

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» في نفس الوقت الذي يريد أن يكون والي مكة من قريش، فإنه أراد من يعيش في مكة. .

و ممن أسلم يوم الفتح بالذات، فإن حقد عتاة قريش عليه أضعف، و حساسيتهم منه تكون أقل. .

و أراد من أيضا بهذا السن.

و أراد أن يبقيه لآخر حياته «صلى الله عليه وآله» ، لأن ذلك يبطل ما سوف يتذرع به نفس هؤلاء، نصرة لأحبابهم لردّ خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وهو أن من اختاروه كان أكبر سنا من علي، وأن الناس لا يرضون بعلي «عليه السلام» بسبب حداثة سنه، وهذه الذريعة سوف تظهر، على رغم وجود عتّاب أميرا على مكة فعلا.

و مع أمارّة أسامة عليهم في المدينة فعلا أيضا. .

و رغم أنهم قد بايعوه يوم الغدير.

و رغم أن توليته «صلى الله عليه وآله» من هو أصغر من علي «عليه السلام» سنا، سواء لأمر البلاد، كما هو الحال في مكة، التي هي قلب الإسلام النابض، أو لأمر الجيوش في الحروب، كما في قضية تولية أسامة بن زيد، و بديهي: أن قيادة الجيوش تعني أن تصبح أرواح الناس، و خصوصا الثلة المؤمنة، و مصير البلاد، بل مصير الأمة بأسرها، مرهونة بسياسات هذا القائد، و خطته، و قرارته. .

إن ذلك كله يوضح: أن قضية تولية عتّاب كانت في غاية الأهمية، و في

لا حاجة إلى المبالغة في أمر عتاب:

إن عتاب بن أسيد قد أسلم يوم الفتح، و توفي يوم موت أبي بكر، وقيل: غير ذلك (1).

وعتاب أموي نسبة (2).

ص: 210

1- أسد الغابة ج 3 ص 358، و تهذيب التهذيب ج 7 ص 82 و 191، و الإصابة في تمييز الصحابة ج 2 ص 451/5391، و الطبقات الكبرى ج 5 ص 446 و شرح مسند أبي حنيفة ص 546 و تهذيب الكمال ج 19 ص 282 و 283 و الأعلام للزركلي ج 4 ص 199 و 200 و الإصابة ج 4 ص 356 و راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 30 و تحفة الأحوزي ج 3 ص 244 و عون المعبود ج 4 ص 345 و البداية و النهاية ج 7 ص 41 و الوافي بالوفيات ج 19 ص 289 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 98 و المعارف لابن قتيبة ص 283 و الكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج 1 ص 695 و الثقات لابن حبان ج 3 ص 304 و شرح النهج للمعتزلي ج 11 ص 123.

2- الاستيعاب ج 3 ص 1023 و طبقات خليفة بن خياط ص 485 و تاريخ مدينة دمشق ج 21 ص 181 و ج 37 ص 11 و الوافي بالوفيات ج 19 ص 289 و البداية و النهاية ج 7 ص 41 و أسد الغابة ج 3 ص 308 و الكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج 1 ص 695 و الإصابة ج 5 ص 35 و الأعلام للزركلي ج 4 ص 199 و المعارف لابن قتيبة ص 283 و اللباب في تهذيب الأنساب ج 2 ص 319 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 612 و ج 3 ص 97 و شرح النهج للمعتزلي ج 11 ص 123 و ج 15 ص 265 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 446 و الآحاد و المثاني ج 1 ص 403 و المعجم الكبير للطبراني ج 17 ص 161 و تاريخ خليفة بن خياط ص 77 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 595 و عمدة القاري ج 17 ص 158 و تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 149 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 347 و تفسير الثعلبي ج 2 ص 285 و ج 6 ص 128 و الأحكام لابن حزم ج 7 ص 983 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 67 و ج 3 ص 304 و الدرر لابن عبد البر ص 225 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 10 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 181 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 615.

وقد أبقاه أبو بكر على مكة إلى أن مات (1). وهذا يشير إلى مدى التوافق و الإنسجام بين عتّاب و أبي بكر.

و يظهر من إبقاء معاذ معه في مكة لتعليم الناس أحكام دينهم، رغم أن ما يحتاجون إليه هو أبسط الأمور، مثل تعليم الصلاة، و الوضوء، و نحو ذلك: أن عتّابا لم يكن قادرا على القيام بهذه المهمة، بل كان هو بحاجة إلى أن يتعلم من معاذ نفس ما كان أهل مكة يتعلمونه منه، لأنه إنما أسلم كغيره قبل أيام من توليته.

كما أن من يسلم قبل أيام من توليته، فلا مجال للمبالغة في إخلاصه لهذا الدين، و لا في تقواه، و لا في معارفه الإيمانية، و لا . . . إلا سبيل الادّعاء و التكلف.

ص: 211

1- الأعلام للزركلي ج 4 ص 200 و المعارف لابن قتيبة ص 283 و الكاشف من معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج 1 ص 695 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 612 و ج 3 ص 98 و الوافي بالوفيات ج 19 ص 289 و البداية و النهاية ج 7 ص 41 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 10.

وبعد ما تقدم نقول:

قد ذكروا: أن عتّاباً قد هدد بقتل المتخلفين عن الجماعة، غير أننا نلاحظ: أن هذا لا يكشف عن شدة تعلق عتّاب بهذا الدين، ولا عن اهتمامه بتطبيق أحكامه، إذ قد يكون داعيه إلى ذلك هو جمع الناس إلى جماعته، والطمأنينة إلى بسط نفوذه.

إستدلالات واهية أخرى:

ثم إن من غير الطبيعي أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يستدل على صحة اختياره لعتاب، وعلى أهليته لمقام الولاية، بأنه من أهل الجنة، فإن كون إنسان من أهل الجنة لا يدل على مقدرته، وأهليته لمقام ولاية أمور الناس.

ويدل على ذلك: أن هؤلاء القوم، هم الذين يروون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لأبي ذر: «إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تأمرنّ على اثنين ولا تولين مال يتيم» (1).

ص: 212

1- المغني لابن قدامة ج 6 ص 577 و شرح الأزهاري ص 308 و الشرح الكبير لابن قدامة ج 6 ص 590 و جواهر العقود ج 2 ص 281 و نيل الأوطار ج 9 ص 167 و فقه السنة ج 3 ص 580 و البحار ج 22 ص 406 و ج 72 ص 4 و 342 و مستدرک سفينة البحار ج 10 ص 583 و مسند أحمد ج 5 ص 180 و صحيح مسلم ج 6 ص 7 و سنن أبي داود ج 1 ص 655 و سنن النسائي ج 6 ص 255 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 91 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 129 و ج 6 ص 283 و ج 10 ص 95 و شرح مسلم للنووي ج 12 ص 210 و عمدة القاري ج 12 ص 19 و شرح سنن النسائي للسيوطي ج 6 ص 255 و السنن الكبرى والنسائي ج 4 ص 113 و أمالي المحاملي ص 389 و معرفة السنن والآثار ج 7 ص 353 و رياض الصالحين للنووي ص 340 و نصب الراية ج 5 ص 41 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 166 و العهود المحمدية ص 893 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 465 و ج 3 ص 42 و الأحكام لابن حزم ج 5 ص 694 و ج 7 ص 986 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 231 و علل الدارقطني ج 6 ص 285 و تاريخ مدينة دمشق ج 66 ص 219 و تهذبي الكمال ج 10 ص 141 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 75 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 377 و أخبار القضاة ج 1 ص 21 و فتوح مصر و أبارها ص 480 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 406 و سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 103.

ولا يشك أحد في عظمة أبي ذر، وفي رفعة مقامه في الجنة.

وأما الحديث عن عزة الإسلام بعتاب بن أسيد، فلم يظهر له وجه، فإن مجرد توليه مكة من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعني أن يعزّ الإسلام به، وأن تأتي البشارة بهذا العز لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في المنام.

النبي صلى الله عليه وآله لا يعرف الأب من الابن:

ولا ندري كيف صح للحلبي الشافعي أن يزعم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يميز بين عتاب وبين أبيه أسيد، لشدة الشبه بينهما.

فأولاً: كيف يستطيع أن يثبت الحلبي هذا الشبه الشديد بين الأب والابن، فإن مجرد الإحتمال لا يجدي في رفع المناقضة.

ثانياً: لنفترض: أن ثمة شهما، ولكن أليس الأب شيخاً، وعتّاب

شاباً؟! فهل يعقل أن لا يميز بين الشيخ الكبير و الشاب الذي لا يتجاوز عمره الثمانية عشر عاماً، أو أكثر من ذلك بقليل؟!

ثالثاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يخلط بين الأمور إلى هذا الحد، فكيف يمكن أن نطمئن إلى أن هذا الخلط و الإشتباه لم يحصل في ما هو أهم من هذا و ذلك؟!

و أين هو موقع عصمة الأنبياء، و تسديدهم؟!

أليس يقولون: إن رؤيا الأنبياء وحي أيضاً؟!

فهل يمكن أن يتطرق الخطأ إلى الوحي الإلهي؟!

أهل مكة أهل الله!! :

و أما وصف أهل مكة: بأنهم أهل الله، فلا ندري كيف نفهمه، أو نفسره؟ إذ إنهم قد استسلموا و أصبحوا في قضية الإسلام قبل أيام، و لم يسلم الكثيرون منهم حتى هذه الساعة، و الذين اسلموا منهم لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم. فكيف صاروا أهل الله، و هم على هذه الحالة؟!

الشك في كتاب النبي صلى الله عليه و آله لأهل مكة:

إن ما ذكر في الكتاب المتقدم لأهل مكة، من مدح لعتاب لا يمكن قبوله، فإن عتاباً لا يمكن أن يكون بهذه المثابة التي وضعه فيها الكتاب المذكور، فهو:

1- لم يكن عارفاً بأحكام الله تعالى، لكي يعلم جاهلهم.

2- لا يصح وصفه: بأنه سماء ظليلة، و أرض زكية، و شمس مضيئة، ما دام أنه حديث الإسلام و لم يتفقه في الدين.

3-متى بلغ من الفضل و التقى حدا جعله مفضلا على كافة أهل مكة؟! مع وجود كثير من المسلمين يعيشون بين أهل مكة منذ سنوات، و خصوصا بعد الحديبية.

4-و كيف و متى ظهر حبه لمحمد «صلى الله عليه و آله» و أهل بيته «عليهم السلام» إلى هذا الحد الذي وصفه الكتاب المذكور.

5-على أن في خطبة عتاب فقرات يعرف الناس كلهم أنها لأمر المؤمنين «عليه السلام» (1).

6-يضاف إلى ذلك: أن رواية هذا الكتاب تقول: فلما وصل إليهم عتاب، وقرأ عهده. . مع أن عتابا كان معهم، و لم يأتهم من خارج بلادهم؟!!

معاذ يعلم أهل مكة:

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه و آله» قد جعل معاذا بمكة مع عتاب، ليفقه أهلها، و يعلمهم السنن (2).

و نقول:

1-إنه لا شك في أن ما كان يحتاجه أهل مكة في أول إسلامهم هو: تعلم أبسط الأمور، و أوضحها، مثل: الصلاة، و الزكاة، و التطهر من

ص: 215

1- راجع على سبيل المثال: الخطبة رقم 37 من نهج البلاغة، ففيها: الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق منه.

2- راجع: سير أعلام النبلاء ج 1 ص 459 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 611 و 612 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 663 و البداية و النهاية ج 4 ص 422 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 679 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 270.

الجنابة، ودلالته على ما هو نجس، ولزوم تطهيره. . والوضوء، والتميم، وحرمة الكذب، والنميمة والبهتان. . وسائر المحرمات. . و كيفية الذبح، والصلاة على الميت، وقراءة القرآن ونحو ذلك.

ولم يكونوا في مستوى يحتاجون فيه إلى المعارف الدقيقة والعالية.

فإبقاء معاذ في مكة ليعلم أهلها أمثال هذه لا يدل على أنه يملك علما، وأن له فضلا يعتد به. .

كما أن هذا لا يدل على استقامته، فضلا عن أن يدل على عدالته. .

وهل هذا إلا مثل إرسال خالد لدعوة الناس إلى الإسلام، وإذ به يرتكب في حقهم أفظع الجرائم، ويبوء بأعظم المآثم. .

من هو معاذ بن جبل؟! :

ثم إن معاذ- كما يقول سليم بن قيس- كان من الذين كتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على أن يزيلوا الإمامة عن علي «عليه السلام» (1).

وقال الديلمي: إنه حين احتضاره كان يدعو بالويل والثبور، لممالأته القوم ضد علي «عليه السلام» (2).

ص: 216

1- كتاب سليم بن قيس ص 154 والبحار ج 28 ص 274 والإحتجاج ج 1 ص 110 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 249 و مستدركات علم الرجال ج 7 ص 436 والأنوار العلوية ص 288 وغاية المرام ج 5 ص 318 و 336 ونفس الرحمن في فضائل سلمان للميرزا الطبرسي ص 485 وتنقيح المقال ج 3 ص 221 والمحتضر لحسن بن سليمان الحلبي ص 60 ومجمع النورين ص 100 ومدينة المعاجز ج 2 ص 100.

2- البحار ج 28 ص 122 وج 30 ص 127 و 128 وج 31 ص 634 وج 58 ص 241 ومستدركات علم الرجال ج 4 ص 412 و مستدرك سفينة البحار ج 2 ص 320 وتنقيح المقال ج 3 ص 221 عن الديلمي، وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص 346 وإرشاد القلوب ص 391 والصراط المستقيم ج 3 ص 153 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 574 ومجمع النورين ص 204 وغاية المرام ج 4 ص 367 ومدينة المعاجز ج 2 ص 90 ومجمع النورين ص 204 ومدينة المعاجز ج 2 ص 93.

و هو من الجماعة الذين شهروا سيوفهم يوم السقيفة، و مضوا حتى أخرجوا أبا بكر، و أصدوه المنبر (1).

و هو أول من اتجر في مال الله، و ذلك حين ولاه رسول الله «صلى الله عليه و آله» على اليمن، فلما توفي «صلى الله عليه و آله» قدم، فقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل، فدع له ما يعيشه، و خذ سائرته.

فقال أبو بكر: إنما بعثه النبي «صلى الله عليه و آله» ليجبره، و لست آخذ شيئاً منه إلا أن يعطيني (2).

قال التستري: «لم يبعثه النبي «صلى الله عليه و آله» لأكل مال الله، و لا

ص: 217

-
- 1- رجال البرقي ص 60 وقاموس الرجال للتستري ج 10 ص 98 و راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 178 و الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج 1 هامش ص 466 و معجم رجال الحديث ج 19 ص 203.
 - 2- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 3 ص 358 و (ط دار الجيل) ص 1404 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 555 عنه، و المصنف للصنعاني ج 8 ص 268 و 269 و نصب الراية ج 6 ص 198 و كنز العمال ج 5 ص 591 و 592 وقاموس الرجال ج 10 ص 99 و تاريخ مدينة دمشق ج 58 ص 430 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 95 و التمهيد لابن عبد البر ج 2 ص 9.

و من الذي قال لأبي بكر: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعثه ليجهده. فلعله بعثه لحفظ الشأن العام، و حفظ أموال بيت المال؟!

وقالوا: إنه في أحداث البيعة لأبي بكر جاءهم خالد بن الوليد المخزومي، و معه ألف رجل، و جاءهم سالم مولى أبي حذيفة، و معه ألف رجل، و جاءهم معاذ بن جبل، و معه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع لهم أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: و الله، يا أصحاب علي، لنن ذهب فيكم رجل يكلم بالذي تكلم بالأمس لناخذن الذي فيه عيناه.

ثم يذكر كيف أن عمر صار يطوف بالمدينة، و يجمع الناس و يكبسهم، و يستخرجهم من بيوتهم للبيعة.

و بعد ذلك بادر إلى إحراق بيت الزهراء «عليها السلام» (2).

و حين جيء بعلي «عليه السلام» للبيعة-جبرا وقهرا-كان في جملة الجالسين حول أبي بكر بالسلاح (3).

ص: 218

1- قاموس الرجال ج 9 ص 99.

2- الإحتجاج ج 1 ص 200 و (ط دار النعمان) ص 104 و 105 و البحار ج 28 ص 202 و مواقف الشيعة ج 1 ص 430 و 431 و الفوائد الرجالية ج 2 ص 333 و 334 و مجمع النورين ص 79 و 80 و نهج الإيمان لابن جبر ص 586 و بيت الأحران ص 79 و 95 و 96 و راجع: الصوارم المهركة ص 58.

3- كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص 151 و البحار ج 28 ص 270 و الإحتجاج ج 1 ص 109 و مجمع النورين ص 98 و بيت الأحران ص 110.

الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين . . تسع بعوث و سرايا

الباب الثاني: غزوة حنين . . الهزيمة . . الجريمة . .

الباب الثالث: النصر الإلهي

الباب الرابع: حرب أوطاس . . و حصار الطائف

الباب الخامس: الأنصار . . والسبي . . والغنائم

الباب السادس: أحداث و سرايا . . إلى تبوك

الباب السابع: الوفادات على رسول الله صلى الله عليه وآله

الباب الثامن: وفود لها تاريخ

الباب التاسع: . . إلى حجة الوداع

الباب العاشر: تبليغ سورة براءة و حجة الوداع

الباب الحادي عشر: الغدير في الحديث و التاريخ

الباب الثاني عشر: مرض النبي صلى الله عليه وآله و إستشهاده . . أحداث و سياسات

الباب الثالث عشر: دفن الرسول صلى الله عليه وآله حدث و تحقيق

الباب الرابع عشر: السقيفة . . عرض و تحليل . .

الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين. . تسع بعوث و سرايا. .

إشارة

الفصل الأول: بعوث و سرايا قبل بني جذيمة

الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة

الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح وأصرح

الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق

ص: 221

قد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل، وهو في مكة العديد من السرايا، التي كانت تهدف إلى إزالة آثار الشرك من المنطقة، وذلك في اتجاهين:

أحدهما: هدم الأصنام التي كانت مقامة في تلك المناطق، بعد أن أزيل ما كان منها معلقا على الكعبة، وما كان على المسجد الحرام.

الثاني: دعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى، وحده لا شريك له.

وقد ذكروا من القسم الأول والثاني وفق ترتيب المسعودي وغيره ما يلي:

1- سرية خالد بن الوليد في شهر رمضان إلى نخلة اليمانية، لهدم العزى فيها.

2- سرية عمرو بن العاص في شهر رمضان إلى سواع، برهاط، فهدمه.

3- سرية سعد بن زيد الأشهلي -هو من الأوس- في هذا الشهر إلى مناة بالمشلل، فهدمه.

4- سرية خالد بن سعيد بن العاص إلى عرنة.

5- سرية هشام بن العاص إلى يلملم.

6-سرية الطفيل بن عمرو الدوسي في شوال إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة الدوسي، فهدمه.

7-سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة(1).

ونقول:

هذا ما ذكره المسعودي وغيره هنا. غير أن بعضه محل نظر وإشكال، فإن بعض ما ذكره وإن كان قد وقع قبل غزوة حنين، ولكن بعضه الآخر مختلف فيه، مع تصريح بعضهم بما يدل على أنه متأخر عن غزوة حنين. وذلك مثل سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين، فإنها وقعت حين أراد النبي «صلى الله عليه وآله» المسير إلى الطائف.

وبعض ثالث مما ذكر لم نجد فيما اطلعنا عليه من المصادر ما يكفي للحكم عليه، بل لم نجد ما يمكّننا من إفراجه بالذكر، وذلك مثل:

ألف: سرية خالد بن سعيد إلى عرنة.

ب: سرية هشام بن العاص إلى يلملم.

وقد أضاف آخرون إلى ما تقدم عدة سرايا ذكروها قبل ذكرهم لسرية خالد إلى بني جذيمة وهي:

9-سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج.

10-سرية عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل.

ص: 226

1- التنبيه والإشراف ص 233 و 234 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 260 و المغازي للواقدي ج 3 ص 873 وعن تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 77 و 232.

وسنحاول إن شاء الله ذكر هذه البعث و السرايا وفقا للترتيب و الترقيم المذكور أعلاه، فنقول:

1-سرية خالد لهدم العزى:

إشارة

لقد أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى العزى، ليهدمها، لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، وكانت بيتا بنخلة (2).

وكان سدنتها، و حجابها: من بني شيبان، من بني سليم حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنام قريش و جميع كنانة.

وذلك: أن عمرو بن لحي كان قد أخبرهم أن الرب يشتي بالطائف عند اللات، و يصيف عند العزى، فعظموها، و بنوا لها بيتا. و كانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة (3).

ص: 227

1- إعلام الورى (ط سنة 1399 هـ) ص 119 و البحار ج 21 ص 140 عنه، و راجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة 1412 هـ) ج 1 ص 262.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 196 عن ابن سعد، و البيهقي، و تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج 3 ص 488 و 489 و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 65 و المغازي للواقدي ج 3 ص 874 و تاريخ الخميس ج 2 ص 97 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 145 و عيون الأثر ج 2 ص 207 و البحار ج 21 ص 145 و راجع: البداية و النهاية ج 4 ص 361 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 597.

3- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 196 عن ابن سعد، و الواقدي، و تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج 3 ص 488 و 489 و راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 19 ج 3 ص 208 و راجع: البداية و النهاية ج 4 ص 361 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 597.

وزعموا: أن خالدا ذهب إليها، فقلعها، واستأصلها، فخرجت منها عجوز عريانة، سوداء، ثائرة الرأس، فضربها خالد بسيفه، فقتلها (1).

غير أننا نظن: أن هذه القصة قد تعرضت للتشويه والتحريف، بهدف الترمويه على ما بدر من خالد، من مخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث تذكر النصوص أيضا: أن خالدا لم يقلع العزى، ولم يهدمها، بل رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره أنه قد قلعها.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: هل رأيت شيئا؟!

قال: لا.

قال: ما قلعت.

وفي رواية قال: إنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها.

فعاد إليها خالد متغيظا ومعه المعول، فقلعها، فخرجت منها عجوز الخ. (2).

ص: 228

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج 3 ص 388 و 489 و راجع: البحار ج 21 ص 145 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 208 و سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 196.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج 3 ص 488 و 489 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 308 و زاد المعاد ج 1 ص 1166 و البحار ج 21 ص 145 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 145 و 146 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 232 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 12 و سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 196 و عيون الأثر ج 2 ص 207.

ونص آخر يقول: إن خالدا خرج في ثلاثين فارسا من أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما سمع سادنها السلمي بسير خالد إليها علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أيّا عزّ شدي شدة لا شوى لها على خالد ألقى القناع وشمري

أيّا عزّ إن لم تقتلي المرء خالد فبؤني يا ثم عاجل أو تتصّري

قالوا: فأتاها خالد، فقطع السمرات، وهدمها، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره.

فقال: «هل رأيت شيئا» ؟

قال: لا.

قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها» .

فرجع خالد وهو متغيظ. فلما رأت السدنة خالدا انبعثوا في الجبل، وهم يقولون: يا عزّى خبلية، يا عزّى عورية، و لا تموتي برغم.

فخرجت إليه (امرأة عجوز) سوداء، عريانة، ثائرة الرأس مولولة، زاد أبو الطفيل: تحثو التراب على رأسها ووجهها. فضربها خالد وهو يقول:

يا عزّ كفرانك لا سبحانكاني رأيت الله قد أهانك

فجزّ لها اثنتين، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأخبره.

فقال: «نعم، تلك العزى قد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا» (1).

ص: 229

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 196 عن أبي الطفيل، والواقدي، وابن سعد، و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 65 و المغازي للواقدي ج 3 ص 873 و 874 و راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 79 و تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و البحار ج 21 ص 145 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 146 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 232 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 12 و عيون الأثر ج 2 ص 207.

الحدث في قصص الإتهام:

ونلاحظ على هذه الروايات أموراً عديدة:

فأولاً: هل كانت هذه العجوز السوداء من الإنس أو من الجن؟!

وإذا كانت من الجن.. فهل يمكن لخالد أن يقتل الجن بسيفه؟!

وإذا كانت السيوف الإنسية تقتل الجن.. فلماذا لم تتجنب تلك الجنية سيف خالد؟!

وما هو مصير جثتها بعد قتلها؟! هل بقيت ظاهرة للعيان؟ أم اختفت؟! وإذا كانت قد اختفت.. فكيف يمكن إثبات صحة قتلها وموتها؟!

وهل يمكن لخالد في هذه الحال: أن يثبت صحة ما يدّعيه لنفسه من بطولة، وعظمة؟!

وهل كان أمثال هذه العجوز، يوجدون عند سائر الأصنام، مثل هبل، واللات، وودّ، وسواع، ومناة و... الخ.؟!

وهل ظهرت تلك العجائز على الذين هدموا تلك الأصنام، واقتلعوها؟!

ثانياً: لما ذا كذب خالد فيما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فأخبره بأنه قد هدم العزّى، والحال أنه لم يهدمها.

ثالثاً: لما ذا لم يهدم خالد العزّى في المرة الأولى؟! هل لأنه خاف من أن يكون لها تأثير عليه، من حيث أنه يعتقد: بأن لها شأنًا وأثرًا؟!

فإن كان الأمر كذلك، فهو يثير أكثر من علامة استفهام حول صحة إيمان خالد، و حول إخلاصه فيما يدّعيه من التخلي عن الشرك، و عبادة غير الله تعالى.

رابعاً: إنه حين عاد خالد إلى العزى متغيظاً، إن كان تغيظه على العزى؟ فلما ذا حدث هذا التغيظ منه الآن، و لم يكن حين ذهب إليها ثم رجع؟!

و إن كان هذا التغيظ على رسول الله «صلى الله عليه و آله» نفسه، حيث كشف أمره، و فضحه، فذلك قد يصل إلى حد الكفر و الخروج من الدين. .

و إن كان تغيظ على نفسه، و على ارتكابه ما أوجب الفضيحة و ظهور الكذب، و افتضاح النوايا، فهذا ما لا سبيل إلى تلافيه، بعد ان أوقع نفسه فيه، و لكن ذلك لا يعفيه من المسؤولية، بل هو يقترب في قبحه و في تأثيراته من الخيار الثاني الآنف. .

خامساً: قد تكرر هذا الحديث بعينه بالنسبة لنائلة أيضاً، و لكنهم لم يذكروا أن أحدا قتل تلك العجوز. و تقدم ذلك.

و ذكر هذا الحديث بعينه، مع ذكر قتلها بالنسبة لمناة، حيث زعموا: أن سعد بن زيد قتلها أيضاً.

و لكن عمرو بن العاص لم ينل هذا الشرف، و لا خرجت له شيطانه، و لا شيطان حين هدم سواعا.

ملاحظة: إننا نظن أنهم أرادوا أن ينسبوا لخالد فضيلة حرب الجن، و هي كرامة ثابتة لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، لكي يرفعوا من شأن خالد، و يقللوا من شأن علي «عليه السلام»، حيث لا تبقى هذه الفضيلة منحصرة فيه و لا هي من خصائصه و ميزاتة على غيره.

السادن.. بين الذكاء والغباء:

ثم إن ما فعله السادن من تعليق السيف برقبة الصنم ليدافع عن نفسه، فيه دلالة ظاهرة على أنه كان مدركا بفطرته، وبعقله سخافة عبادتهم لصنم، لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع. و تصرفه هذا يشير إلى ذكائه، و حسن تخلصه من المسؤولية، و دفع أي اعتراض عليه، أو مؤاخذه له، فيما يرتبط بعدم مبادرته للدفاع عن ذلك الصنم المشؤوم.

و لو أنه كان يؤمن بأن للصنم القدرة على المقاومة، و الدفاع عن نفسه، فإنه يكون في غاية الغباء، و في منتهى السذاجة، و التغفيل.. .

هل هذه سرية؟! :

إن تسمية هدم العزى التي كانت مجرد صنم في بيت بطن نخلة بأنه «سرية» لعله لا يخلو من مسامحة، بل مبالغة، لأجل تعظيم شأن خالد، و تعويضه عن بعض ما فقدته في قصة بني جذيمة.

و كذلك الحال في قصة هدم عمرو بن العاص لسواع، فإنه لم يكن هناك أحد من الناس يخشى منه سوى سادنه.

كما أن من الملاحظ: أن الذي حضر هدم العزى أيضا هو خصوص السادن دون سواه. .

فلعل إرسال ثلاثين رجلا مع خالد قد كان بهدف الحماية من مخاطر الطريق، فلا يتعرض له أحد بسوء.

أو لعله كان لغرض آخر، مثل دعوة بعض القبائل التي قد تصادفهم في الطريق إلى الدخول في هذا الدين.

قال الصالحي الشامي:

ذكر ابن إسحاق و من تابعه، إرسال خالد لهدم العزى بعد سرية خالد إلى بني جذيمة.

و ذكرها محمد بن عمر، وابن سعد، و البلاذري، و جرى عليه في المورد و العيون، و جزم به في الإشارة قبلها. و ارتضاه في الزهر، و قال: إن في الأول نظرا، من حيث إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان قد وجد على خالد في أمر بني جذيمة، و لا يتجه إرساله بعد ذلك في بعث.

و الذي ذكره غير واحد، منهم الواقدي، و تلميذه محمد بن سعد: أن سرية خالد إلى العزى كانت لخمس ليال من شهر رمضان، و سرية خالد إلى بني جذيمة كانت في شوال سنة ثمان.

قلت: إن صح ما ذكره ابن إسحاق من كون سرية خالد لهدم العزى بعد سرية بني جذيمة، فوجهه: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» رضي عليه، و عذره في اجتهاده (1).

غير أننا نقول:

إن سرية خالد لهدم العزى لا ربط لها بوجد النبي «صلى الله عليه و آله» على خالد، بسبب الجريمة التي ارتكبها في حق بني جذيمة. و إنما هي متصلة بسياسة رسول الله «صلى الله عليه و آله» في اقتلاع جذور الشرك من قلوب أولئك الناس الطامحين و المغامرين. أو على الأقل إحراق آخر خيوط

ص: 233

الأمل الذي ربما يراودهم في العودة إلى السقوط في حمأة الشرك، و تلويث النفوس بقاذوراته.

كما أن ذلك يساعد على قطع علاقة الناس السذج و البسطاء بهذا النوع من الناس، الذي يحمل رواسب من هذا النوع، و تكريس علاقتهم بمصدر الوحي، و رمز الفضيلة و الإيمان و التقوى. .

فكان «صلى الله عليه و آله» يريد أن يحطم اصنامهم بأيدي خصوص هؤلاء الذين يتعاملون مع القضايا بمنطق انتهاز الفرص، و اقتناصها، ليصبح أمرهم ظاهراً، و ليأمن الناس بوائقهم، التي قد تتجه إلى نحو من العمل السري و التأمري، الذي يريد أن يحفظ معالم الإنحراف، مختزنة في نفوس الضعفاء، و السذج، و البسطاء، ليستفيد منها في الموقع المناسب.

و على هذا الأساس نقول:

إن قولهم: إنه لا يمكن أن يكلف النبي «صلى الله عليه و آله» خالدا بهدم العزى بعد أن فعل ببني جذيمة ما فعل غير صحيح.

و ذلك لأن النبي «صلى الله عليه و آله» كان سيبحث خالدا لهدم العزى، و عمرو بن العاص لهدم سواع، حتى لو ارتكب خالد جريمته في حق بني جذيمة. . و حتى لو ظهرت من عمرو بن العاص البوائق و المعاصي.

بل إن ظهور ذلك من هذا أو ذاك يؤكد لزوم اختيارهما لهذه المهمة، كما هو ظاهر لا يخفى.

فما ذكره الصالحى الشامي أو غيره: من أن من الممكن أن يكون «صلى الله عليه و آله» قد رضي على خالد، ليصح إرساله لهدم العزى. . غير صحيح.

و لعل الصحيح هو: أنه كان غاضبا على خالد، فاقتضى هذا الغضب

نفسه، أن يرسله في هذه المهمة. رفقا بالناس، و حفظا للدين، وإقامة للحجة عليه وعلى أمثاله.

2-هدم سواع:

قال الواقدي، وابن سعد وغيرهما: في شهر رمضان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى سواع: صنم هذيل بن مدركة، وقيل: لهمدان (1)، وكان على صورة امرأة ليهدمه.

قال عمرو: فانتهيت إليه، وعنده السادن، فقال: ما تريد؟

فقلت: أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أهدمه.

قال: لا تقدر على ذلك.

قلت: لم؟

قال: تمنع.

قلت: حتى الآن أنت على الباطل؟! ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟

قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابه (أصحابي) فهدموا بيت خزائنه فلم نجد فيه شيئاً.

ص: 235

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 97 وزاد المسير ج 8 ص 100 والتبيان للطوسي ج 10 ص 141 و تفسير جوامع الجامع للطبرسي ج 3 ص 647 و تفسير غريب القرآن ص 213 و تفسير النسفي ج 4 ص 284 و تفسير الرازي ج 30 ص 144 و تفسير البيضاوي ج 5 ص 395 و تفسير البحر المحيط ج 8 ص 335 و تفسير أبي السعود ج 9 ص 40 و السيرة الجلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 18 و لسان العرب ج 8 ص 170 و مجمع البحرين ج 4 ص 481 و تاج العروس ج 11 ص 230.

ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟

قال: أسلمت لله تعالى (1).

وزعموا: أن هذا الصنم سمي سواعا على اسم سواع بن شيث بن آدم «عليه السلام»، وقد كان هذا الصنم لقوم نوح «عليه السلام»، ثم صار لهذيل.

كان برهاط: قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة على ساحل البحر يحجون إليه (2).

وبعد ما تقدم فإننا نطلب من القارئ الكريم، أن يلاحظ مايلي:

1- إن الرواة هنا لم يذكروا لنا إن كان مع عمرو بن العاص أحد. فضلا عن أن يذكروا عدد من كان معه حين ذهب لهدم سواع.

2- إن أصحاب الصنم هم الذين هدموا خزائنه بأمر من عمرو بن العاص.

3- أين ذهبت الأموال أو التحف، أو الأمتعة التي كانوا يتوقعون وجودها في خزانة الصنم؟ ! فإن الناس كانوا يهدون لأصنامهم أشياء مختلفة.

4- إن عمرو بن العاص يستدل على السادن بدليل كان الأخرى،

ص: 236

-
- 1- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 198 عن الواقدي، وابن سعد، وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 65 و 66 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 340 و 341 و المغازي للواقدي ج 2 ص 870 و تاريخ الخميس ج 2 ص 96 و 97 و راجع: البحار ج 21 ص 145 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 146 و عيون الأثر ج 2 ص 208 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 209.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 198 و تاريخ الخميس ج 2 ص 97 عن مزيل الخفا.

و الأجدد به أن يستدل هو به على نفسه، فإنه كان إلى الأمس القريب يعبد تلك الأصنام، ويتقرب لها.

5- هل يصح تكليف رجل واحد بمهمة هدم صنم أن يوصف بأنه سرية؟ !

3- هدم مناة و قتلها:

إشارة

قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان بعد فتح مكة (1) سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة لهدمها، وكانت (بالمشلل (2) للأوس والخزرج، وغسان.

وقيل: مناة لخزاعة. وكانت بقديد. قاله قتادة (3).

وقيل: هي صخرة كانت لهذيل وخزاعة وثقيف (4).

فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن. فقال السادن: ما تريد؟

ص: 237

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 والتنبيه والإشراف ص 233 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 199.

2- المشلل: جبل إلى ناحية البحر، وهو الذي يهبط منه إلى قديد.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 97 وتفسير مجمع البيان ج 9 ص 294 وتفسير البغوي ج 4 ص 250.

4- تاريخ الخميس ج 2 ص 97 وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 99 وتفسير الرازي ج 28 ص 296 وراجع: الأعلام للزركلي ج 8 ص 80 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 117.

قال: هدم مناة.

قال: أنت وذاك.

فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة، سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها.

فقال السادن: مناة! دونك بعض غضباتك.

ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها. ويقبل إلى الصنم معه أصحابه، فهدموه.

ولم يجد في خزانة شينا.

وانصرف راجعا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

و نحن نسجل هنا الأمور التالية:

1-إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة ما ذكرته الرواية آنفا: من أن مناة كانت للأوس، والخزرج، وغسان. فأين عنها غسان في الشام؟! والأوس والخزرج في المدينة؟!!

في حين أن المشلل موضع لجهة البحر، وهو الجبل الذي يهبط منه إلى قديد.

2-هل يصح تسمية مهمة هدم صنم بأنه سرية؟!!

3-لما ذا يخلي السادن بين سعد بن زيد وبين الصنم ليهدمه، فلا يمانع،

ص: 238

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 199 وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 97 و 96 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 146 و 147 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 563 و عيون الأثر ج 2 ص 208 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 209.

أولا يظهر انزعاجه، أو رأيه ولو بكلمة، أو لا يحذر الفاعل من عواقب ما يقدم عليه كما فعل سادن سواع والعزى؟!!

بل هو يقول للمهاجم: أنت وذاك.

ولكنه حينما رأى تلك المرأة خرجت إليه، يقول لها: مناة!! دونك بعض غضباتك.

على أن ثمة سؤالاً آخر هنا، وهو: هل كان ذلك السادن يعرف مناة؟!!

و هل كان قد رآها قبل هذه المرة؟!!

ولما ذا لم يكن هذا الأمر قد اشتهر بالجزيرة العربية بأسرها؟!!

4- يلاحظ هنا: أن المرأة العريانة السوداء الخ. . لا تخرج لمواجهة خالد في المرة الأولى حتى عاد إليها، واقتلعها، فخرجت.

ولكن مناة تخرج لسعد بن زيد بمجرد توجهه نحو الصنم.

5- يلاحظ أيضاً: توافق صفات العزى، و حركاتها، مع صفات مناة، و حركاتها، فهي عريانة. . سوداء. . ثائرة الرأس. . تدعو بالويل. . تضرب صدرها. . امرأة.

6- ويلاحظ: أن سعد بن زيد لا يجد في خزانة مناة شيئاً أيضاً!!!

4- سرية خالد بن سعيد إلى عرنة:

5- سرية هشام بن العاص إلى يلملم:

وقد قلنا: إن ما راجعناه من مصادر لا يسمح لنا بتقديم تفاصيل تذكر عن أحداث محتملة حصلت في هاتين السريتين.

ص: 239

6- سرية الطفيل الدوسي إلى ذي الكفين:

وسياتي الحديث عن هذه السرية قبيل مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الطائف، لأنها كانت بعد حنين.

7- سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث (وهو في مكة) غالب بن عبد الله في سرية دعوة إلى بني مدلج، فقالوا: لسنا عليك ولا معك.

فقال الناس: اغزهم يا رسول الله!

فقال: إن لهم سيداً أديباً أريباً، ورب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله (1).

ونقول:

1- إن ذلك يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بأدق التفاصيل في المحيط الذي يتعامل معه، بل كان أعرف الناس بطبائع الأشخاص وحوالاتهم. كما أنه يعرف مدى نفوذهم وتأثيرهم، ويتخذ قراراته على هذا الأساس.

ولكن هل هذه المعرفة كانت مكتسبة له من خلال ما تهيأ له من وسائل عادية؟! أم أنها مرتبطة بالتسديد، واللفظ الإلهي، والإمداد الغيبي؟!

ص: 240

1- إعلام الوری (ط سنة 1399 هـ) ص 119 و (ط مؤسسة آل البيت) ج 1 ص 227 والبحار ج 21 ص 140 عنه، وراجع: مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 262 وتاريخ يعقوبي ج 2 ص 73.

إننا نرى صحة هذا الخيار الأخير، ولا نجد فيه أي محذور، فإن التدخل الغيبي الإلهي لإيصال المنافع للبشر، ودفع المضار عنهم أمر مشهود في تاريخ البشر.

ولكن إذا كان يراد بهذا التدخل التوصل إلى سلب الناس القدرة على التصرف، وعلى الاختيار، أو أخذهم ومؤخذتهم استناداً إلى معارف حصلت بوسائل غير عادية، ولا تقع تحت قدرتهم، فذلك هو المحذور الذي لا يمكن أن يكون له أي دور في السياسة الإلهية للبشر، أو في التعامل معهم.

2- إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكنف بما ذكره لهم، من معرفته الدقيقة بكل ما من شأنه أن يؤثر على مسار الأمور، بحيث تنتهي إلى ما يحبه المسلمون. بل هو قد تجاوز ذلك بإخبارهم الغيبي عن مستقبل بني مدلج في هذا الدين، وأنهم سيدخلون فيه، وسيكون منهم الشهداء في سبيل الله. الأمر الذي يصل بالأمور لدى أصحابه إلى درجة اليقين بالنتائج، فلا موضع للتوهم في أن يكون ما يخبرهم به مجرد توقعات يطلقها على سبيل التفاؤل للربط على القلوب، وشحن العزائم، وإيقاظ الهمم.

3- إنه «صلى الله عليه وآله» لم يشر إلى ما سيفعله سيد بني مدلج!! هل سوف يسلم؟! أم أنه سيبقى على شركه؟! لكنه، وهو السيد الأديب الأريب سيمنع قومه من إظهار العداوة، ومن إثارة المتاعب، والدخول في تحالفات، أو في مؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، وهذا يكفي مبرراً للكف عن بني مدلج.

4- إن هذا الذي جرى يظهر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد

حمل الناس على الإسلام، ولا كان يريد أن يستفيد من عنصر القوة إلا حين تلجئه الظروف إلى ذلك، وذلك حين يعلن الآخرون الحرب على الإسلام وأهله، دون أن تكون هناك أية فرصة لدفع شرهم، ورد عاديتهم إلا بالتوسل بالقوة.

5- إنه «صلى الله عليه وآله» كان حريصاً على ممارسة حقه في دعوة الناس إلى الحق، وتعريفهم، وإبلاغهم بنبوته، وإقامة الحجة عليهم فيها، وفيما يدعو إليه. . ثم يترك الخيار لهم.

8- سرية عمر بن أمية إلى بني الديل:

و بعث «صلى الله عليه وآله» عمر بن أمية الضمري إلى بني الديل، فدعاهم إلى الله ورسوله، فأبوا أشد الإباء، فقال الناس: اغزهم يا رسول الله.

فقال: «صلى الله عليه وآله»: «أتاكم الآن سيدهم قد أسلم، فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم (1)».

ونقول:

إننا بالإضافة إلى ما قدمناه في الحديث عن غزوة بني مدلج، نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد توقع لأصحابه قرب قدوم سيدهم إليهم، و حتمية تحقق ما يخبرهم به، حيث قال: «أتاكم الآن سيدهم» بصيغة الفعل الماضي الدال على التحقق والوقوع.

ص: 242

1- إعلام الوری (ط سنة 1399 هـ) ص 119 و (ط مؤسسة آل البيت) ج 1 ص 227 و البحار ج 21 ص 140 عنه، وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج 1 ص 262.

ثم أخبر عن إسلام سيد بني الديل قبل قدومه.

ثم توقع أن يكون نفس سيدهم داعية لقومه إلى الدخول في الإسلام، وذلك سيوفر على المسلمين مشكلات كثيرة، وقد تكون كبيرة أيضا. و سيسهل على بني الديل الدخول في دين الله، من دون أي خوف أو وجل، أو توقع إساءة أو ملامة من رئيسهم وسيدهم.

9- سرية ابن سهيل بن عمرو إلى بني محارب:

وبعث «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر، فأسلموا، وجاء معه نفر منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

أما سرية بني جذيمة، فسنفرد حديثا عنها ابتداء من الفصل التالي.

ص: 243

1- راجع المصادر المتقدمة في الهامش.

قتل بني جذيمة في النصوص والآثار:

وذكروا: أن قصة بني جذيمة قد حصلت بعد الفتح.

قال البلاذري: إنها كانت في شوال (1).

وقالوا: كان بنو جذيمة- وهم قبيلة من عبد القيس أسفل مكة بناحية يلملم- وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة، وقتلوا عمّ خالد، فأرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد، بعد أن رجع من هدم العزى، داعياً لا مقاتلاً (2).

ص: 247

1- أنساب الأشراف ج 1 ص 181 وراجع: فتح الباري ج 8 ص 45 وعمدة القاري ج 17 ص 313 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 وإمتاع الأسماع ج 2 ص 6 وأعيان الشيعة ج 1 ص 278 عيون الأثر ج 2 ص 209 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 197 و 200.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 97 وراجع: البحار ج 21 ص 140 وإعلام الوری ج 1 ص 227 والمبسوط للسرخسي ج 20 ص 143 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 228 فتح الباري ج 8 ص 45 وعمدة القاري ج 17 ص 313 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 وأعيان الشيعة ج 1 ص 278 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 200.

فاستقبلوه وعليهم السلاح، وقالوا: يا خالد، إنّا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله، ونحن مسلمون، فانظر، فإن كان بعثك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعيا فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها.

فقال: ضعوا السلاح.

قالوا: إنّا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية، وقد أماتها الله ورسوله.

فانصرف عنهم بمن معه، فنزلوا قريبا، ثم شن عليهم الخيل، فقتل وأسر منهم رجالا.

ثم قال: ليقتل كل رجل منكم أسيره.

فقتلوا الأسرى.

وجاء رسولهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره بما فعل خالد بهم، فرفع «عليه السلام» يده إلى السماء وقال: «اللهم إني أبرء إليك مما فعل خالد».

وبكى، ثم دعى عليا «عليه السلام»، فقال: اخرج إليهم، وانظر في أمرهم. وأعطاه سفطا من ذهب، ففعل ما أمره، وأرضاهم [\(1\)](#).

ص: 248

1- البحار ج 21 ص 140 وإعلام الورى (ط سنة 1399 هـ) ص 119 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج 1 ص 228. وراجع حديث قتل خالد لبني جذيمة في: البداية والنهاية ج 4 ص 359 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 200 و مسند أحمد ج 2 ص 150 و 151 والمحلّى لابن حزم ج 10 ص 368 والكامل في التاريخ ج 2 ص 255 و 256 و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 61 و المغازي للواقدي ج 2 ص 875 وعن فتح الباري ج 5 ص 45 و صحيح البخاري ج 5 ص 107 و سنن النسائي ج 8 ص 237 و فتح الباري ج 8 ص 45 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 474 و ج 5 ص 177 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 54 و كنز العمال ج 1 ص 317 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 548 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 233 و إحقاق الحق (الأصل) ص 276 و مصادر كثيرة أخرى.

وروى ابن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، و محمد بن عمر عن ابن سعد، قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد- حين افتتح مكة- داعيا ولم يبعثه مقاتلا، و بعث معه ثلاثمائة و خمسين رجلا من المهاجرين و الأنصار (و معه قبائل من العرب) سليم بن منصور، و مدلج بن مرة، فوطئوا بني جذيمة (بن عامر بن عبد مناة بن كنانة) فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون، قد صلينا، و صدقنا، و بنينا المساجد في ساحاتنا، و أذنا فيها.

قال: فما بال السلاح عليكم؟

قالوا: «إن بيننا و بين قوم من العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح» .

فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا (1).

ص: 249

1- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 200 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 71 و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 66 و 67 و راجع: أنساب الأشراف ج 1 ص 381 و المغازي للواقدي ج 3 ص 875 و تاريخ الخميس ج 2 ص 97 و 98 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 و عيون الأثر ج 2 ص 209 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 210.

فقال رجل من بني جذيمة، يقال له: جحدم: «إنه والله خالد. و ما يطلب محمد من أحد أكثر من أن يقر بالإسلام، ونحن مقرون بالإسلام، و هو خالد، لا يريد بنا ما يراد بالمسلمين» (1).

«ويلكم يا بني جذيمة، إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، و ما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبدا» .

فأخذه رجال من قومه، فقالوا: «يا جحدم، أتريد أن تسفك دمائنا؟ إن الناس قد أسلموا، و وضعت الحرب أوزارها، و أمن الناس» .

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، و وضع القوم السلاح لقول خالد (2).

وقال أبو جعفر، محمد بن علي رضي الله عنهم: فلما وضعوا السلاح أمرهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم (3).

ص: 250

-
- 1- المغازي للواقدي ج 3 ص 876.
 - 2- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 200 عن ابن إسحاق، و الواقدي، و راجع: المنمق ص 259 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 153 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 72 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 882 و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 67 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 341 و شرح الأخبار ج 1 ص 309 و الغدير ج 7 ص 168 و كتاب المنمق ص 216 و 217 و البداية و النهاية ج 4 ص 358 و أعيان الشيعة ج 1 ص 278 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 591.
 - 3- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 200 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 72 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 882 و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 67 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 341 و أعيان الشيعة ج 1 ص 278 و 409 و البداية و النهاية ج 4 ص 358 و كشف الغمة ج 1 ص 220 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 591.

وقالوا: فلما كان السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه.

و المدافاة الإجهاز عليه بالسيف.

وفي المواهب اللدنية: من كان معه أسير فليقتله.

فأما بنو سليم فقتلوا كل من كان في أيديهم.

و أما المهاجرون و الأنصار فأرسلوا أساراهم (1).

وعن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رأيت كأني لقممت لقمة من حيس، فالتذذت طعمها، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعته، فأدخل عليّ يده، فنزعه» .

فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، هذه سرية من سراياك، تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب، و يكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليا فيسهله (2).

ص: 251

1- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 200 عن أحمد، و البخاري، و النسائي، و تاريخ الخميس ج 2 ص 97 عن المواهب اللدنية، و المغازي للواقدي ج 3 ص 876 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 148 و أعيان الشيعة ج 1 ص 278 و راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 210.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 200 و 201 عن ابن هشام، و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 72 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 883 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و الغدير ج 7 ص 169.

قال ابن إسحاق: ولما أبى جحدم ما صنع خالد، قال: يا بني جذيمة ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه (1).

قال: وحدثني أهل العلم: أنه انفلت رجل من القوم، فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل أنكر عليه أحد؟»

قال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض، ربعة، فنهمه خالد، فسكت عنه.

وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فراجعته، فاشتدت مراجعتهما.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أما الأول فابني عبد الله، وأما الآخر، فسالم مولى أبي حذيفة (2).

قال عبد الله بن عمر في حديثه السابق: «فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكرنا ذلك له، فرفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد». مرتين (3).

ص: 252

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 201 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 73 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 884 و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 68 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 342 و البداية والنهاية ج 4 ص 359 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 593.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 201 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 72 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 883 و البداية والنهاية ج 4 ص 358 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 592.
 - 3- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 201 عن أحمد، و البخاري، و مسلم، و راجع المصادر المتقدمة.

قال أبو جعفر، محمد بن علي رضي الله عنهم: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: «يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك» .

فخرج علي «عليه السلام» حتى جاءهم، ومعه مال قد بعث به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه لودى لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: «هل بقي لكم مال لم يؤد إليكم» ؟

قالوا: لا.

قال: فإني أعطيتكم من هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مما لا يعلم ومما لا تعلمون» .

ففعل، ثم رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر فقال: «أصبت وأحسن» .

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه، حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه، يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» . ثلاث مرات (1).

ص: 253

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 201 وأشار في هامشه إلى: البخاري ج 4 ص 122، والنسائي ج 8 ص 237 وأحمد في المسند ج 2 ص 151 والبيهقي في السنن ج 9 ص 115. وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 153 ودلائل الصدق ج 3 ق 1 ص 33 و 34 والإصابة ج 1 ص 318 و 227 ج 2 ص 81 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 و 148 والبداية والنهاية ج 4 ص 358 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 592 وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج 3 ص 67 و 68 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 342 والغدير ج 7 ص 169 و كتاب المنقذ ص 217 وأعيان الشيعة ج 1 ص 278 و 409 والكامل في التاريخ ج 2 ص 173 و الغدير ج 7 ص 168 و 169 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 72 و 73 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 884 و تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 145 و أسد الغابة ج 3 ص 102 و المغازي للواقدي ج 3 ص 882 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و المنقذ ص 259 و 260 و راجع: الثقات لابن حبان ج 2 ص 62 و 63.

وذكر الواقدي: أن علياً «عليه السلام» جاءهم بالمال الذي أعطاه إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فودى لهم ما أصاب خالد، ودفع إليهم ما لهم، وبقي لهم بقية من المال، فبعث علي «عليه السلام» أبا رافع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليستزيده، فزاده مالا، فودى لهم كل ما أصاب (1).

ولما رجع علي «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له: ما صنعت يا علي؟!

فأخبره، وقال: يا رسول الله، قدمنا على قوم مسلمين، قد بنوا المساجد بساحتهم، فوديت لهم كل من قتل خالد حتى يبلغ الكلاب الخ. (2).

وقال بعض بني جذيمة أبياتا يذكر فيها غدر خالد بهم، ومنها:

ولو لا مقال القوم للقوم أسلموا لالقت سليم يوم ذلك ناطحا

ص: 254

1- المغازي للواقدي ج 3 ص 882 وراجع: إمتاع الأسماع ج 2 ص 7.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 882.

لما صعبهم بشر و أصحاب جحدمو مرة حتى يتركوا البرك ناضحا (1).

قال ابن عبد البر عن قصة خالد هذه: «و خبره في ذلك (بذلك) من صحيح الأثر» (2).

ما بهذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله:

وبعد . فإن مهمة سرية الدعوة هي التلطف في توضيح الحقائق للناس، وإقناعهم، بإيراد الدلائل والشواهد التي تقطع كل عذر .

فما معنى: أن يسأل الرجل عن دينه، هل هو كافر أو مسلم، حتى إذا قال: إن كنت كافرا فمه.

فيقال له: إن كنت كافرا قتلناك.

ثم يقتلونه، من دون أن يعرضوا عليه أي شيء من دعوة الإسلام؟!

بل إنهم ليقتلونه حتى بعد أن عرفوا: أنه عشق امرأة فلحقها .

و لم يمهلهوا إلا بمقدار أن يلقي عليها نظرة واحدة، ثم يقدموه للقتل.

فعن ابن أبي حدرد الأسلمي، و عن عبد الله بن عصام (المزني) عن

ص: 255

1- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 74 و 75 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 885 و راجع: الإصابة ج 1 ص 645 و معجم البلدان ج 4 ص 214 و كتاب المنطق ص 253 و (نسخة مخطوطة) ص 212 و المماصة: المضاربة بالسيوف. و البرك: الإبل البركة.

2- الاستيعاب (بهاشم الإصابة) ج 1 ص 153 و (ط دار الجيل) ج 3 ص 428 و النص و الإجتهد ص 461 و الغدير ج 7 ص 168 و الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي ص 56.

أيّيه، وعن ابن عباس: قال ابن أبي حدرد: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد.

وقال عصام: لحقنا رجلا فقلنا له: كافر، أو مسلم؟

فقال: إن كنت كافرا فمه؟

قلنا له: إن كنت كافرا قتلناك.

قال: دعوني أقضي إلى النسوان حاجة.

وقال ابن عباس: فقال: إني لست منهم، إني عشقت امرأة، فلحققتها، فدعوني أنظر إليها نظرة، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم.

الغدر . . ثم القتل:

إشارة

وذكر الواقدي ما ملخصه: أن بني سليم طاردوا غلاما ليقتلوه، فقتل منهم رجلين، ولم يقدروا عليه. ثم ظهر لهم في اليوم التالي، وطلب الأمان، وعرض فرسه، فعرفه بنو سليم أنه غريمهم بالأ-مس، فناوشوه عامة النهار، حتى أعجزهم، وكر عليهم، ثم عرض عليهم أن يعطوه عهد الله وميثاقه إذا نزل أن يصنعوا به ما يصنعون بالظعن، فإن قتلوهن قتلوه، وإن استحيوهن استحيوه، فأعطوه ذلك. وكانت النساء والذرية في يد خالد. .

فلما نزل غدروا به، وجعلوه مع الأسرى من الرجال، فطلب منهم أن يأخذوا برمته إلى نسيات هناك، ثم يردونه [\(1\)](#).

قال ابن أبي حدرد: فقال فتى من بني جذيمة-وهو في سني وقد

ص: 256

جمعت يده إلى عنقه برمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه-يا فتى.

فقلت: ما تشاء؟

قال: هل أنت أخذ بهذه الرمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة، ثم تردني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟

قال: قلت: والله ليسير ما طلبت.

فأخذت برمته، فقدته بها حتى أوقفته عليهن.

فدنا إلى امرأة منهن.

قال ابن عباس: فإذا امرأة طويلة أدماء، فقال: اسلمي حبش على نقد من العيش.

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق

ألم يك أهلاً أن ينول عاشقتك إداًج السرى والودائق

فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً ثيبى بود قبل إحدى الصفائق

أثيبى بود قبل أن يشحط النوى وينأى لأمر بالحبيب المفارق

زاد ابن إسحاق، و محمد بن عمر:

فإني لا ضيعة سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق

سوى أن ما نال العشيرة شاغلن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له. انتهى.

فقلت: نعم، وأنت فحييت سبعا وعشراً وتراً، وثمانياً (ثمانين) تترى.

قال ابن أبي حدر: ثم انصرفت به، فضربت عنقه.

ص: 257

وقال عصام: فقربناه، فضربنا عنقه، فقامت المرأة إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عليه (1).

وقال ابن عباس: فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت.

فلما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره الخبر، فقال: «أما كان فيكم رجل رحيم»؟ (2).

ص: 258

1- راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 68 و 69 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 343 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و 99 و سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 201 و 202 و المغازي للواقدي ج 3 ص 878-880 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 76 و 77 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 886 و البداية والنهاية ج 4 ص 360 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 595 و عيون الأثر ج 2 ص 210 و المنمق ص 253-255 و 258 و 259 و راجع: فتح الباري ج 8 ص 46 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 338 و 339 و الإصابة ج 4 ص 49.

2- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 202 عن ابن هشام، وعن ابن إسحاق، وابن سعد، والنسائي، وراجع: البيهقي في الدلائل ج 5 ص 118 و الطبراني في الكبير ج 11 ص 370. و راجع: المغازي للواقدي ج 3 ص 880-878 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و 99 و مجمع الزوائد ج 6 ص 210 و فتح الباري ج 8 ص 46 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 201 و المعجم الأوسط ج 2 ص 196 و كشف الخفاء للعجلوني ج 2 ص 264 و البداية والنهاية ج 4 ص 361 و عيون الأثر ج 2 ص 211 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 597 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 214.

ونحن نكتفي هنا بذكر ثلاثة أمور هي التالية:

1- شجاعة. . و نبيل:

إن ما صنعه هذا الفتى من بني جذيمة، يثير إعجاب كل منصف أريب، وعادل لبيب، يعطي القيمة لصفات الرجولة، والشجاعة والشمم، فهو قد دافع عن نفسه دفاع الأبطال، وأعرب عن شجاعة وبسالة رائعة.

ثم هو قد أعرب عن احترامه للعهود والمواثيق، وألزم نفسه بها، رغم أنه يعرف أن الذين يحاربون، ويطاردونه، إنما يفعلون ذلك عدواناً و تجبراً، وبلا أي مبرر.

وقد كان بإمكان هذا الفتى أن ينجو بنفسه، ولكن محبته لتلك المرأة، وسكونه إلى العهد الذي أخذه من محاربيه، هو الذي دفعه إلى هذا الاستسلام النبيل.

2- غدر. . و لؤم:

ولكن هذا الفتى لم يلق من محاربيه ما توقعه من وفاء بعهود الله و مواثيقه، بل وجد الغدر اللئيم، والفعل الذميم، مع أن هؤلاء قد وطأوا تلك البلاد على أساس أنهم دعاة للإسلام، ويريدون تقديم صورة مشرقة و مشرفة عن هذا الدين.

أما كان فيكم رجل رحيم:

وبعد. . فإن من البديهي: أن للإنسانية سماتها و تجلياتها، التي تتناسب مع حقيقتها. وأن العاطفة والرحمة الإنسانية هي إحدى هذه السمات،

ص: 259

و توهجها يكون من هذه التجليات. .

و حين تفقد الرحمة، فإن الإنسانية تفقد معناها و مغزاها، و لا بد أن ينتقص تبعاً لذلك كل ما يرتبط بذلك من حقوق، و امتيازات، و أن ينحط ما نشأ عنها من مقامات و درجات.

و حين تجلت سمات الإنسانية في علي «عليه السلام» لكل أحد بالتصدق بالخاتم بالصلاة، أعلن الله تعالى له أعظم مقام، ألا و هو مقام الولاية العظمى على البشر، في قوله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِعُونَ (1)**.

و حين ظهر الخلل في معنى الرحمة الإنسانية في ذلك الذي يدعُ اليَتِيمَ وَ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ . جاء الإعلان الإلهي: بأن ذلك من سمات ذلك الذي يُكَذِّبُ بِالْدينِ . . و أن ذلك من شأنه ان يخل حتى بالكوين الفكري و الاعتقادي. . إلى حد انه ينتهي بما يوجب خروجه عن الدين و الإيمان، قال تعالى: **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (2)**.

و لأجل ذلك. . جاء الإستفهام الإنكاري الذي يشير إلى فقدان سمات الإنسانية لدى هؤلاء، فلا جرم أن تصدر منهم هذه الأعمال الفظيعة و الشنيعة.

المعترضون على الجريمة:

عن سلمة بن الأكوع، قال: قدم خالد بن الوليد على النبي «صلى الله

ص: 260

1- الآية 55 من سورة المائدة.

2- الآيات 1-3 من سورة الماعون.

عليه وآله» بعد ما صنع بني جذيمة ما صنع، وقد عاب عبد الرحمن بن عوف على خالد ما صنع.

قال: يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية في الإسلام، قتلتهم بعمك الفاكه؟! وأعانه عمر بن الخطاب على خالد.

فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك (1).

وفي لفظ: فقال: إنما تأرت بأبيك (2).

فقال عبد الرحمن: كذبت والله، لقد قتلت قاتل أبي (3)، وأشهدت على قتله عثمان بن عفان.

ثم التفت إلى عثمان، فقال: أنشدك الله، هل علمت أني قتلت قاتل أبي؟

فقال عثمان: اللهم نعم.

ص: 261

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 202 و كنز العمال ج 13 ص 223 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 234 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 371.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 202 و 203 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 73 و 74 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 884 و عيون الأثر ج 2 ص 210 و راجع: المنمق ص 260 و (مخطوطة) ص 217 و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 68 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 342 و المغازي للواقدي ج 3 ص 880 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 256 و البداية والنهاية ج 4 ص 359 و أعيان الشيعة ج 1 ص 278 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 593 و 594.

3- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 202 و راجع: المنمق ص 260 و المغازي للواقدي ج 3 ص 880 و كنز العمال ج 13 ص 223 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 234 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 371.

ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوما مسلمين بأبي في الجاهلية؟

قال خالد: ومن أخبرك أنهم أسلموا؟

فقال: أهل السرية كلهم يخبرونا أنك قد وجدتهم بنوا المساجد، وأقروا بالإسلام، ثم حملتهم على السيف.

قال: جاءني رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أغير عليهم.

وعند ابن إسحاق (وقد قال بعض من يعذر خالدا أنه) قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمرك أن تقتلهم لا متناهم من الإسلام، انتهى (1).

فقال عبد الرحمن: كذبت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغالط عبد الرحمن.

قال ابن إسحاق: فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» (2). انتهى.

فأعرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خالد، وغضب عليه،

ص: 262

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 203 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 73 و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 68 و المغازي للواقدي ج 3 ص 880 و تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 211 و كنز العمال ج 13 ص 223 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 234 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 371.

2- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 202 و 203 عن الواقدي، وأبي سعد النيسابوري في الشرف، و الحاكم في الإكليل، و ابن عساكر، و عن الكامل في التاريخ ج 2 ص 173 و المغازي للواقدي ج 3 ص 880.

وقال: «يا خالد، ذرلي أصحابي، متى ينكأ المرء؟ ينكأ المرء ولو كان لك أحد ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو رוחات عبد الرحمن» (1).

أو: لم تدرك غدوة أحدهم ولا روحته.

وعند ابن إسحاق: غدوة رجل من أصحابي (2).

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (3).

ص: 263

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 203 وفي هامشه عن: تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 103 وعن كنز العمال الحديث رقم (33497) والمغازي للواقدي ج 3 ص 880 وراجع: كنز العمال ج 11 ص 716 ح (33498) و ج 13 ص 223 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 234 وإمتاع الأسماع ج 2 ص 7 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 211.

2- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 74 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج 4 ص 884 والكامل في التاريخ ج 2 ص 173 و (ط دار صادر) ص 256 و تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج 3 ص 68 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 342 و راجع: شرح الأخبار ج 1 ص 310 و البداية والنهاية ج 4 ص 359 و عيون الأثر ج 1 ص 210 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 593 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 211.

3- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 203 عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البخاري في كتاب المناقب (3673) وأحمد في المسند ج 3 ص 11 والبيهقي في السنن ج 1 ص 203 و راجع: الإستيعاب ج 1 ص 8 و 18 و البداية والنهاية ج 7 ص 183 و المحلى لابن حزم ج 1 ص 28 و نيل الأوطار ج 9 ص 229 و 230 و الإيضاح لابن شاذان ص 507 و كتاب الأربعين ص 314 و خلاصة عقبات الأنوار ج 3 ص 167 و مواقف الشيعة ج 2 ص 254 و سنن أبي داود ج 2 ص 404 و شرح مسلم للنووي ج 16 ص 93 و تحفة الأحوزي ج 8 ص 338 و ج 10 ص 246 و عون المعبود ج 11 ص 333 و كتاب السنة ص 464 و المعجم الأوسط ج 1 ص 212 و التمهيد ج 20 ص 251 و الكفاية في علوم الرواية ص 65 و شرح النهج ج 20 ص 11 و اللمع للسيوطي ص 87 و 88 و كنز العمال ج 11 ص 528 و ج 14 ص 73 و 74.

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة نذكر منها ما يلي:

أهمية اعتراض ابن عوف:

ونقول:

تقدم اعتراض عمر وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة، وكذلك عبد الله بن عمر على خالد..

وسياتي الحديث عن اعتراض عمار عليه أيضا.

غير أن لاعتراض عبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر أهمية خاصة هنا. .

فأما بالنسبة لعمار، فلأن له خصوصيته، ومقامه، وموقعه المتميز فيما بين المسلمين، ولدى الصفوة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسنشير إلى اعتراضه هذا فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

ص: 264

و أما اعتراض عبد الرحمن بن عوف، فأهميته تكمن في أنه يأتي من إنسان له ثأر عند بني جذيمة، علما بأن المقتول هو أبوه. والأب أقرب إلى الإنسان من العم، فإذا كان من قتل أبوه وهو ولي دمه يؤنب خالدًا على ما فعل. فكيف يمكن أن يعذر خالد فيما أقدم عليه، وليس هو ولي الدم، وإنما هو مجرد معتد متعمد للباطل، طامح للجريمة؟!

و هناك أمر آخر، وهو: أن إرسال خالد و ابن عوف لدعوة بني جذيمة وغيرهم إلى الله تعالى، من شأنه أن يطمئن أولئك الناس إلى أن أمر الجاهلية قد انتهى، وأن أحدا لا يؤخذ بإحنة، ولا يلاحق بجريرة، وأن المنطقة بأسرها قد دخلت في عهد جديد، ينعم الناس فيه بالأمن، و السلام، و السلامة في الدين، وفي الدنيا. .

و لو أن آخرين جاؤوا لدعوة بني جذيمة إلى الإسلام، فإنهم لن يقتنعوا بأن من لهم عندهم ثارات قد تخلوا عن الطلب بها. .

و ذلك كله يظهر: أنه لا مناص من إرسال خالد، و ابن عوف.

قال الشيخ المفيد «رحمه الله» عن إرسال خالد إلى بني جذيمة: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم «يدعوهم إلى الله عز وجل. وإنما أنفذه إليهم للثرة التي كانت بينه وبينهم، و ذلك أنهم كانوا أصابوا في الجاهلية نسوة من بني المغيرة، وقتلوا الفاكه بن المغيرة، عم خالد بن الوليد، وقتلوا أبا عبد الرحمن بن عوف للثرة أيضا، التي كانت بينه وبينهم.

و لو لا ذلك ما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالدًا أهلا للإمارة

على المسلمين» (1). أي وكان عليه «صلى الله عليه وآله» أن يتعامل مع الأمور وفق ظواهرها. . وليس وفق ما يطلع عليه من غيب، لا يتيسر لغيره الاطلاع عليه. . كما أشرنا إليه غير مرة.

ولكن ما صنعه خالد قد ضيع الأهداف التي توخاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إرساله. . و خالد هو الذي يتحمل مسؤولية ما صنع، لذلك برئ «صلى الله عليه وآله» إلى الله من فعله ثلاث مرات.

النبي صلى الله عليه وآله نصير المظلومين:

ولكن عليا «عليه السلام» قد رتق ذلك الفتق، و اصلح ما أفسده خالد، و بين لبني جذيمة و للعرب جميعا، و لغيرهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يكون نصيرا للظالمين، بل هو مع المظلوم في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، ينصره بيده، و بلسانه، و بماله، و بجاهه، و بكل ما يقدر عليه. .

توضيحات:

وقد تقدم في النص المتقدم ذكر:

الغميصاء: و هي موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر.

وقوله: ما أنتم؟ قال: في النهر. الظاهر: أنه سألهم عن صفتهم. أي مسلمون أنتم أم كفار؟ و لهذا أتى بما، و لو أراد غير ذلك لقال: من أنتم؟

ص: 266

وقد استعمل «ما» فيمن يعقل و هو شائع.

لما ذا هذا العدد؟! :

قد يقول قائل: إنه إذا كانت هذه سرية دعوة لا سرية قتال، فلما ذا هذه الكثرة في عدد أفرادها؟! !

ويمكن أن يجاب: بأن سرية الدعوة قد تحتاج أيضا إلى من يحميها من تأمر المتآمرين، و مغامرة الطائشين، و الذين يريدون إثارة الفتن، و يرون ان من مصلحتهم إبقاء التوتر مهيمنا على الـجاء العامة، فيبادرون الى الاخلال بالأمن، ثم يتحينون الفرصة، فقد تأتي الأيام بمفاجآت يمكنهم من خلالها تحقيق بعض ما يصبون إليه. .

على أن الدعوة أيضا قد تحتاج إلى أناس كثيرين يتفرقون في الأحياء، و في القبائل، و في الأرياف، و القرى، و يحاولون إقناع الناس، أفرادا و جماعات، بالحق. . و يقدمون لهم الدلائل و الشواهد المختلفة.

وقد يسأل سائل أيضا: عن السبب في إرسال سرايا للدعوة، في حين أن السرايا الأخرى تتخذ عادة منحى قتاليا، أو استطلاعيا و قائيا. .

و يجاب: بأن فتح مكة قد فرض هذا الإجراء، فلم يعد للمشركين قدرة على المواجهة، فقد أصبح من الضروري تعريف الناس بدعوة الإسلام، لتسهيل إعلانهم الدخول فيه، حتى لا يبقى الناس في ذلك المحيط مذبذبين بين الاتجاهات المختلفة، فإن تحديد انتمائهم أمر مهم جدا في تحقيق الاستقرار النفسي، و الانضباط الاجتماعي و السياسي في المنطقة بأسرها.

إذا كانت البعثات تهدف إلى تحديد هذا الإنتماء، فإن من الضروري: أن تكون بقيادة شخصيات قرشية، بل الأولى هو: أن تكون من الأشخاص الذين يخاف الناس بطشهم، ونكايتهم، لأن الدعوة إذا جاءت من قبل خصوص هؤلاء، فذلك يدعو الناس للإطمينان إلى أن دخولهم في هذا الدين ليس فيه أية خطورة عليهم، ولا- يعد مغامرة، و تعريضا لأنفسهم لخطر أخذهم على حين غرة من قبل جبابرة الجاهلية و طغاتها. .

وقد كان خالد هو أحد هؤلاء الذين لا مناص من الإستفادة منهم في هذا المجال. وأية شخصية أخرى، فإنها لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة، ولا توجب الاستجابة لدعوتها أية سكينة أو طمأنينة عند الناس.

خالد معروف بالغدر:

وقد أظهر كلام جحدم: أن خالدا كان معروفا بغدراته، وأن الاستسلام له يحمل أخطار الغدر بهم. .

وهذا يدل على: أن غدر خالد، إنما كان سجية له، فلا مجال لأن يحسب ذلك على الإسلام، أو ينسب إليه.

ولعل الذي عزز خوف جحدم بالإضافة إلى معرفته بخالد، و بسجايه معرفته أيضا: بأن لخالد ثارا جاهليا على بني جذيمة، لا بد أن يطلبه منهم، خصوصا. . وأن خالدا كان حديث الإسلام، و لم يدخل الإسلام عن قناعة وإنما رهبة من عواقب الإصرار على المناوأة، و رغبة بالحصول على شيء من حطام الدنيا.

فمن أجل ذلك كله: دعا جحدم قومه إلى الحذر من استدراج خالد لهم. تمهيدا للانتقام منهم.

أسلمنا. أم صباناً؟! :

قد تقدم: أن بني جذيمة قد صرحوا: بأنهم مسلمون. فما معنى ادّعاء: أنهم لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، بل قالوا: صباناً.

فعن ابن عمر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالدًا إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباناً صباناً، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره.

قال ابن عمر: فقلت: والله، لا أقتل أسيري، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره (1).

ص: 269

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 200 و تاريخ الخميس ج 2 ص 97 عن صحيح البخاري، والمحلى لابن حزم ج 10 ص 368 والسنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 115 و البداية والنهاية ج 4 ص 359 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 593 و المعتمر من المختصر ج 1 ص 216 و الديات للشيباني ج 1 ص 50 و نيل الأوطار ج 8 ص 9 و الطرائف لابن طاووس ص 394 و مسند أحمد ج 2 ص 151 و سنن النسائي ج 8 ص 237 و فتح الباري ج 270 ص 46 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 221 و 222 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 474 و ج 5 ص 177 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 567 و نهج الحق و كشف الصدق ص 322.

ونقول:

إن من الواضح: أن كلمة أسلمنا هي كلمة عربية، لا يجهلها، ولا يعجز عن التلفظ بها أحد من العرب.

وهي ليست اسماً لشيء بعينه، ولا هي اشتقاق خاص، يمكن أن يتحاشاه بنو جذيمة، دون غيرهم. . فإن كانوا يتحاشون من استعمال هذه الكلمة، فإن ذلك كان بعد ظهور الإسلام، حيث إن تحاشيهم لها لا يزيد عن تحاشي سائر القبائل العربية، التي حاربت الإسلام والمسلمين.

وحتى لو كان لهم حساسية خاصة، وهجران قوي لهذه الكلمة بالذات، فإن ذلك لا يمنعهم من النطق بها عند الضرورة، وحيث يوجب إصرارهم على تركها قتلهم. . فإن بإمكانهم تقليد الآخرين في نطقها، ولو مثل تقليد غير العربي للعربي في نطق الألفاظ العربية. .

ولنفترض: أنهم رفضوا الإسلام حقاً، فبأي حق يقاتلهم خالد، ويقتلهم، ويأسرهم، ثم يقتل الأسرى منهم؟!!

على أنهم يقولون: إن القوم قد صرحوا: بأنهم مسلمون، وبأنهم قد أذنوا وصلوا، وبنوا المساجد في ساحاتهم، فما هو المبرر لقتلهم بعد هذا كله؟!!

خالد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن خالدًا يعترف لابن عوف: بأنه قتل بني جذيمة انتقاماً منهم، لقتلهم عوفاً أباً عبد الرحمن بن عوف، ولكن ابن عوف يرفض ذلك، ويقول له: إنه قد قتلهم بعمه الفاكه بن المغيرة، ويسكت خالد عن إجابته، حيث لم يجد ما يدافع به عن نفسه.

ص: 270

كما أن الروايات قد صرحت: بأنه قتلهم كان على دفعتين:

الأولى: حين زعم أنهم لم يسلموا.

والثانية: حين قتل من أسرهم منهم.

ولكن خالدًا زعم: أن رسولاً قد أتاه بأمر من النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه يطلب منه أن يقتلهم.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

وقد بلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولكنه لم ينصر خالدًا، ولم يصدق فيما ادّعاه، بل أظهر غضبه منه، وأعرض عنه، وانتصر لعبد الرحمن بن عوف. .

على أن الروايات الأخرى قد صرحت بأنهم قالوا: إنهم مسلمون، وإنهم يصلون، ويؤذنون، وقد بنوا المساجد، وقد صلوا مع خالد مرتين. قبل أن يوقع بهم كما ذكرته الرواية الصحيحة عن الإمام الباقر «عليه السلام» (1).

ثم إن الأسرى كانوا يصلون حتى في حال أسرهم قبل أن يأمر خالد بقتلهم.

قال الواقدي: «وباتوا في وثاق، فكانوا إذا جاء وقت الصلاة يكلمون

ص: 271

1- الأُمالي للشيخ الصدوق (ط سنة 1398 هـ) ص 152 و 153 و البحار ج 21 ص 142 و ج 101 ص 423 و 424 و مستدرک الوسائل ج 18 ص 366 و 367 و علل الشرائع (ط سنة 1385 هـ) ج 2 ص 473 و 474.

المسلمين، فيصلون ثم يربطون، فلما كان وقت السحر، والمسلمون قد اختلفوا بينهم، فقاتل يقول: ما نريد بأسرهم؟! نذهب بهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقاتل يقول: ننظر: هل يسمعون أو يطيعون، ونبلوهم، ونخبرهم. والناس على هذين القولين الخ. «(1).

وقد واجه عبد الرحمن بن عوف خالدا بهذه الحقيقة، ولم يستطع أن ينكرها، فادّعى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم بقتلهم.

وقد كذبه عبد الرحمن بن عوف في دعواه هذه.

فلما ذا يتجرأ خالد على مقام النبوة، وينسب إلى نبي الله تعالى الكذب؟! وكيف يمكن أن تقول فئة من الناس: إن خالدا من الصحابة العدول، وهو يقتل الأبرياء، ويكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو يسب أصحابه؟!

حقيقة دوافع خالد:

تقدم: أن خالدا قال لعبد الرحمن بن عوف، حين لأمه على فعلته: إنما تأرت بأبيك.

وهذا معناه: أن الأمر لم يكن مجرد حصول اشتباه في فهم كلمة: «المدافعة» التي أطلقها خالد-حسب زعمهم-لأصحابه في وقت السحر. بل كان قتلا مقصودا ومتعمدا. .

و مع غض النظر عن ذلك، إذا كان هؤلاء القوم مسلمين، ويصلون

ص: 272

و يؤذنون، وقد بنوا المساجد في الساحات، فما هو الداعي إلى أسرهم، وشد أكتافهم، وتسليمهم لأصحابه؟! ألا يعد هذا غدرا ظاهرا بهم؟!

و ألم يكن بإمكان خالد أن يستغني عن أسرهم بأن يتحقق من صحة ما ادّعوه: من أنهم يصلون، و يؤذنون، وأنهم أقاموا المساجد في ساحاتهم؟! فيطلب منهم أن يصلوا أمامه، و أن يؤذنوا، و أن يدلوه على المساجد التي أقاموها ليراها بنفسه.

و أما زعمه: أنه قتلهم انتقاما للفاكه بن المغيرة، فهو غريب و عجيب من إنسان ينسب نفسه إلى الإسلام! فإن الفاكه قد قتل في الجاهلية، و هو مشرك مهذور الدم، و لعله كان هو المعتدي عليهم، أو كان قد قتل ثارا لدم قتل آخر. و لا شيء يثبت أنه قتل مظلوما.

على أن المؤرخين قد صرحوا: بأن بني جذيمة قد دفعوا دية الفاكه و دية عوف إلى قريش.

فلما ذا يعود عبد الرحمن بن عوف لقتل قاتل أبيه، و هو قد أخذ ديته، ثم يعود خالد لقتل أربع مائة غلام من بني جذيمة (1).

و حتى لو قتل مظلوما، فإن الإسلام يجب ما قبله.

و لو أراد النبي «صلى الله عليه و آله» أن يؤاخذ الناس بما صدر منهم قبل إسلامهم لقتل معظم الناس، بل لوجب قتل الناس كلهم، لأن جريمة الشرك نفسها تقتضي قتلهم. فضلا عما سوى ذلك مما ارتكبه، أو مارسه. .

و لنفترض: أن قاعدة الإسلام يجب ما قبله، قد عطلت بالنسبة لمن

ص: 273

يقتل مظلوما، إذا أصر ولي الدم على الإنتقام. . فإن ذلك أيضا لا يبرر ما فعله خالد لعدة أسباب:

أحدها: أن خالدا لم يكن ولي دم الفاكه بن المغيرة.

الثاني: أن عليه أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

الثالث: أن عليه أن يقتصر على قتل القاتل نفسه دون سواه،

الرابع: أن لا يتعدى القتل إلى التمثيل أو التعذيب في الكيفية التي يجريها.

دعوا لي أصحابي:

1-تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لخالد حين تلاهى مع عبد الرحمن بن عوف دعوا لي أصحابي. أو لا تسبوا أصحابي.

ولعل هذه الرواية الصحيحة.

وسواء أكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال: دعوا، أو قال: لا تسبوا، فإن خالدا قد تناول شخص ذلك الصحابي، و آذاه بلسانه، و لم يكن خالد يتورع عن سب أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» .

2-قد يقال: إن هذه الكلمة تشير إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعد خالدا من أصحابه، فضلا عن أن يكف عنهم لسانه، و سبّه.

فدعوى: أن كل من رأى النبي «صلى الله عليه وآله» مميزا فهو صحابي تصبح موضع ريب.

ويدل على ذلك: أن قوله في الرواية نفسها: إن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه، فإن هذا الخطاب يشمل خالدا بلا

ريب، فلو أنه كان هو من الصحابة لم يكن معنى لخطابه بمثل هذا الكلام.

3- إن ابن عوف، وإن كان في ذلك الوقت ممن يصح أن يعد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن لا يعني بقاءه وكذلك سائر أصحابه «صلى الله عليه وآله» على حال الإستقامة بعد وفاته أيضا.

و يدل على ذلك حديث: ليردن علي الحوض أقوام، فيختلجون دوني، فأقول: رب أصحابي.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي بعض نصوص الحديث: إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري،

زاد في بعضها قوله: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (1).

ص: 275

1- راجع ألفاظ الحديث في: صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح) ج 6 ص 69 و 70 و 122 و ج 8 ص 136 و 148 و 150 و 151 و 149 و 169 و 202 و ج 9 ص 58 و 59 و 63 و 64 و (ط دار الفكر) ج 5 ص 192 و 240 و ج 7 ص 195 و 206 و 207 و 208 و ج 8 ص 87 و صحيح مسلم ج 1 ص 58 و 150 و ج 7 ص 67 و 68 و 70 و 71 و 96 و 122 و 123 و ج 8 ص 157 و مسند أحمد ج 1 ص 235 و 253 و 384 و 402 و 406 و 407 و 425 و 439 و 453 و ج 3 ص 28 و 102 و 281 و ج 5 ص 48 و 50 و 339 و 388 و 393 و 400 و 412 و كنز العمال (ط الهند) ج 11 رقم (1416) و (2416) و (2472) و (ط مؤسسة الرسالة) ج 4 ص 543 و ج 5 ص 126 و ج 11 ص 177 و ج 13 ص 239 و ج 14 ص 358 و 417 و 418 و 419 و 433 و 434 و 435 و 436 و المصنف للصنعاني ج 11 ص 407 و المغازي للواقدي ج 1 ص 410 و الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج 1 ص 159 و 160 و (ط دار الجيل) ج 1 ص 164 و الجمع بين الصحيحين رقم (131) و (267). و راجع: الإقتصاد للشيخ الطوسي ص 213 و عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج 1 ص 93 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 131 و 378 و 379 و كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص 163 و 270 و شرح الأخبار ج 1 ص 228 و ج 2 ص 277 و كتاب الغيبة للنعماني ص 54 و المسترشد ص 229 و الإفصاح للشيخ المفيد ص 51 و التعجب للكرجكي ص 89 و كنز الفوائد للكرجكي ص 60 و العمدة لابن البطريق ص 466 و 467 و الطرائف لابن طاووس ص 376 و 377 و 378 و الملاحم لابن طاووس ص 75 و الصراط المستقيم ج 2 ص 81 و ج 3 ص 107 و 140 و 230 و عوالي اللآلي ج 1 ص 59 و وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص 65 و 66 و 67 و الصور المهرقة ص 10 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 140 و 240 و 262 و 263 و 264 و البحار ج 8 ص 16 و 27 و ج 23 ص 165 و ج 28 ص 19 و 24 و 25 و 26 و 27 و 28 و 29 و 127 و 282 و ج 29 ص 566 و ج 31 ص 145 و ج 37 ص 168 و ج 69 ص 148 و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص 394 و 395 و النص و الإجتهد ص 524 و 525 و جامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 103 و الغدير ج 3 ص 296 و مستدرك سفينة البحار ج 6 ص 175 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 576 و مواقف الشيعة ج 3 ص 208 و ميزان الحكمة ج 2 ص 1062 و ج 3 ص 2188 و سنن ابن ماجة ج 2 ص 1016 سنن الترمذي ج 4 ص 38 و ج 5 ص 4 و سنن النسائي ج 4 ص 117 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 501 و ج 4 ص 452 و شرح مسلم للنووي ج 3 ص 136 و ج 4 ص 113 و ج 15 ص 64 و مجمع الزوائد ج 3 ص 85 و ج 9 ص 367 و ج 10 ص 365 و فتح الباري ج 11 ص 333 و ج 13 ص 3 و عمدة القاري ج 15 ص 243 و ج 18 ص 217 و ج 19 ص 65 و ج 23 ص 106 و 137 و 140 و ج 24 ص 176 و تحفة الأحوزي ج 7 ص 93 و ج 9 ص 6 و 7 و مسند أبي داود الطيالسي ص 343 و المصنف لابن أبي

شبية ج 7 ص 415 و ج 8 ص 139 و 602 و مسند ابن راهويه ج 1 ص 379 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 365 و تأويل مختلف الحديث ص 217 و الآحاد و المثاني ج 5 ص 352 و السنن الكبرى للنسائي ج 1 ص 669 و ج 6 ص 339 و 408 و مسند أبي يعلى ج 7 ص 35 و 40 و 434 و ج 9 ص 102 و 126 و صحيح ابن حبان ج 16 ص 344 و المعجم الأوسط ج 1 ص 125 و ج 6 ص 351 و ج 7 ص 166 و المعجم الكبير ج 7 ص 207 و ج 12 ص 56 و ج 17 ص 201 و ج 23 ص 297 و مسند الشاميين ج 3 ص 16 و 310 و ج 4 ص 34 و مسند الشهاب ج 2 ص 175 و الإستذكار لابن عبد البر ج 5 ص 111 و التمهيد لابن عبد البر ج 2 ص 291 و 292 و 293 و 301 و 308 و ج 19 ص 222 و رياض الصالحين للنووي ص 138 و تخريج الأحاديث والآثار ج 1 ص 241 و تعليق التعليق لابن حجر ج 5 ص 185 و 187 و الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 449 و فيض القدير ج 5 ص 450 و تفسير جوامع الجامع ج 3 ص 856 و مجمع البيان ج 10 ص 459 و التفسير الأصفي ج 2 ص 1483 و التفسير الصافي ج 1 ص 369 و ج 5 ص 382 و ج 7 ص 566 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 680 و تفسير كنز الدقائق ج 2 ص 195 و تفسير الميزان ج 3 ص 380 و تفسير القرآن للصنعاني ج 2 ص 371 و جامع البيان ج 4 ص 55 و تفسير ابن أبي حاتم ج 4 ص 1254 و معاني القرآن للنحاس ج 2 ص 382 و تفسير الثعلبي ج 3 ص 126 و ج 10 ص 308 و تفسير السمعاني ج 2 ص 77 و ج 6 ص 290 و تفسير البغوي ج 2 ص 76 و زاد المسير ج 8 ص 320 و الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 168 و ج 6 ص 361 و 377 و تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 124 و ج 3 ص 261 و ج 4 ص 595 و الدر المنثور ج 2 ص 349 و ج 5 ص 96 و ج 17 ص 211 و ج 22 ص 45 و طبقات المحدثين بأصبهان ج 3 ص 234 و علل الدارقطني ج 5 ص 96 و ج 7 ص 299 و تاريخ مدينة دمشق ج 20 ص 372 و ج 36 ص 8 و ج 47 ص 117 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 120 و تاريخ المدينة لابن شبة ج 4 ص 1251 و البداية و النهاية ج 6 ص 231 و إمتاع الأسماع ج 3 ص 305 و 306 و ج 14 ص 222 و 223 و بشارة المصطفى للطبري ص 217 و الدر النظيم ص 444 و نهج الإيمان لابن جبر ص 583 و العدد القوية للحلي ص 198 و سبل الهدى و الرشاد الصالح ج 10 ص 96 و ينابيع المودة للقندوزي ج 1 ص 398 و النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص 164 و 165.

وإذا راجعنا نصوص ما جرى من خالد على مالك بن نويرة وأصحابه، وعلى بني جذيمة، فإننا نشهد ظاهرة مثيرة وهي: أن ثمة تشابها في عرض ما جرى بين القضيتين في عدة مفاصل أساسية.

فقد رأوهم يصلون، ويؤذنون في كلا الواقعتين.

و حبسوا في ليلة باردة، وقتلوا لأن خالدا أمر أصحابهم بأن يدفنوا أسراهم، ففهموا ذلك على أنه أمر بالقتل.

و كلمة «أدفنوا في لغة كنانة تعني القتل» .

و سماع خالد الواعية بعد ان فرغوا منهم.

و اعترض على خالد في قتلهم رجلا، هما: عبد الله بن عمر، و سالم مولى أبي حذيفة في بني جذيمة، أو عبد الله بن عمر و أبو قتادة في قصة مالك و أصحابه. وقد كره خالد كلامهما في كلتا الحادثتين.

بل إن أبا قتادة قد عاهد الله أن لا يشهد مع خالد حربا أبدا بعد قصة مالك بن نويرة.

و تذكر رواية قصة مالك أيضا: سياقًا يتوافق كثيرا مع سياق قصة بني

جذيمة، فإن أصحاب خالد واجهوا أصحاب مالك تحت الليل، فأخذ أصحاب مالك السلاح، فقال أصحاب خالد: إنا مسلمون.

فقالوا: ونحن المسلمون.

قلنا: فما بال السلاح معكم؟

قالوا: فما بال السلاح معكم؟

قلنا: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح.

فوضعوا السلاح لقول خالد الخ. . (1).

و هذا السياق بعينه موجود في قصة بني جذيمة كما تقدم.

فهل سبب هذا التشابه هو: أن محبي خالد أرادوا أن يقرنوا بين أبي بكر في نصرته لخالد و دفاعه عنه، وبين حادثة بني جذيمة، حيث لم يقتل النبي «صلى الله عليه وآله» خالدًا حين أوقع بهم؟ !

الإقواء في الشعر المنقول:

وقد ظهر في الأبيات المنقولة، خصوصاً في البيتين اللذين قال ابن هشام: إن أهل العلم بالشعر ينكرونها لذلك القائل، ظهر فيها الإقواء، في القافية، فجاءت مرفوعة بدل أن تكون مكسورة، فقراءة المرفوع مكسوراً إقواء في الشعر.

اجتهاد خالد:

إن محبي خالد قد عذروا خالدًا فيما فعله ببني جذيمة بأنه اجتهد فأخطأ، رغم اعترافه لعمر: بأن الأمر ليس كذلك، ورغم أنه قد اعترف

ص: 279

1- تاريخ الأمم والملوك (حوادث سنة 11 هـ) ج 3 ص 279 وقد تقدمت مصادر ذلك.

لابن عوف بأنه قد قتلهم استجابة للإحن الجاهلية، فقد قال العامري:

«وإنما أنكر النبي «صلى الله عليه وآله» على خالد، لأنه لم يثبت في أمرهم. ثم عذره في إسقاط القصاص، لأن (أي قولهم: صباناً) ليس تصريحاً في قبول الدين. وقد سأل عمر أبا بكر في خلافته قتل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، فقال: لا أفعل، لأنه متأول الخ.». (1).

فتراه يصرح: بأن هذا هو نفس ما عذره به أبو بكر لقتله مالك بن نويرة وأصحابه. ثم إقدامه على الزنى بزوجة مالك في نفس ليلة قتله، كما تنبأ به مالك نفسه، في نفس ليلة قتله. .

وعلى كل حال، فقد قالوا: إنه لما بلغ ذلك أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إن خالداً قد زنى، فاجلده.

قال أبو بكر: لا، لأنه تأول فأخطأ.

قال: فإنه قتل مسلماً، فاقتله.

قال: لا، إنه تأول فأخطأ.

ثم قال: يا عمر! ما كنت لأعتمد سيفاً سله الله عليهم (2).

ص: 280

1- بهجة المحافل للعامري ج 1 ص 444.

2- راجع: تاريخ ابن شحنة (روضة المناظر) (مطبوع بهامش الكامل) حوادث سنة 11 هـ ج 7 ص 165 و (في ط أخرى لروضة المناظر) ج 1 ص 191 و 192 و تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 158. و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 209 و شرح المواقف ج 8 ص 358 و الغدير ج 7 ص 160 و راجع: كنز العمال ج 5 ص 247 و مرآة الجنان ج 2 ص 120 و فيات الأعيان ج 6 ص 15 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 257 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 503 و الكنى والألقاب ج 1 ص 42.

ولكن ليت شعري كيف يجيب هؤلاء على الأسئلة التالية:

كيف يصح الإجتهد مع وجود النص على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لم يرسله مقاتلاً، وإنما أرسله داعياً؟!

وكيف يصح الإجتهد، مع النهي الصريح عن قتل المسلمين؟! فإنه لا يحل قتل المسلم إلا في كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو تعمد قتل مسلم (1). أو فساد في الأرض (2)، وكل ذلك لم يكن..

وإذا كان بنو جذيمة لم يحسنوا أن يقولوا: «أسلمنا»، فقالوا: «صبأنا»

ص: 281

1- راجع: مشكاة المصابيح ج 2 ص 285 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 847 و مصابيح السنة ج 2 ص 502 و الديات لابن أبي عاصم ص 9 و عن صحيح البخاري ج 6 ص 2521 و عن صحيح مسلم ج 2 ص 37 و (ط دار الفكر) ج 5 ص 187 و ج 8 ص 43 و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج 35 ص 212 و المحلى لابن حزم ج 11 ص 68 و ميزان الحكمة ج 3 ص 2499 و سنن أبي داود ج 2 ص 327 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 128 و عمدة القاري ج 18 ص 203 و ج 24 ص 61 و عون المعبود ج 12 ص 5 و المصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 417 و نصب الراية ج 4 ص 109 و الدراية في تخريج أحاديث الهداية ج 2 ص 96 و كنز العمال ج 1 ص 87 و 92 و شرح مسند أبي حنيفة ص 359 و كشف الخفاء ج 2 ص 367 و أحكام القرآن ج 2 ص 98 و 292 و أضواء البيان ج 3 ص 134 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 445.

2- كما نصت عليه الآية الكريمة: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (الآية 33 من سورة المائدة).

-كما زعم أنصار خالد ومحبوه-فإن صلاتهم، وأذانهم، و مساجدهم شاهد صدق على إسلامهم.

ولو قيل: إن ذلك لا يمنع من ارتدادهم بعد صلاتهم وأذانهم، فيصح قتلهم. .

فإننا نقول:

قد تقدم: أن خالدًا قال لهم: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون.

ولو أنهم كانوا قد عادوا إلى الارتداد، فلما ذا اعترض الناس على خالد حين قتلهم؟!

ولما ذا غضب عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ولما ذا برئ إلى الله من فعل خالد ثلاث مرات؟!

ولما ذا لامه عمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار، وعبد الله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة؟!

ولما ذا لم يقتل أحد من الأنصار أسيره؟!

ولما ذا يعتذر خالد عن قتلهم: بأنه يريد أخذ ثار عوف؟!

ولما ذا. . ولما ذا. .

ومن جهة أخرى: كيف يمكن لهؤلاء إثبات اجتهاد خالد، وهو كان حديث عهد بالإسلام؟ إلا أن يكون هؤلاء يرون أن الاجتهاد-

كالنبوة- مقام إلهي يمنحه الله لمن يشاء!!

وأخيرا نقول:

إن زعمهم: أن خالدًا تأول فأخطأ، فيه جرأة كبيرة على خالد-بنظرهم

طبعاً-و هو ذنب يستغفرون الله منه، فقد كان ينبغي أن يقولوا فيه مثل ما قالوه في قاتل علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ، فقد افتروا على ابن ملجم، فزعموا: أنه مجتهد مأجور على ما فعل.

وقال محمد بن جرير الطبري في التهذيب: «ولا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً مقدراً على أنه على صواب» (1).

وهذا هو نفس ما عذروا به أبا الغادية قاتل عمار بن ياسر (2).

اجتهاد خالد عند الخطابي:

قال الخطابي: «يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم للعدول عن لفظ الإسلام، ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولاً. وأنكر عليه النبي «صلى الله عليه وآله» العجلة، وترك الثبوت في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم: صباناً» (3).

ص: 283

-
- 1- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 98 و راجع: مغني المحتاج ج 4 ص 124 و تلخيص الحبير ج 4 ص 46 و المحلى لابن حزم ج 10 ص 484 و الجواهر النقي ج 8 ص 58 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 61 و الغدير ج 1 ص 323 و ج 9 ص 393 و ج 10 ص 341 و المجموع للنووي ج 19 ص 197 و المبسوط للسرخسي ج 26 ص 175 و الشرح الكبير ج 10 ص 76 و النص و الإجهاد ص 13.
 - 2- المحلى لابن حزم ج 1 ص 484 و الجواهر النقي (مطبوع بهامش سنن البيهقي) ج 8 ص 158 و الغدير ج 1 ص 328 و سماء المقال في علم الرجال للكلباسي ج 1 ص 20.
 - 3- الفصل في الملل و الأهواء و النحل ج 4 ص 161 و راجع: فتح الباري ج 8 ص 46 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 3 ص 211 و مرقاة المفاتيح ج 7 ص 487.

و هو كلام بارد، و تأويل فاسد.

فأولاً:- إن مهمة خالد هي دعوتهم إلى الله تعالى، و تقريب مفاهيم الإسلام إلى أذهانهم، و إقامة الحجة عليهم، من خلال الأدلة و الشواهد.

فإن لم يرق لهم الدخول في الإسلام، فليس له أن يقاتلهم، فضلاً عن أن يغدر بهم، ثم يأسرهم، و يعرضهم على السيف.

ثانياً: لا ندري كيف يجوز له أو لغيره الإجتهد في مورد يحكم فيه العقل بلزوم الإحتياط بمراجعة النبي الكريم «صلى الله عليه و آله» .
الذي لم يفوض إليه أن يعمل باجتهاده، سواء أخطأ فيه، أم أصاب.

ثالثاً: إنه حتى لو أن خالد لم يستعجل في أمر بني جذيمة، بل تثبت من قصدهم بكلمة «صبأنا» ، و علم أنهم قد رفضوا الإسلام، فإن قرار قتلهم أو استبقائهم لا يعود إليه. فالتثبت في أمرهم، و معرفة مرادهم من كلمة صبأنا لا يفيد في دفع اللوم عن خالد.

رابعاً: قد تقدم: أنهم صرحوا بأنهم مسلمون، و صلوا مع خالد عدة صلوات قبل أن يغدر بهم، و بنوا المساجد في الساحات، و رفعوا الأذان، و كانوا بعد أسرهم يطلبون من المسلمين أن يمكنوهم من الصلاة، فكانوا يحلونهم من كتافهم، فإذا صلوا أعادوهم إليه.

خامساً: قد اعترف خالد لعمر، و اعترف لعبد الرحمن بن عوف: بأنه قد قتلهم لأحن، و ثارات، و عصبيات جاهلية.

اعتراض ابن عوف و سالم و ابن عمر:

و اعتراض عبد الرحمن بن عوف على خالد، و جواب خالد له يدل على

أن قتل بني جذيمة لم يكن بسبب الفهم الخاطئ من قبل بني كنانة، فإن خالدًا لم يعتذر بذلك، بل اعتذر بأنه أراد أن يقتل قاتل عوف والد عبد الرحمن بن عوف.

كما أن السبب في قتلهم إن كان هو الفهم الخاطئ من قبل بني كنانة، فإن ملامة عبد الرحمن لخالد تصبح بلا معنى، فإن الخطأ في الفهم يعتبر عذرا مقبولا عند الناس.

على أنه لو صح ذلك، فإن اتهام عبد الرحمن بن عوف لخالد بأن ما فعله من أمر الجاهلية، وأنه أراد أن يأخذ بثأر عمه الفاكه بن المغيرة يصبح من البهتان الذي يقتضي مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ردع ابن عوف عنه؛ فإنه من الظلم الظاهر، ومن المنكر السافر.

و كل هذا الذي ذكرناه: يجري أيضا بالنسبة لاعتراض ابن عمر وسالم مولى أبي حذيفة. فقد كان على خالد أن يعتذر لهما: بأنه لا ذنب له فيما جرى. بل الآخرون هم المخطئون في فهم كلامه، فإن كان ثمة من لوم، فيجب أن يوجه إليهم، إن صح لوم من يخطئ في فهم الكلام الموجه إليه.

التناقض و الاختلاف:

إن التناقض الظاهر فيما بين الروايات في عرضها لما جرى لبني جذيمة يشير إلى أن ثمة رغبة في تعمية الأمور، وإثارة الشبهات حول حقيقة و حجم ما جرى، فعسى و لعل، و لعل و عسى يفيد ذلك في إعادة شيء من ماء الوجه لخالد، و لو أمام البسطاء و السذج من الناس.

ونحن لا نريد أن نفيض في إظهار هذه التناقضات، بل نكل ذلك إلى

القارئ الكريم نفسه. فإن وضوح ذلك يدعونا إلى توفير الوقت لما هو أهم، ونفعله أعم.

أدفنوا أسراكم:

وزعموا: أنه لما كان وقت السحر، نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه، و المدافّة: الإجهاز عليه بالسيف.

ونقول:

من الذي قال: إن كنانة و العرب حول مكة تقول: أدفنوا، بمعنى اقتلوا؟

فإننا لم نجد شاهدا على ذلك سوى ما في هذه الرواية.

غير أنهم ذكروا: أن قولهم: أدفأ الجريح بمعنى أجهز عليه، وقالوا: إن هذه لغة يمانية (1).

و بنو مدلج و كنانة كانتا تعيشان في منطقة مكة، وليستا يمانيتين.

كما أن الأسرى لم يكونوا جرحى، ليقال: إنهم فهموا من هذه الكلمة لزوم الإجهاز على من كان جريحا منهم!!

وقد صرحت الروايات: أن الذين كانوا مع خالد بن الوليدهم:

1- من المهاجرين و الأنصار.

2- من بني سليم بن منصور.

3- و من بني مدلج بن مرة.

ص: 286

1- راجع: أقرب الموارد ج 1 ص 339.

و من الواضح: أن بني سليم بن منصور ينتهون إلى قيس بن عيلان بن مضر. . فأين كنانة من هؤلاء؟!

و المهاجرون هم عموما من قريش.

و الأنصار هم من الأوس و الخزرج، فالذين كانوا من كنانة هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة، و هؤلاء قلة قليلة، يعرفون لغة قريش، و يعرفون أن المتكلم معهم قرشي.

فلو صح: أن أحدا من كنانة ممن كان حاضرا قد وقع في الغلط فعلا، فالمفروض هو: أن ينهاه رفقائه عن قتل أسيره، و يعرفوه معنى كلام خالد.

النداء عند السحر!! لما ذا؟! :

ثم إننا لا ندري لما ذا اختار خالد وقت السحر ليأمر أصحابه بقتل أسراهم؟ هل كان يريد أن يفرغ من هذا الأمر، و حينما يكون الأتقياء من صحابة النبي «صلى الله عليه و آله» نائمين، لا يشعرون بما يجري، حتى يفرغ من جريمته؟!!

لأن الظاهر: أن خالدا كان يخاف من ثورة كثير من الصحابة ضده، لو أنهم شهدوا تلك الجريمة النكراء، و الفضيحة الصلعاء، و الشنعاء.

و يكفي أن التاريخ لم يستطع أن يصرح لنا إلا باسم رجلين اعترضوا على خالد فيما صنع، و من غير المعقول أن يمالئه على هذه الجريمة ثلاث مائة و خمسون رجلا قد صحبوا رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و عرفوا و رأوا بعضا من سياساته و مواقفه!!

فمن المتوقع أن يكثر المعترضون عليه، و لو لأجل التنصل من المسؤولية

عما يحدث، و تسجيل موقف رافض، و لو على مستوى الشكليات.

كما أننا نستفيد من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» : أما كان فيكم رجل رحيم؟ ! شاهدا و مؤيدا لما ذكرناه.

فإن الذين مارسوا القتل-على ما يظهر-قد وقع الاختيار عليهم بعناية و دقة. أي أن خالدا قد سلم الأسرى لأناس يعرفهم بالقسوة، و بعدم الرحمة، حسبما أشارت إليه كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فعل خالد من أمر الجاهلية:

إن من الأمور التي قررها الإسلام، وضع دماء الجاهلية، و عدم أخذ الناس بها. ربما لأنها إنما أريقَت لا لأجل إحقاق حق، و إبطال باطل، و إنما انطلاقا من عصبية مقيتة و ثارا يأخذ البريء بذنب المسيء، و نصرة لمفاهيم جاهلية و غير إنسانية.

و المتأمل في ما فعله خالد يجد: أنه لا يخرج عن هذا السياق، إن يكن يغرق فيه، و يغرق في و حوله التنتة، و تبتهج روحه لما ينبعث منه من روائح عفنة.

لما ذا لم يعاقب النبي صلى الله عليه وآله خالدا؟ ! :

و لا يشك أي مطلع منصف في أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غضب مما جناه خالد، و لم يكتف بالإعراض، بل شفع ذلك بتكرار البراءة إلى الله من فعله ثلاث مرات. ثم هو قد واجهه باللوم على ما بدر منه تجاه عبد الرحمن بن عوف الذي اعترض عليه بسبب ما صدر منه.

غير أن ثمة سؤالاً يبقى بحاجة إلى جواب.. وهو:

لما ذا لم يأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» خالدا بجريمته، ما دام أنه قد كان من المؤكد: أنه إنما قتل جماعة من المسلمين، وأنه لم يكن صادقا حينما ادّعى عليهم الكفر. . وأنه قد كذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بادّعائه: أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمره بقتلهم؟!!

ولعل الصواب أن يتضمن الجواب ما يلي:

إننا لا نريد أن نقول: إن قتل خالد يحبط مسعى النبي «صلى الله عليه وآله» لاستقطاب مستضعفي المنطقة، من حيث إن ذلك سيثير أمام الدعوة الإسلامية ألف مشكلة ومشكلة، حين تتحرك زعامات قريش في إعلام مسموم، يرمي إلى إثارة الشبهات في حقانية هذا الدين، وفي صحة قرارات النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» . .

ولكننا نريد أن نكتفي بالقول: بأن ادّعاء خالد: أن بني جذيمة كانوا كفارا حين قتلهم، قد كان بهدف إيجاد الشبهة في أن يكون قد اشتبه عليه الأمر، فظن كفرهم، فقتلهم.

وهو وإن كان مخطئا في ذلك بلا ريب، إلا أن خطأه هذا لا يبرر الاقتصاص لهم منه. بل هو يوجب أن يديهم إمام المسلمين، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بيت المال.

وقد بادر «صلى الله عليه وآله» إلى دفع الدية لهم، و تعويضهم عن كل ما فقدوه.

والقرائن والدلالات وإن كانت متضاربة على تكذيب هذه المزعمة. ولكنها مزعمة تكفي لدفع غائلة الاقتصاص من خالد، فإن الحدود تدرأ

بالشبهات.

وقد أشرنا مرات عديدة إلى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتعامل مع الناس على أساس علم الشاهدية، أو العلم الخاص الذي يمنحه الله تعالى إياه، وإنما يتعامل معهم وفق ما تؤدي إليه الوسائل العادية المتوفرة لديهم، فهو يقضي بين الناس بالآيمان والبيئات، وبما يوجبه الإقرار، وما يراه بعينه، ويسمعه بأذنه. .

و توضيح آخر نضيفه هنا، وهو: أن خالدا، وإن كان منهيًا عن القتال، لأن سرية سرية دعوة لا سرية قتال. وقد أخطأ في قتاله لبني جذيمة بلا ريب.

ولكن هناك أمران يفرضان تعاملًا خاصًا، يتناسب مع مقتضياتهما وهما:

أولاً: أن المسلم لا يقتل بالكافر. . فادّعاء كفرهم يجعل خالدا الذي قتلهم عمداً في مأمن من القصاص. أي أن هؤلاء، وإن كانوا مسلمين في واقع الأمر، ولكن خالدا يدّعي: أنه إنما قتلهم لظنه فيهم الكفر. . وهذه شبهة توجب دفع القصاص، كما قلنا.

ثانياً: إنه لا يجوز الإقدام على أي تصرف يثير الشبهة في صحة ودقة وصوابية التصرفات، التي تصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله». . فلا يجوز له أن يفعل ما يوجب شكهم في نبوته، أو اتهامه في عصمته. .

ولعل ذلك هو بعض فوائد عدم السماح له بأن يتعامل مع الناس بعلم الشاهدية.

غضب النبي صلى الله عليه وآله وإعراضه عن خالد:

قال البلاذري، والواقدي: مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله»

معرضا عن خالد حيناً، و خالد يتعرّض له «صلى الله عليه وآله»، و يحلف ما قتلهم على ترة، و لا عداوة، وإنه لم يسمع منهم تشهداً.

قال البلاذري: فرضي «صلى الله عليه وآله» عنه و سماه بعد ذلك سيف الله.

قال الواقدي: فلما قدم علي و وداهم، أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على خالد، فلم يزل عنده من عليه أصحابه حتى توفي «صلى الله عليه وآله» . .

ثم ذكر حديث: لا تسبوا خالداً، فإنما هو سيف من سيوف الله سله على المشركين (1).

و نقول:

قد تحدثنا في موضع سابق من هذا الكتاب عن تسمية خالد ب «سيف الله»، و أنه أمر مكذوب، و أن خالداً إنما سل سيفه على المسلمين في قضية بني جذيمة، و في يوم البطاح حين قتل مالك بن نويرة، و لم نجد له أية نكاية في المشركين، بل كان هو السبب في هزيمة المسلمين في مؤتة، بعد أن كان النصر منهم على أعظم أمبرطورية في ذلك العصر قاب قوسين أو أدنى، ثم كان بعد ذلك الرجل الذي تولى إخضاع المسلمين لأبي بكر، و قتلهم على ذلك بلا رحمة و لا شفقة!!

ص: 291

1- أنساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 381 و المغازي للواقدي ج 3 ص 883 و سبل الهدى و الرشاد ج 6 ص 203 و مجمع الزوائد ج 9 ص 349 و مسند أبي يعلى ج 13 ص 143 و تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 243 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 7 و المطالب العالية ج 16 ص 309 و فضائل الصحابة ج 2 ص 815.

و غضب النبي «صلى الله عليه وآله» وإعراضه عن خالد، لعله لأجل دلالة الناس عن حقيقة: أن خالدا ليس صادقا فيما يدّعيه.

و أن الشبهة التي أراد أن يتلطف خلفها وإن كانت توجب درء الحد عنه في ظاهر الأمر، و لكنها شبهة قائمة على الخداع و التضليل، و لذلك عامله «صلى الله عليه وآله» وفق ما ادّعاة لنفسه من جهة. . ثم يبين له الحقيقة و الواقع، ليفهمه: أن القبول منه لا يعني أنه قد تمكن من خداع النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى، فلا يظن أنه قادر على التلاعب بقرارات النبي «صلى الله عليه وآله» و المسلمين، و التأثير على سياساتهم، بما يدبره من مكائد و مصائد. فهو إنسان مكشوف و معروف لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

فلئن دفع عن نفسه القتل بما خادع به النبي «صلى الله عليه وآله» و المسلمين هذه المرة، فإنه قد لا يسلم من ذلك فيما لو سولت له نفسه ذلك مرة أخرى.

ص: 292

أربع مائة قتيل من بني جذيمة:

قال ابن حبيب البغدادي: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، فقاتلهم على ماء لهم، يقال له: الغميصاء (1)، فقتل منهم أربع مائة غلام» (2).

و صرح المؤرخون: بأن خالدا أكثر القتل في بني جذيمة (3).

و لكن محبي خالد يسعون بكل قوة لتقليل عدد القتلى، و لكن القتلى كانوا من الكثرة بحيث لم يجدوا مناصا من الإعتراف بذلك، فقد رووا عن رجل من بني جذيمة، مبيض؛ قال: سمعت خالد بن إلياس يقول: بلغنا أنه قتل منهم قريبا من ثلاثين رجلا (4).

و هذا الرقم رغم أنه كثير في نفسه، و لكن حديث ابن حبيب عن قتل

ص: 295

1- الغميصاء: موضع في البادية قرب مكة إلى جهة يلملم.

2- المنمق (ط الهند سنة 1384 هـ) ص 248 و (نسخة مخطوطة) ص 209.

3- المنمق ص 252 و 259 و (نسخة مخطوطة) ص 211 و 212 و راجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 1 ص 17 و النص و الإجتهد ص 460 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 627 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج 1 ص 266.

4- المغازي للواقدي ج 3 ص 884.

أربع مائة غلام، يدل على كثرة هائلة في عدد القتلى، تجعل من الصعب علينا تصديق كلام منسوب إلى رجل مجهول من بني جذيمة، عن خالد بن إلياس الضعيف في نفسه أيضاً، الذي وصفه ابن معين بأنه: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه (1).

وقال البخاري: ليس بشيء منكر الحديث (2).

وقال أحمد والنسائي: متروك (3).

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث (4).

وقال أبو زرعة: ضعيف ليس بقوي. سمعت أبا نعيم يقول: لا يسوى حديثه فلسين (5).

وقال النسائي مرة: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه (6).

ص: 296

-
- 1- عمدة القاري ج 5 ص 286 و ميزان الاعتدال ج 2 ص 408 و نصب الراية للزيلعي ج 1 ص 464.
 - 2- عمدة القاري ج 5 ص 286 و نصب الراية للزيلعي ج 1 ص 464 و الكامل لابن عدي ج 3 ص 5 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 68 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 70 و 71.
 - 3- ميزان الاعتدال ج 1 ص 627 و 628 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 70 و 71 و عمدة القاري ج 5 ص 286 و نصب الراية للزيلعي ج 1 ص 464 و ضعفاء العقيلي ج 2 ص 3 و الجرح والتعديل ج 3 ص 321 و الكامل لابن عدي ج 3 ص 5 و بحر الدم للمبرد ص 48 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 68 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 70.
 - 4- تخريج الأحاديث والآثار ج 1 ص 42 و نصب الراية للزيلعي ج 1 ص 464 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 70.
 - 5- الجرح والتعديل ج 3 ص 321 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 70.
 - 6- تحفة الأحوذى ج 8 ص 68 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 71.

وضَعَفَه أيضًا: يعقوب بن سفيان، وابن عدي، والترمذي، وابن شاهين، والساجي، ومحمد بن عمار، وابن مثنى، والبزار، وابن حبان، و
الحاكم، والنقاش، .

وقال ابن عبد البر: ضعيف عند جميعهم (1).

ولو استطاع محبوبوا خالد إنكار أصل وجود قتلى لما ترددوا في ذلك.

القسوة والغلظة:

قد ذكرت هذه الحادثة بمرارة ظاهرة في أشعار عدد من الناس، وقد تركت أثرها في وجدانهم وفي مشاعرهم الإنسانية، فراجع بعض ما قيل
في ذلك في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، والمنمق، وغير ذلك.

ولسنا بحاجة إلى التدليل على فظاعة ما جرى، فإن الحوامل قد أسقطن أجنتهن، وقد محقت تلك القبيلة عن بكرة أبيها، في مالها، وفي
رجالها، الذين لم ينج منهم إلا الشريد، وإلا الأسرى الذين أطلقهم الأنصار، وبعض من غيرهم. . وكان خالد وبنو سليم هم الأعتى و
الأقسى، والأغلظ أكبادا فإن بني سليم قد قتلوا جميع من كان في أيديهم من الأسرى، ولم يفلت منهم احد. .

ويكفي للتدليل على حقيقة خالد وأعوانه، قول النبي «صلى الله عليه وآله» لهم: «أما كان فيكم رجل رحيم» ؟ !

ابن واضح يروي ما جرى:

أما النص الذي ذكره ابن واضح فهو التالي: «بلغ جذيمة: أن خالدًا قد

ص: 297

جاء ومعه بنو سليم، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنا لا نأخذ السلاح على الله، وعلى رسوله، ونحن مسلمون.

فانظر ما بعثك رسول الله له، فإن كان بعثك مصدقا، فهذه إبلنا و غنمنا، فاغد عليها.

قال: ضعوا السلاح.

قالوا: إنا نخاف أن تأخذنا بإحنة الجاهلية.

فانصرف عنهم، و أذن القوم و صلوا.

فلما كان السحر شقّ عليهم الخيل، فقتل المقاتلة، و سبى الذرية.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. و بعث علي بن أبي طالب «عليه السلام» فأدى إليهم ما أخذ منهم، حتى العقال، و ميلغة الكلب. و بعث معه بمال ورد من اليمن، فودى القتلى، و بقيت منه بقية. فدفعها علي «عليه السلام» إليهم على أن يحلوا رسول الله مما علم و مما لا يعلم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : لما فعلت أحب إلي من حمر النعم.

و يومئذ قال لعلي «عليه السلام» : فذاك أبواي.

و قال عبد الرحمن بن عوف: و الله، لقد قتل خالد القوم مسلمين.

فقال خالد: إنما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف.

فقال له عبد الرحمن: ما قتلتي بأبي، و لكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة (1).

ص: 298

1- تاريخ يعقوبي (ط صادر) ج 2 ص 61 وراجع المصادر المتقدمة.

وذكر البلاذري وغيره: أن المال الذي أعطاه «صلى الله عليه وآله» لبني جذيمة كان قد اقترضه، فصرفه في ذلك (1).

وقد تقدم: أنهم ذكروا: أن المال الذي اقترضه من صفوان بن أمية، وحويطب، وابن أبي ربيعة قد ودى منه قتلى بني جذيمة (2).

ولكن اليعقوبي قال: إنه قد أدى ديات القتلى من مال ورد إليه من اليمن.

ونقول:

قد عرفنا: أن أموال بني جذيمة قد قسمت، ولم يعد يمكن رد أعيانها، فردّ «صلى الله عليه وآله» عليهم مثل ما أخذ منهم، حتى لقد أعطاهم عوضاً عن ميلعة الكلب، وحبال الرعاة، وما إلى ذلك.

كما أنه قد أعطاهم ديات قتلاهم. وديات القتلى تكون في العادة مبالغ كبيرة جداً، قد يحتاج أدائها إلى التماس المال من أكثر من اتجاه. و قد يحتاج من عليه دية إلى أن يسير في العرب طلباً للمعونة منها، خصوصاً إذا تعددت الديات. فكيف إذا بلغت العشرات والمئات، كما هو الحال في قضية بني جذيمة، حيث أكثر خالد من القتل فيهم، حتى ذكر البعض رقم أربع مائة غلام.

مهما اقترض «صلى الله عليه وآله» من أموال، فإنه لا يمكن اقترض ما

ص: 299

1- أنساب الأشراف ج 1 ص 381.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 882.

يفي بديات عشر معشار هؤلاء.

خصوصا إذا لاحظنا ما يحتاج إليه جيش يزيد على عشرة آلاف مقاتل من نفقات عظيمة.

أما ما ذكروه: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد ودى القتلى مما اقترضه من صفوان بن أمية وغيره، فهو لا يعدو كونه مجرد مزحة من قائله. خصوصا مع التصريح بأنه «صلى الله عليه وآله» قد اقترض ذلك المال ليعين به ضعفاء أصحابه. ولا شك في أن كثرة هؤلاء الضعفاء ظاهرة، تتناسب مع عدد عشرة آلاف مقاتل، قد جاؤوا من بلاد بعيدة، وليس لهم مصدر رزق في هذه البلاد، وقد جاؤوا محاربين غير مسالمين، ولا متاجرين.

وأما المال الذي جاء من اليمن، فهو ليس من غنائم الحرب، لأنه «صلى الله عليه وآله» لم تكن له سرايا، ولا كتائب تعمل في تلك المناطق، بل كان كل ما يمكنه أن يستفيد منه في مجال القتال قد وظفه في تجهيز هذا الجيش إلى مكة ومحيطها، ليحسم الأمور فيها، و يدخل المنطقة بأسرها في مرحلة جديدة من التوجهات والطموحات، والتخطيط، والحركة، والعمل.

كما أن المفروض هو: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد بسط سلطته على منطقة اليمن. ولم يكن له تجار يعملون فيها على تحصيل المال، وإمداده به.

كما أن اليمن نفسها لم يكن لها ذلك التميز والتفرد، والأهمية في إنتاج المال. فقد كانت مناطق الشام، وبلاد الروم، وفارس أكثر أهمية منها من هذه الجهة.

يضاف إلى ما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يباغت قريشا بالجيوش، وهو إنما يجمع جيوشه من منطقة المدينة وما هو قريب منها،

وهي تقع لجهة الشام. . و اليمن تقع في الجهة المقابلة بالنسبة لموقعه من مكة، فأني تحرك من جهة اليمن باتجاه المدينة سوف يفتضح أمره لدى أهل مكة، و الحالة أنه يريد أن يباغتهم. .

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد استفاد صدقات في تلك البلاد، و لا أنشأ علاقات مع ملوكها، و مع أصحاب الأموال فيها، تدعوهم لتقديم مبالغ ضخمة له، تسمح بإعطاء عشرات، بل مئات الديارات لأهلها.

فإن كان ثمة من مبادرات في هذا الاتجاه، فهي تقتصر على أمور جزئية جدا، و رمزية، مثل: جارية، فرس، غلام، شيء من الطيب، خاتم، حلة، حمار، مكحلة، شيء من العسل و نحو ذلك. . فراجع إحصائيات هدايا ملك الحبشة له. . رغم أنه كان مسلما، و كذلك إحصائيات هدايا المقوقس، أو غيره. . فإنها كلها لا تخرج عن هذا السياق. .

و يبقى السؤال:

من الذي جاءه «صلى الله عليه وآله» بهذا المال الهائل من اليمن، و لما ذا؟ !

إننا إذا استبعدنا احتمال الإمداد الغيبي الإلهي، فلا نجد جوابا مقنعا، و معقولا، و مقبولا إلا أن نقول:

إن هذا يشير إلى: أن الإسلام كان قد فشا في الناس في مناطق اليمن، بصورة طوعية. و كان أولئك المسلمون يرسلون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذكواتهم، و أخماس أموالهم، و صدقاتهم، و سائر ما يتوجب عليهم. .

و من غير البعيد أيضا: أنهم كانوا حين يسمعون بمسيره «صلى الله عليه وآله» إلى مكة بهذا الجيش العظيم، الذي يحتاج إلى نفقات كبيرة جدا، و لا بد من المساعدة فيها. . يدعوهم شعورهم بالمسؤولية و الواجب المتمثل بحفظ

الإسلام، وحفظ النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إلى بذل كل غال ونفيس في هذا السبيل، وتخرج المسألة عن كونها مجرد تبرعات وتطوع، لتصبح واجبا عقليا ودينيا وأخلاقيا، لا بد من امتثاله على أكمل وأتم وجه وأوفاه.

ولعل هذا المال كان خليطا من ذلك كله..

تقديم النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأبويه:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» في قضية بني جذيمة قد فدى عليا «عليه السلام» بأبويه..

وقد يستفاد من سياق كلام اليعقوبي: أن ذلك كان شائعا ومعروفا.. فقد قال: «ويومئذ قال لعلي: فذاك أبوي»

فكان هذا الأمر كان معروفا وشائعا. وقد أراد تعيين زمان حصوله وحسب..

ومهما يكن من أمر: فإن هذا يكذب ما زعموه: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لسعد في يوم أحد: ارم فذاك أبي وأمي.

وأن عليا «عليه السلام» قال: ما سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» جمع أبويه لأحد إلا لسعد (1). فإن المقصود: هو سرقة هذه الفضيلة من علي

ص: 302

1- راجع: المغازي للواقدي ج 1 ص 241 و السيرة الحلبية ج 2 ص 229 و تاريخ الخميس ج 1 ص 433 و المجموع للنووي ج 19 ص 288 و مسند أحمد ج 1 ص 137 و صحيح البخاري ج 3 ص 228 و ج 5 ص 32 و 33 و ج 7 ص 116 و صحيح مسلم ج 7 ص 125 و سنن الترمذي ج 4 ص 211 و ج 5 ص 314 و فضائل الصحابة للنسائي ص 34 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 96 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 162 و شرح مسلم للنووي ج 15 ص 184 و فتح الباري ج 6 ص 69 و ج 7 ص 66 و عمدة القاري ج 14 ص 142 و 185 و ج 17 ص 148 و 149 و ج 22 ص 204 و الأدب المفرد للبخاري ص 174 و مكارم الأخلاق لابن الدنيا ص 63 و كتاب السنة ص 600 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 61 و ج 6 ص 56 و 57 و 58 و 59 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 334 و ج 2 ص 35 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 447 و مصادر كثيرة أخرى.

«عليه السلام»، ثم منحها لأي كان من الناس.

وقد أرادوا أن يستعينوا بعلي نفسه في ذلك، وإمعانا منهم في الكيد، ومبالغة في الإيهام والإيهام.

وزعموا أيضا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للزبير يوم أحد وقريظة: فذاك أبي وأمي (1).

ص: 303

1- السيرة الحلبية ج 2 ص 229 و 217 و 327 و 328 عن الشيخين، والترمذي، وحسنه، والتاريخ الكبير للبخاري ج 6 ص 139 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 5 و 10 وسبل الهدى والرشاد ج 4 ص 562 و حقائق الأنوار ج 2 ص 590 عن الصحيحين، وصحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، باب مناقب الزبير، وفضائل الصحابة للنسائي ص 34 وفتح الباري ج 10 ص 469 وعمدة القاري ج 14 ص 142 و ج 16 ص 225 و ج 22 ص 204 و تحفة الأحوذى ج 8 ص 96 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 510 و ج 8 ص 501 و 503 و كتاب السنة ص 597 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 61 و ج 6 ص 58 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 35 و الإستيعاب ج 2 ص 513 و كنز العمال ج 13 ص 206 و 208 و 210 و 211 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 106 و تاريخ ابن معين ج 2 ص 56 و مصادر كثيرة أخرى.

وقد فات هؤلاء: أن عبد الله وآمنة بنت وهب أجل وأعظم عند الله من أن يفدي النبي «صلى الله عليه وآله» بهما سعدا والزبير، اللذين ظهرت منهما المخزيات، والموبقات، فإن عبد الله بمقتضى حديث ابن عباس، وأبي جعفر، وحديث أبي عبد الله «عليهما السلام» في جوابه عن قول الله عز وجل وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ (1) قال: يرى قلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم «عليه السلام» (2). يدل على نبوة عبد الله -ولو لنفسه- ولا يمكن أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» فداء لإنسان عادي، يرتكب المعاصي، ويقع في الموبقات.

قال المجلسي عن آباء النبي «صلى الله عليه وآله»: «بل كانوا من الصديقين، إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين» (3).

ص: 304

1- الآية 219 من سورة الشعراء.

2- راجع: البحار ج 15 ص 3 وج 16 ص 204 وج 86 ص 118 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3019 و تفسير مجمع البيان ج 7 ص 358 و التفسير الصافي ج 4 ص 54 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 69 و تفسير مجمع البيان ج 7 ص 358 و تفسير الميزان ج 15 ص 336 و راجع: مدينة المعاجز ج 1 ص 347 و مجمع الزوائد ج 7 ص 86 وج 8 ص 214 وإختصار معرفة الرجال ج 2 ص 488 و تفسير السمعاني ج 4 ص 71 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 365 و معجم رجال الحديث ج 18 ص 132 و سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 235 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 49.

3- البحار ج 15 ص 117.

لما ذا ينكسر عمر؟! .

عن ابن عمر قال: قال عمر لخالد بن الوليد: ويحك يا خالد!! أخذت بني جذيمة بالذي كان من أمر الجاهلية؟! أو ليس الإسلام قد محا ما كان في الجاهلية؟!

فقال: يا أبا حفص، والله، ما أخذتهم إلا بالحق! أغرت على قوم مشركين، فامتنعوا، فلم يكن لي بد إذا امتنعوا من قتالهم. فأسرتهم، ثم حملتهم على السيف!!

فقال عمر: أي رجل تعلم عبد الله بن عمر؟

قال: أعلمه-والله-رجلا صالحا.

قال: فهو أخبرني غير الذي أخبرتي. وكان معك في ذلك الجيش! .

فقال خالد: فإني أستغفر الله وأتوب إليه.

فانكسر عنه عمر، وقال: ويحك إئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستغفر لك (1).

ونقول:

إن ما تضمنته هذه الرواية غريب وعجيب.

أولاً: لما ذا ينكسر عنه عمر حين اعترف له بجريمته النكراء؟!

أليس المفروض: أن ينشط عمر في لومه وتقريعه، وفي المطالبة بالإقتصاص

ص: 305

1- كنز العمال ج 10 ص 589 و 590 عن الواقدي، وابن عساكر. ونقل عن تاريخ مدينة دمشق ج 16 ص 235 و المغازي للواقدي ج 3 ص 880 و 881 وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن عديم الحلبي ج 7 ص 3146.

منه؟! تماما كما فعل مع أبي سفيان حين رآه مع العباس في مر الظهران، وكما فعل مع سهيل بن عمرو في الحديبية، ومع حاطب بن أبي بلتعة في المدينة قبل المسير إلى فتح مكة.

ثانيا: إن عمر قد عودنا في المواقف المشابهة التشدد مع هذا النوع من الناس إلى حد التمرد على توجيهات رسول الله «صلى الله عليه و آله» والإصرار على ما يخالفها، كما جرى في قصة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة. وفي غيرها مما كان يبادر فيه إلى الطلب من رسول الله «صلى الله عليه و آله» بأن يأذن له بضرب عنق هذا وذاك. .

ولكنه رغم ما كان بينه وبين خالد من كدورات، ظهرت آثارها في بعض الأحيان، فإنه لا يفرّط بخالد في اللحظات الحاسمة، ومنها هذه اللحظة، التي لو بادر فيها إلى السعي لإحقاق الحق، ومجازاة خالد، الذي اعترف له بجريمته، لكانت الضربة القاتلة لخالد، ولو على الصعيد الاجتماعي العام. .

ثالثا: قد أظهرت هذه الرواية: أن خالدا كان يكذب على النبي «صلى الله عليه و آله» وعلى عمر، وعلى عبد الرحمن بن عوف، وعلى عمار، وابن عمر، وسالم، وعلى سائر الناس وكان يحلف لهم الأيمان ليقنعهم بمكذوباته. .

ولكن عمر لم يعترض على خالد في ذلك، ولو بمقدار نصيحة يسديها له، يحذره فيها من عواقب الكذب في الدنيا والآخرة. .

مع أن عمر كان قد أظهر استبشاعه لجريمة خالد، وأثبه وأعان عبد الرحمن بن عوف عليه، فلما ذا نشط ضده هناك، ثم تراجع وانكسر هنا؟

رابعا: هل نستطيع أن نستفيد من سير الأحداث: أن عمر بن الخطاب

كان يسعى لانتزاع اعتراف من خالد، من شأنه أن يجعل خالدا رهينة في يده. لكي يحد من عنفوانه معه هو، و طغيانه عليه. . ولم يكن يريد أن يجري أحكام الإسلام فيه. و لا كان يريد أن ينال هذا الظالم جزاءه العادل. .

هل لأن خالدا كان على مثل رأيه في علي «عليه السلام» و حزبه و محبيه، ويمكن أن يكون مفيدا لهم في مشروعاتهم الذي يخططون له، و يعملون من أجله؟ !

أم لأن خالدا كان من قومه قریش، الذين يتعصب لهم، و يريد أن يحميهم، و أن يحفظهم و ينصرهم، و لو أوغلوا في دماء المسلمين، و هتكوا أعراضهم، و نهبوا أموالهم؟ !

إن الوقائع المختلفة تؤكد على أن كلا هذين الأمرين كانا محط نظر عمر بن الخطاب في أمثال هذه الحالات. .

الرب في موقف المهاجرين:

وقد أجملت بعض الروايات، أو حاولت أن تزور القول، حين زعمت: أن المهاجرين و الأنصار لم يقتلوا أسراهم. .

غير أن ملاحظة سائر الروايات، خصوصا سياق روايات الواقدي في مغازيه تعطي: أن الأنصار فقط هم الذين اتخذوا الموقف الحازم و الجازم في هذا الأمر.

ولذلك يلاحظ: أن التنويه بموقفهم كان هو الأصرح و الأقوى. .

بل إن عددا من الروايات قد اقتصر على ذكر امتناع الأنصار عن قتل أي أسير كان في يدهم. و لم تذكر اسم أحد سوى أفراد قليلين من

غيرهم صرحت بأسمائهم. .

فلاحظ على سبيل المثال قول أياس بن سلمة عن أبيه قال: كنت مع خالد بن الوليد، وكان في يدي أسير، فأرسلته وقلت: اذهب حيث شئت، وكان مع الناس من الأنصار أسارى، فأرسلوهم (1).

فهو يصرح باسم الأنصار، ولم يذكر المهاجرين.

وعن ابن عمر قال: وأرسلت أسيري، وما أحب أني قتلته، وأن لي ما طلعت عليه شمس أو غربت. وأرسل قومي معي من الأنصار قتلاهم (2).

فقد ذكر: أن خصوص الأنصار هم أرسلوا أسراهم. .

وقد صرح أبو بشير المازني: بأنه أخرج سيفه، ليضرب عنق أسيره، فقال له الأسير: يا أبا الأنصار، إن هذا لا يفوتك، انظر إلى قومك.

قال: فنظرت، فإذا الأنصار طرا قد أرسلوا أسراهم (3).

ويدل على ذلك أيضا ما يلي:

خالد يغضب على الأنصار فقط:

عن خارجة بن زيد: لما نادى خالد بن الوليد في الأسرى يدافعون، وثب بنو سليم على أسراهم، فداؤوهم. وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم. فغضب على من أرسل من الأنصار.

فكلمه يومئذ أبو أسيد الساعدي، وقال: اتق الله يا خالد، والله، ما كنا

ص: 308

1- المغازي للواقدي ج 3 ص 876.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 877.

3- المصدر السابق.

لنقتل قوما مسلمين.

قال: وما يدريك؟!

قال: نسمع إقرارهم بالإسلام، وهذه المساجد بساحتهم (1).

فهذه الرواية وإن كانت قد صرحت: بأن المهاجرين أرسلوا أسراهم أيضا، لكن لا شك بأن فيها بعض التدليس بالنسبة إلى المهاجرين، إذ لما ذا انصب غضب خالد على خصوص الأنصار؟! وكان راضيا عن المهاجرين.

ألا يدلنا ذلك على: أن المهاجرين قد فعلوا ما أرضاه، ولو بأن أرسل بعضهم أسراهم، وقتل بعضهم من كان بيده؟!

أحقاد بني سليم:

قال الواقدي: «فأما بنو سليم فقتلوا كل من كان في أيديهم» (2).

و السبب في ذلك هو: أن بني سليم كانوا متغيظين على بني جذيمة في حروب كانت بينهم، ببرزة (3) وغيرها. وكانت بنو جذيمة قد أصابوهم ببرزة، وهم موتورون، يريدون القود منهم، فشجعوا عليه (4).

وبذلك تتلاقى أحقاد بني سليم مع أحقاد خالد بن الوليد، لتكون ثمرتها كارثة إنسانية، ومذبحة بشرية هائلة، تحمل معها الخزي والعار،

ص: 309

1- المغازي للواقدي ج 3 ص 877 وإمتاع الأسماع ج 2 ص 7.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 876.

3- موضع في ديار بني كنانة. وفيه أوقعت بنو فراس بن مالك من بني كنانة ببني سليم (معجم ما استعجم ص 152).

4- المغازي للواقدي ج 3 ص 878.

لمرتكبيها، ولكل من أعانهم، أو مالأهم عليها.

لما ذا يكتف بعضهم بعضا؟! .

وقد صرحت الروايات أيضا: بأنه لما وضع بنو جذيمة السلاح، قال لهم: إستأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضها، وفرقهم في أصحابه (1).

فلما ذا هذا الإجراء يا ترى؟! .

هل هو إجراء احتياطي من خالد؟ لكي لا يغدر بنو جذيمة بأصحابه، حين يندفعون نحوهم لتكتيفهم؟! .

وأي شيء يمكنهم فعله في هذا المجال؟! وأصحاب خالد مسلحون، ولا سلاح لدى بني جذيمة؟ فأية حركة تبدر منهم، فستكون سيوف أصحاب خالد على أتم الإستعداد لاصطلامهم والتهامهم.

أم أن خالدا أراد بهذا الإجراء الإمعان في إذلال بني جذيمة، والتلذذ بذلك ما شاء له هواه، وأتاحه له كيده وحقده؟! .

قد يكون هذا هو الإحتمال الأصوب والأقرب، والأنسب بأخلاق أهل الغدر، والخيانة، وقساة القلوب، وغلاظ الأكباد.

النبي صلى الله عليه وآله ينتصر لعمار حين يقع في خالد:

قالوا: ودخل عمار على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول

ص: 310

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 200 عن ابن سعد، وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 97 والمغازي للواقدي ج 3 ص 876 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 147 و 148 و عيون الأثر ج 2 ص 209 وزاد المعاد ج 3 ص 415 وغير ذلك.

اللّٰه، لقد حمش قوما قد صلوا وأسلموا. ثم وقع بخالد عند النبي «صلى اللّٰه عليه وآله». و خالد جالس لا يتكلم، فلما قام عمار وقع به خالد.

فقال النبي «صلى اللّٰه عليه وآله»: مه يا خالد، لا تقع بأبي اليقظان، فإنه من يعاده يعاده اللّٰه، و من يبغضه يبغضه اللّٰه، و من يسفّهه يسفّهه اللّٰه (1).

ونلاحظ هنا:

1-إن عمارا لما وقع بخالد كان خالد جالسا. و لم يكن عمار يخشى جواب خالد، لأن عمارا لا يقول إلا الحق، و لا يلهج إلا بالصدق. و ليس لدى خالد ما يصح أن يجيب به عمارا، فسكت.

و حين خرج عمار بادر خالد إلى اغتنام الفرصة، فوقع فيه، حين أمن من الجواب الصارم الواضح، و الحازم الفاضح.

فجبهه رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله» بما تقدم. و تلك صفة أخرى استحقها مجرم قاتل، و كاذب على رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله». آله.

2-يلاحظ: أن النبي «صلى اللّٰه عليه وآله» كتّى عمارا و هو غائب بأبي اليقظان، تكرمة و إجلالا له، و لكنه خاطب خصمه باسمه مع أنه حاضر. و ذلك إمعانا منه في توهين أمره، و تصغير شأنه.

يضاف إلى ذلك: أنه أمره بالكف و عدم متابعة الكلام، فقال له: مه يا خالد.

3-إن كلام النبي «صلى اللّٰه عليه وآله» قد تضمن كشفا عن دوافع خالد تجاه عمار، و أن دافعه فيما يقوله فيه هو العداوة و البغض، و التسفيه.

ص: 311

و أما موقف عمار، فهو بداعي: نصرة الحق، و كبت الباطل، و التماسا لرضا الله تعالى.

دفاع الأتباع! ! تزوير و اختراع! ! :

و يروي محبوبو خالد قضية بني جذيمة بصورة تختلف تماما عما أثبتته المصادر المختلفة، فعن عبد الملك بن عبد الرحمن بن الحارث، قال: أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» خالد بن الوليد أن يغير على بني كنانة، إلا أن يسمع أذانا، أو يعلم إسلاما. فخرج حتى انتهى إلى بني جذيمة، فامتنعوا أشد الإمتناع، و قاتلوا و تلبسوا السلاح؛ فانتظر بهم صلاة العصر و المغرب و العشاء لا يسمع أذانا، ثم حمل عليهم، فقتل من قتل، و أسر من أسر، فادّعوا بعد الإسلام.

قال عبد الملك: و ما عتب عليه رسول الله «صلى الله عليه و آله» في ذلك و لقد كان المقدم حتى مات.

و لقد خرج معه بعد ذلك إلى حنين على مقدمته. و إلى تبوك.

و بعثه رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى أكيدر و دومة الجندل. فسبى من سبى ثم صالحهم.

و لقد بعثه رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى بلحارث بن كعب إلى نجران أميرا و داعيا إلى الله، و لقد خرج مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» في حجة الوداع، فلما حلق رسول الله «صلى الله عليه و آله» رأسه أعطاه ناصيته، فكانت في مقدم قلنسوته. فكان لا يلقى أحدا إلا هزمه الله تعالى.

و لقد نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين هبط من لفت (1) في حجته، و معه رجل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من هذا؟

فقال الرجل: فلان.

قال: بئس عبد الله فلان!

ثم طلع آخر، فقال: من الرجل؟

فقال: فلان.

فقال: بئس عبد الله فلان.

ثم طلع خالد بن الوليد، فقال: من هذا؟

قال: خالد بن الوليد.

قال: نعم عبد الله خالد بن الوليد!

و قال رجل من بني جذيمة مبيّض، قال: سمعت خالد بن إلياس يقول: بلغنا أنه قتل منهم قريبا من ثلاثين رجلا. انتهى (2).

و نقول:

هكذا يزور هؤلاء حقائق التاريخ، كرمى لعيون خالد بن الوليد، و من كان خالد في خدمتهم، و يسعى في تأييد و تشييد ملكهم و سلطانهم.

و إليك طائفة من هذه الأكاذيب، التي تضمنتها الرواية المتقدمة، فهم يدّعون زورا:

1- أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر خالدا أن يغير على بني كنانة. مع

ص: 313

1- اسم مكان.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 883 و 884.

أن الروايات تصرّح: بأنه بعثه داعيا، ولم يبعثه مقاتلا.

2-و تدّعي: أن بني جذيمة قد امتنعوا أشد الامتناع. . مع أن الروايات تصرّح: بأنه طلب منهم وضع السلاح، فوضعه، و طلب منهم أن يكتف بعضهم بعضا، ففعلوا.

3- تدّعي: أن بني جذيمة قاتلوا. . و الروايات تصرّح بضد ذلك.

4- تقول: لقد تلبس بنو جذيمة السلاح.

و نقول:

و لكنهم عادوا فوضعه لما طلب منهم خالد ذلك، فلما ذا تصر الرواية على التسويق لضد ذلك؟ !

5-و تقول: انتظر بهم خالد صلاة العصر، و المغرب، و العشاء، و لم يسمع أذانا. مع أن الروايات تصرّح: برفع الأذان، و بوجود المساجد في ساحاتهم، و كانوا و هم أسرى يصلون عند حضور أوقات الصلاة.

بل الرواية الصحيحة المتقدمة عن الإمام الباقر «عليه السلام» قد صرحت: بأنه قبل أن يغير عليهم نادى خالد بالصلاة، فصلّى و صلوا، فلما كان وقت الفجر نادى بها فصلّى و صلوا. ثم شن عليهم الغارة.

6-و تدّعي: أنه بعد أن فعل بهم خالد ذلك ادّعوا الإسلام. مع أنهم قد صرحوا: بأنهم مسلمون بمجرد أن سألهم خالد عن حالهم، كما تقدم. .

7-و تقول: إنه ما عتب النبي «صلى الله عليه وآله» على خالد. مع أن الروايات تقول: إنه أعرض عنه، و غضب عليه مدة طويلة. .

8-تقول: إنه إنما قتل منهم ثلاثين رجلا فقط. مع أن ابن حبيب يصرّح: بأنه قتل منهم اربع مائة غلام.

9- تقول: كان خالد المقدم عند النبي «صلى الله عليه وآله» حتى مات. . مع أن غضبه على خالد، وإعراضه عنه بعد فعلته هذه، ظاهر في النصوص والآثار، مع أن هذا الكلام لا شاهد له سوى دعوى قائله.

أما ما اعتبروه دليلاً على تقدم خالد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو ما يلي:

1- خرج بعد ذلك إلى حنين على مقدمته «صلى الله عليه وآله» .

2- بعثه «صلى الله عليه وآله» إلى نجران أميرا وداعيا إلى الله.

3- بعثه إلى تبوك.

4- بعثه إلى أكيدر ودومة الجندل.

5- خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع. فلما حلق «صلى الله عليه وآله» أعطاه ناصيته. فكانت في مقدم قلنسوته. . فكان لا يلقى أحدا إلا هزمه.

6- قول النبي «صلى الله عليه وآله»: نعم عبد الله خالد بن الوليد.

ونقول:

أولا: سيأتي إن شاء الله عدم صحة ما زعموه من إرساله في عدد مما ذكر.

أو أننا على الأقل نملك ما يبرر شكنا في صحة ما ينقل من ذلك. وليكن ما فعله ببني جذيمة أحد هذه المبررات.

ثانيا: إنه كان لا بد من إرسال رؤوس الشرك والمعروفين بالشراسة والفتك فيهم، ليكونوا هم الدعاة للناس إلى الدخول في الإسلام، فإن ذلك يوجب سكينة الناس، واطمئنانهم إلى أنه ليس ثمة من يخشى من صولته، وفتكه، لو أظهر أنه يترصد الفرصة للإنتقال على الأعقاب.

إشارة

ونريد أن نعرض هنا نصوصا هامة. . ثم نلحقها ببعض ما يفيد في جلاء الحقيقة، وفي إعطاء الانطباع السليم عن بعض ما ترمي إليه مواقف الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبياناته، وغير ذلك من أمور هامة ومفيدة، والنصوص هي التالية:

1- ما جرى لأبي زاهر مثل ما جرى لبني جذيمة:

ذكر ابن شهر آشوب قضية إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، فجاء سياقها موافقا-تقريبا-لسياق قضية بني جذيمة، فقال:

«في رواية الطبري: أنه أمر بكتفهم، ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم من قتل.

فأتوا بالكتاب الذي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمانا له ولقومه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقالوا جميعا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

وفي رواية الخدري: اللهم إني أبرأ إليك من خالد ثلاثا.

ثم قال: «أما متاعكم فقد ذهب، فاقسمه المسلمون، ولكنني أرد عليكم مثل متاعكم» .

ثم إنه قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث رزم من متاع اليمن، فقال: يا علي، فاقض ذمة الله، و ذمة رسوله. و دفع إليه الرزم الثلاث.

فأمر علي «عليه السلام» بنسخة ما أصيب لهم.

فكتبوا، فقال: خذوا هذه الرزمة، فقوّموها بما أصيب لكم.

فقالوا: سبحان الله هذا أكبر مما أصيب لنا!

فقال: خذوا هذه الثانية، فاكسوا عيالكم و خدمكم، ليفرحوا بقدر ما حزنوا، و خذوا الثالثة بما علمتم و ما لم تعلموا، لترضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فلما قدم علي «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره بالذي كان منه، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، وقال: أدى الله عن ذمتك كما أديت عن ذمتي.

و نحو ذلك روي أيضا في بني جذيمة (1).

2-رواية صحيحة عن الإمام الباقر عليه السلام:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد «رحمه الله» ، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» ، قال:

بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى حي يقال

ص: 320

1- مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة 1412 هـ) ج 1 ص 150 و 151 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 1 ص 395 و البحار ج 38 ص 73.

لهم: بنو المصطلق من بني جذيمة. و كان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية.

فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخذوا منه كتابا، فلما ورد عليهم خالد أمر مناديا فنادى بالصلاة، فصلى وصلوا. فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى، فصلى وصلوا. ثم أمر الخيل، فشنوا فيهم الغارة، فقتل، وأصاب.

فطلبوا كتابهم فوجدوه، فأتوا به النبي «صلى الله عليه وآله»، وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد.

فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.

قال: ثم قدم على رسول الله تبر و متاع، فقال لعلي «عليه السلام»: يا علي، إئت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع «صلى الله عليه وآله» قدميه، فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك.

فأتاهم علي «عليه السلام»، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله.

فلما رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، قال: يا علي، أخبرني بما صنعت.

فقال: يا رسول الله، عمدت، فأعطيت لكل دم دية، و لكل جنين غرة، و لكل مال مالا.

و فضلت معي فضلة، فأعطيتهم لميلغة كلابهم، و حيلة رعاتهم.

و فضلت معي فضلة، فأعطيتهم لروعة نسائهم، و فرع صبيانهم.

و فضلت معي فضلة، فأعطيتهم لما يعلمون و لما لا يعلمون.

و فضلت معي فضلة، فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني؟! رضي الله عنك، يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي (1).

3- حديثان آخران:

وفي حديث آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث خالدًا واليًا على صدقات بني المصطلق حي من خزاعة.

ثم ساق الحديث نحو ما تقدم، ولكنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي في آخره: «أرضيتني، رضي الله عنك، يا علي، أنت هادي أمتي. ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك، وأخذ بطريقتك. ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك، ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة» (2).

وفي حديث المناشدة يوم الشورى، قال «عليه السلام»:

«نشدتكم بالله، هل علمتم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ففعل ما فعل، فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»

ص: 322

1- الأماشي للشيخ الصدوق (ط سنة 1389 هـ) ص 152 و 153 و (ط مؤسسة البعثة) ص 238 و البحار ج 21 ص 142 و ج 101 ص 423 و 424 و مستدرک الوسائل ج 18 ص 366 و 367 و علل الشرائع (ط سنة 1385 هـ) ج 2 ص 473 و 474 و جامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 486 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 11 ص 80 و غاية المرام ج 2 ص 76.

2- الأماشي للشيخ الطوسي (ط سنة 1414 هـ) ص 498 و البحار ج 21 ص 143 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 11 ص 219.

ثلاث مرات.

ثم قال: «اذهب يا علي» .

فذهبت، فوديتهم، ثم ناشدتهم بالله هل بقي شيء؟

فقالوا: إذا نشدتنا بالله، فمیلغة كلابنا، و عقال بغيرنا.

فأعطيتهم لهما (1). وبقي معي ذهب كثير، فأعطيتهم إياه، و قلت: وهذا لزمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و لما تعلمون، و لما لا تعلمون، و لروعات النساء و الصبيان.

ثم جئت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبرته، فقال: «والله، ما يسرني يا علي أن لي بما صنعت حمر النعم» .

قالوا: اللهم نعم (2).

و نقول:

قد صرحوا: بأن بني المصطلق بطن من خزاعة، و هو بنو جذيمة، و جذيمة هو المصطلق (3).

و كان «صلى الله عليه وآله» قد غزا بني المصطلق في سنة أربع، أو خمس، أو ست، فأسر و سبى، و تزوج منهم جويرية، فأعتق المسلمون كل

ص: 323

1- أي أنه أعطى بني جذيمة مالا لأجل ميلغة الكلب، و عقال البعير.

2- الخصال ج 2 ص 562 و البحار ج 1 ص 141 و 327.

3- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 228 عن السيرة الحلبية ج 2 ص 293 و (ط دار المعرفة) ص 583 و معجم قبائل العرب، و نهاية الإرب، و الروض الأنف ج 2 ص 17. و المنمق ص 127 و 200 و 230 و لب اللباب في تحرير الأنساب ص 246.

من كان بأيديهم من الأسرى منهم، وقالوا: أصهار رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فآمنوا، وأخذوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتابا بإسلامهم (1).

ذنب بني جذيمة:

والذي يبدو لنا: أن إيقاع خالد ببني جذيمة كان لعدة أسباب:

أولها: ما أشارت إليه الروايات: من أنه أراد أن ينتقم لعمه الفاكه بن

ص: 324

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 228 وأشار في هامشه إلى: تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 204 و السيرة الحلبية ج 2 ص 293 و صحيح البخاري ج 5 ص 147 و إلى الكامل في التاريخ ج 2 ص 192 و البداية و النهاية ج 4 ص 156 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 192 و الروض الأنف ج 2 ص 17 و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج 2 ص 96 و راجع: المجموع للنووي ج 19 ص 306 و تكملة حاشية رد المحتار ج 1 ص 266 و نيل الأوطار للشوكاني ج 8 ص 150 و فقه السنة ج 2 ص 687 و الغارات للثقفى ج 2 ص 817 و البحار ج 20 ص 290 و 296 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3240 و مسند أحمد ج 6 ص 277 و سنن أبي داود ج 2 ص 235 و 236 و المستدرک للحاكم ج 4 ص 26 و 27 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 75 و مسند ابن راهويه ج 2 ص 217 و ج 4 ص 37 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 362 و نصب الراية ج 6 ص 550 و موارد الظمآن ج 4 ص 125 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 117 و الثقات لابن حبان ج 1 ص 289 و الإصابة ج 8 ص 73 و المنتخب من ذيل المذيل ص 101 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 264 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 33 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 314 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 263.

المغيرة، إنفاذاً لوصية أبيه له ولإخوته بذلك (1).

ثانيها: أن خزاعة كانت مكروهة من قبل قريش، لأنها كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا بد أن يوقع بكل من ينتسب إلى خزاعة، التي حلفت من لا تحبه قريش، و من تسعى لإبطال دعوته، و كسر شوكته، و من لم يزل أمرها معه يسير من وهن إلى وهن، حتى اضطرت إلى الاستسلام.

ثالثها: أن نفس طبيعة خالد تميل إلى العدوان، وقهر الناس، وإذلالهم بقسوة وشراسة، ولو عن طريق الغدر والخديعة، و نقض العهود، و المواقيق. . بل ولو استلزم ذلك الكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين كان خالد يحاول إسكات الأصوات المرتفعة بالنكير عليه، حيث زعم لعبد الرحمن بن عوف: أنه إنما قتلهم امتثالاً لأمر النبي «صلى الله عليه وآله» الصادر إليه فيهم. . فكذبه عبد الرحمن في هذه الدعوى، و ظهر كذبه فيها أيضاً من إعلان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالقول-ثلاث مرات-اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. .

كتابة الخسائر:

وقد جاء في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي: أن علياً «عليه السلام» أمر بنسخ ما أصيب لهم، فكتبوا. ثم أعطاهم المال.

قال ابن شهر آشوب في آخر قصة أبي زاهر: «و نحو ذلك روي أيضاً في

ص: 325

ونقول:

إن لكتابة الخسائر العديد من الأهداف و المقاصد، نذكر منها:

1- أن ذلك يمثل ضماناً لحفظ حقوق الناس.

2- إنه يبعد عملية معالجة هذا الأمر عن أجواء الفوضى.

3- إنه يمنع من تحايل البعض للحصول على ما لا حق لهم به.

4- يمثل درساً عملياً في نظم الأعمال و ضبطها.

5- إنه إذا أعطاهم بصورة عشوائية فذلك يفسح المجال أمام ذوي الأغراض السيئة، لإشاعة الإتهام له «عليه السلام» بعدم رعاية العدل و الإنصاف، وقد يزعزع ذلك الثقة لدى بعض الضعفاء ممن لا يملكون الوعي الكافي، و تخدعهم أو تؤثر عليهم الشائعات.

6- قد يهيء ذلك أجواء غير سليمة بين بني جذيمة أنفسهم، حيث قد يتهم بعضهم بعضاً في أمر الأموال، و يصير بعضهم يرصد حركة البعض الآخر، و يشيع سوء الظن، و التحاسد فيما بينهم.

7- والأهم من ذلك كله و سواه: ما رواه سليمان بن جعفر الجعفري، عن الإمام الرضا «عليه السلام» حين رأى غلماناً و هم يعملون بالطين أواري الدواب (2)، و غير ذلك، و إذا معهم أسود ليس منهم، فسألهم عنه

ص: 326

1- مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة 1412 هـ) ج 1 ص 151 و (ط المكتبة الحيدرية) ص 395 و البحار ج 38 ص 73 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 244.

2- الأواري: جمع آري، و هو محبس الدابة، و يطلق أيضاً على معلق الدابة أنه آري.

فقالوا: يعمل معنا، و نعطيه شيئاً.

قال: قاطعتموه على أجرته؟!!

فقالوا: لا، هو يرضى منا بما نعطيه.

فأقبل عليهم يضربهم بالسوط، و غضب لذلك غضبا شديدا.

فقلت: جعلت فداك، لم تدخل على نفسك.

فقال: إني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة، أن يعمل معهم أحد حتى يقاطعوه أجرته.

واعلم: أنه ما من أحد يعمل لك شيئا بغير مقاطعة، ثم زدته لذلك الشيء ثلاثة أضعاف على أجرته إلا ظن أنك قد نقصته أجرته.

و إذا قاطعته ثم أعطيته أجرته، حمدك على الوفاء، فإن زدته حبة عرف ذلك لك، و رأى أنك قد زدته (1).

فهذا التوجيه الكريم هام جدا، و يتعين الالتزام به في قضية بني جذيمة، التي يراد فيها القضاء عن ذمة الله ورسوله، و معالجة آثار كارثة تتجاوز في نتائجها و تبعاتها حدود الخسائر المادية، لتتال الأنفس البريئة، و قتل الأجنة.

هذا بالإضافة إلى روعات النساء، و فرع الصبيان. . و غير ذلك من

ص: 327

1- الكافي ج 5 ص 288 و 289 و البحار ج 49 ص 106 و الحقائق الناضرة ج 21 ص 577 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 19 ص 104 و (ط دار الإسلامية) ج 13 ص 245 و تهذيب الأحكام ج 7 ص 212 و جامع أحاديث الشيعة ج 19 ص 15 و درر الأخبار ص 368 و مسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج 2 ص 301 و 302 و تذكرة الفقهاء (ط ق) ج 2 ص 301.

أمر لا بد من معالجتها، و سل سخيمة أولئك الناس الذين وقعوا ضحية قضاء الجاهلية، وأحقادها، وإحنها، وعصبياتها البغيضة.

كل ذلك من أجل حفظ إيمان الناس، من أن يتعرض لأي كدورة أو اختلال. . و من أجل إقامة صرح العدل، وإعطاء كل ذي حق حقه. .

شكوك لا مبرر لها:

وقد يسأل أحدهم: إنه إذا كان بنو جذيمة بأسفل مكة، على ليلة منها نحو يللم (1). إلى جهة اليمن، فكيف يمكن أن يغزوهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السنة الرابعة، أو الخامسة، أو السادسة. . في حين أن الهيمنة على المنطقة كانت لقريش، وكانت لها تحالفات و ارتباطات مع مختلف القبائل فيها. .

ونحن. . وإن كنا نرى: أن سراياه التي كان «صلى الله عليه وآله» يرسلها في كل اتجاه، قد أضعفت علاقة تلك القبائل بقريش، وزعزعت تحالفها معها، وحولتها في العديد من الموارد إلى تحالفات مع المسلمين، ولكن ذلك لا يصلح جواباً على السؤال عن الوسيلة التي مكنت النبي «صلى الله عليه وآله» من الوصول إلى هذه المنطقة التي تقع مكة على طريقها، فإن ذلك لا بد أن يكون محفوفاً بالمخاطر الكبيرة، إلا إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سلك إليهم طرقاً غير مألوفاً، مكنته من أن يتحاشى المرور من المناطق المأهولة.

ص: 328

ولعل مما يسهل عليه هذا الأمر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى استتفار الناس في المنطقة، ولا كان يريد جمع أعداد كبيرة من المقاتلين، بل كان يكتفي ببضع عشرات، أو مئات، يقدرّون على إنجاز المهمات الموكلة إليهم بسرعة، وبمزيد من التكتّم والانضباط.

على أن من الجائز أن يكون هؤلاء القوم كانوا أولاً على ماء المريسيع، قرب قديد، على الساحل بالقرب من مكة. . حيث هاجمهم حين علم بجمعهم في المرة الأولى، وأعلنوا له أنّهم إسلامهم، وأعطاهم بذلك كتاباً. . ثم انتقلوا من موضعهم ذاك إلى ماء الغميصاء، بين مكة ويلملم، حيث جرى عليهم من خالد بعد ذلك ما جرى، فإن العرب كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكأ، بحسب ما يقتضيه الحال.

دلالات باهرة في فعل علي عليه السّلام:

هذا. . وقد ذكرت الروايات: الأسباب التي دعت علياً «عليه السلام» إلى إعطاء المال لبني جذيمة، ونحن نعرضها وفق ما أشارت إليه النصوص، كما يلي:

1- أعطى لكل دم دية.

2- رد مثل متاعهم عليهم، وأما نفس المتاع، فقد ذهب، فاقسمه المسلمون، فلا سبيل إلى رده عينه (وقد ورد ذلك في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، حيث قال ابن شهر آشوب: إنه قد روي نحو ذلك في بني جذيمة).

3- أعطاهم إحتياطاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مما يعلمون،

و مما لا يعلمون.

4- وفي نص آخر: أعطاهم على أن يحلوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما علم، و مما لا يعلم.

5- ليرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

6- لروعة نسائهم، وفزع صبيانهم.

7- قضاء، لذمة الله، وذمة رسوله.

8- أعطاهم كسوة عيالهم، و خدمهم، ليفرحوا بقدر ما حزنوا (كما ورد في حديث إغارة خالد على حي أبي زاهر الأسدي، حيث قال ابن شهر آشوب: ونحو ذلك روي أيضا في بني جذيمة) .

9- لكل جنين غرة.

10- لكل مال مالا.

11- لميلغة كلبهم، و حيلة رعاتهم.

و ما نريد أن نقوله هنا هو: أن مجموع هذه النصوص يشير إلى أمور عديدة، كلها على جانب كبير من الأهمية، فلاحظ ما يلي:

ألف: إن ذلك يدل على: أن الذين قتلوا لم يكونوا جميعا من الكبار و البالغين، بل كان فيهم أجنة أيضا، و لذلك أعطى علي «عليه السلام» لكل جنين غرة. و الغرة-بالضم-عبد أو أمة.

و منه: قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجنين بغرة.

وقال الفقهاء: الغرة من العبد الذي ثمنه عشر الدية (1).

ص: 330

1- راجع: مجمع البحرين ج 3 ص 422 و (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ج 3 ص 302.

وزعم بعضهم: أن الغرة من العبيد الذي يكون ثمنه نصف عشر الدية (1).

وفي هذا التعبير-أعني قوله: «لكل جنين غرة»- إشارة ضمنية إلى تعدد، أو كثرة القتلى من الأجنة، حتى ذكرهم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى جانب ديات البالغين. .

ثم إنه لم يتضح إن كان هناك قتلى من النساء أو لم يكن. . ولكن روعاتهن كانت واضحة.

ب: إن عليا «عليه السلام» قد أعطى مالا لروعات النساء، و عوضا عما أصابهن من الحزن، و صرح: بأن المطلوب هو: أن يفرحوا بقدر ما حزنوا.

وهذا تأصيل لمعنى جديد لا بد من مراعاته في مجالات التعامل مع الناس، و لم يكن هذا المعنى معروفا، و لا مألوفاً قبل هذه الحادثة. . كما أننا لم نجد أحداً قد راعى هذا المعنى في معالجته لآثار العدوان على الآخرين.

و لعل قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك» .

يشير إلى هذا المعنى، و لا يختص ذلك بموضوع مقادير الديات، أو ما يرتبط بالتأثر من غير القاتل الحقيقي.

بل إن الفقهاء و على مدى كل هذا التاريخ الطويل لم يشيروا في فتاواهم، و لو إلى رجحان التعرض لمعالجة هذا النوع من الآثار، و لا رسموا

ص: 331

1- أقرب الموارد ج 2 ص 867 و راجع: عمدة القاري ج 24 ص 67 و تحفة الأحوذى ج 4 ص 554 و مرقاة المفاتيح ج 7 ص 40 و النهاية في غريب الأثر ج 3 ص 353 و كتاب الكليات ج 1 ص 670 و التعريفات للجرجاني ج 1 ص 208.

له حدودا، و لا بينوا له أحكاما، و لا حددوا له شروطا!!

فهل هذه غفلة كانت منهم؟!

أم أنهم فهموا: أن ذلك مما يختص بالمعصوم، من نبي وإمام؟! أم ما ذا؟!

ج: يلاحظ: أن عليا «عليه السلام»، قد بذل لبني جذيمة أموالا من أجل أن يفرحوا بقدر ما حزنوا.

أي أنه «عليه السلام» قد لاحظ مقدار الحزن، و مقدار الفرح، و أراد أن يكون هذا بقدر ذاك، و لذلك لم يقل: «ليفرحوا بعد ما حزنوا». بل قال: «ليفرحوا بقدر ما حزنوا».

د: إن سرد ما اعطاه علي «عليه السلام» لبني جذيمة يصلح أن يكون هو الوصف الدقيق لحقيقة ما جرى على هؤلاء الناس من قتل و سلب و خوف. فهم قد سلبوهم كل شيء. حتى حبله الرعاة، و ميلغة الكلب، و لم يتركوا لهم حتى كسوة العيال و الخدم. و أخذوا منهم ما يعلمون، و ما لا يعلمون.

بالإضافة إلى قتل الرجال، و إسقاط الأجنة، و روعة النساء، و فزع الصبيان، و حزن العيال و الخدم.

هـ: و قد صرحت الكلمات الواردة في الروايات: بأن عليا «عليه السلام» يريد أن يقضي عن ذمة الله و رسوله. أي أن الذين قتلهم خالد، قد كانوا في ضمان ذمة الله، و ذمة الرسول «صلى الله عليه و آله».

و لعل هذا يؤيد صحة القول: بأنه كان لديهم كتاب من رسول الله «صلى الله عليه و آله»، يضمن لهم سلامتهم، و أمنهم، و يعتبرهم في ذمة الله و رسوله.

و عدوان خالد عليهم يعتبر إخلالا بهذه الذمة، و هذا يحتم الوفاء بها،

وإعادة الأمور إلى نصابها.

بل قد يقال: إن هذا التعبير يدل على: أنه لو أن أحدا من غير المسلمين اعتدى على بني جذيمة لوجب نصرهم، و تحمل مسؤولية التعويض عليهم كل نقص يعرض لهم، في الأموال و الأنفس على حد سواء. .

و: قد ذكرت النصوص المتقدمة: أنه «عليه السلام» أعطاهم مقدارا من المال، ليرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع العلم: بأن السخط على الرسول «صلى الله عليه وآله» من موجبات الكفر و الخروج من الدين.

و مع أن السخط و الرضا لا يشتري و لا يعطى بالمال، فكيف نفهم هذا الإجراء منه «عليه السلام» ؟ !

و لعل من المفيد أن نقول في الإجابة عن ذلك:

إن المراد بالرضا هنا ليس ما يقابل السخط، بل المراد به: الشعور بالرضا، بعد الشعور بالحاجة إلى الإنصاف، و بضرورة إيصال حقهم إليهم.

فإذا رأوا عليا «عليه السلام» قد اعطاهم فوق ما لهم من حق، فلا بد أن يتكون لديهم شعور باستعادة كامل حقوقهم، و بما فوق مستوى الإنصاف و العدل الذي يتوقعونه أو ينتظرونه. .

و هذا معناه: أنه «عليه السلام» لم يشتر رضاهم بالمال. بل هو قد وفاهم حقهم، حتى تكوّن لديهم الشعور بالرضا بهذا الوفاء.

ز: إن تخصيص جزء من المال لما يعلمون، و ما لا يعلمون. قد يكون من أهم الأمور التي تبلّغهم درجات ذلك الرضا بأكمل وجوهه، و أتمها، فإن هناك أمورا قد يفقدها الإنسان، و لكنها تكون من الصغر، و التفاهة إلى حد يرى أن مطالبته بها تنقص من قدره، و تحط من مقامه، فيعرض عنها.

ولكنه حتى حين يغض النظر عنها قد يبقى لديه شعور بالانتقاص من حقه، أو قفل بعدم بلوغه درجة الإشباع.

فإذا رضح علي «عليه السلام» له مالا في مقابل تلك الأمور أيضا، فإنه لا يبقى مجال لأي خاطر يعكر صفو الشعور بالارتواء التام. .

فإذا زاد على ذلك: أن أعطاه أموالا في مقابل ما ربما يكون قد عجز عن استحضاره في ذهنه، فإنه سينتقل إلى مرحلة الشعور بالامتنان. و الإحساس بمزيد من اللطف به، والتفضل عليه، والنظر إليه، والشعور معه. .

حكم علي عليه السلام حكم الله تعالى:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر عليا «عليه السلام» بأن يضع قضاء الجاهلية تحت قدميه. . أي أنه «صلى الله عليه وآله» يعلن أن خالدا قد قضى في بني جذيمة بحكم الجاهلية. .

وذلك يكذب ما زعمه خالد: من أنه قد نفذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم. . حسبما تقدم. كما كذبه قبل ذلك حين أعلن ثلاث مرات براءته مما صنع خالد.

ويكذب أيضا رواية محبي خالد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان راضيا، ولم يعترض على فعله، ولم تسقط منزلته عنده. . فإن النبي الأعظم والأكرم «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بما يكون من قضاء الجاهلية، ولا يمكن أن يرضى بما يعلن أنه بري إلى الله منه. .

وفي المقابل نجد عليا «عليه السلام» كما يصرح به الإمام الباقر «عليه السلام»: لما انتهى إلى بني جذيمة «حكم فيهم بحكم الله». .

و هذا صريح: بأن جميع ما فعله علي «عليه السلام» إنما هو إجراء لحكم الله تعالى، وليس مجرد تبرعات منه «عليه السلام»، تستند إلى الاستحسان، أو إلى تفاعل أو اندفاع عاطفي آني، أو رغبة أذكتها العصبية للقربى، أو محبة أكدتها علاقة المودة والإلف بينه وبين ابن عمه نبي الله «صلى الله عليه وآله». . بل ما فعله كان-كما قلنا-إجراء و تنفيذاً لحكم الله تبارك و تعالى، من دون تأثر بهوى، أو ميل مع عصبية أو عاطفة. .

و يؤكد هذا المعنى: أن المال الذي حملة «عليه السلام» معه إليهم، سواء أكان ملكاً شخصياً للنبي «صلى الله عليه وآله»، أو كان من بيت مال المسلمين، لا يجوز له الإسراف و التبذير فيه، فضلاً عن تمزيقه و تفريقه وفق ما يقود إليه الهوى، و ما يرجحه الذوق و الاستنساب، و تدعو إليه العاطفة و الإنفعالات الشخصية.

فو الله لو لا دين آل محمد:

وقد قال رجل من بني جذيمة:

جزى الله عنا مدلجاً حيث أصبححتجزاءة بؤسى حيث سارت و حلت

أقاموا على أقضاضنا يقسمونها وقد نهلت فينا الرماح و علت

فو الله لو لا دين آل محمد لقد هربت منهم خيول فشلت (1)

و نقول:

إننا نسجل هنا:

ص: 335

1- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 77 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ص 887.

1-إن هذا القائل قد بين أن تمسك بني جذيمة بدين الإسلام هو الذي منعهم من مهاجمة خالد و من معه، وهو الذي دعاهم إلى إلقاء السلاح، ثم القبول بأن يكتف بعضهم بعضا. . و لو لا ذلك لكانت لهم صولات توقع الهزيمة الحتمية على الذين قتلوهم.

2-إن هذا الشعر قد تضمن تصريحاً بأن هؤلاء القوم كانوا يلتزمون بدين آل محمد. .

و هذا معناه: أن آل محمد كانوا جزءاً من هذا الدين، وكانوا أعلامه، وقادته ورواده، وعندهم تؤخذ معالم الدين و مفاهيمه، و شرائعه. و أن ذلك كان معروفاً منذ ذلك الزمن. و لا ندري إن كان «صلى الله عليه و آله» قد سجل عليهم في الكتاب الذي أعطاهم إياه، فقد وجدنا لهذا نظائر في تاريخ الإسلام، فإنه «صلى الله عليه و آله» كتب لأهل مقنا: «و ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من آل بيت رسول الله. .» (1).

3-إن هذه الأبيات قد نسبت دين الإسلام كله إلى آل محمد، فإن الشاعر لم يقل: لو لا محمد.

بل قال: لو لا دين آل محمد.

و في ذلك دلالة ظاهرة على ما قلناه. .

و في مقابل ذلك: لم نجد أحداً يقول: لو لا دين أبي بكر و عمر لكان

ص: 336

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 3 ص 103 و 106 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 277 و فتوح البلدان للبلاذري (ط سنة 138 هـ) ص 67 و (ط مكتبة النهضة المصرية) ج 1 ص 72.

كذا. . لا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا بعده.

أنت مني بمنزلة هارون من موسى:

1- إن من أهم الأوسمة التي أعلن عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بما جرى لبني جذيمة، هو قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، حسبما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (1).

ص: 337

1- الهداية للشيخ الصدوق ص 157 و 158 و 160 و 162 و المقنعة للشيخ المفيد ص 18 و رسائل الشريف المرتضى ج 1 ص 333 و ج 4 ص 76 و الإقتصاد للشيخ الطوسي ص 222 و 225 و الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص 114 و إشارة السبق لأبي المجد الحلبي ص 53 و الحدائق الناضرة ج 8 ص 512 و نخبة الأزهار للسبحاني ص 160 و الخلل في الصلاة للسيد مصطفى الخميني ص 130 و كتاب الطهارة للسيد الخميني ج 2 ص 128 و المحاسن للبرقي ج 1 ص 159 و الكافي ج 8 ص 107 و علل الشرائع ج 1 ص 222 و ج 2 ص 474 و عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج 1 ص 208 و ج 2 ص 210 و الخصال ص 211 و 311 و 554 و 572 و الأمالي للشيخ الصدوق ص 238 و 402 و 491 و 618 و كمال الدين و تمام النعمة ص 278 و معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص 74 و 75 و 77 و 78 و 79 و تحف العقول ص 430 و 459 و تهذيب الأحكام ج 1 ص 27 و ج 10 ص 41 و روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 89 و شرح أصول الكافي ج 5 ص 199 و ج 6 ص 110 و ج 9 ص 122 و ج 12 ص 39 و 41 و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج 11 ص 32 و (ط دار الإسلامية) ج 8 ص 21 و مستدرک الوسائل ج 18 ص 367 و كتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص 167 و 195 و 201 و 204 و 299 و 305 و 314 و 322 و 400 و 408 و 414 و 422 و 458 و الغارات للثقف ج 1 ص 62 و ج 2 ص 745 و 767 و مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» لمحمد بن سليمان الكوفي ج 1 ص 224 و 301 و 317 و 459 و 499 و 501 و 502 و 503 و 508 و 510 و 511 و 512 و 519 و 520 و 522 و 523 و 524 و 527 و 529 و 534 و 539 و 540 و 541 و ج 2 ص 516 المسترشد للطبري ص 67 و 335 و 440 و 441 و 446 و 454 و 459 و 460 و 621 و دلائل الإمامة للطبري ص 124 و شرح الأخبار ج 1 ص 97 و 319 و ج 2 ص 177 و 186 و 250 و 477 و ج 3 ص 202 و مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص 92 و 160 و الفصول المختارة للشيخ المفيد ص 28 و 252 و الإفصاح للشيخ المفيد ص 33 و النكت الإعتقادية للشيخ المفيد ص 38 و 42 و النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد ص 47 و 47 و الإرشاد للشيخ المفيد ج 1 ص 8 و الأمالي للشيخ المفيد ص 19 و الأمالي للسيد المرتضى ج 4 ص 186 و كنز الفوائد ص 274 و 275-283 و الأمالي للشيخ الطوسي ص 227 و 253 و 333 و 351 و 548 و 555 و 560 و الإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 155 و 162 و 163 و 197 و 216 و 218 و 233 و 247 و 278 و ج 2 ص 8 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 3 و 4 و 190 و ج 2 ص 37 و 219 و 302 و ج 3 ص 44 و 46 و 60 و العمدة لابن البطريق ص 13 و 97 و 126-137 و 144 و 183 و 214 و 258 و 337 و المزار لمحمد بن المشهدي ص 576 و الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص 152 و سعد السعود لابن طاووس ص 43 و إقبال الأعمال ج 1 ص 506 و اليقين لابن طاووس ص 208 و 448 و الطرائف لابن طاووس ص 51-54 و 63 و 151 و 277 و 414 و 521 و الصراط المستقيم ج 1 ص 61 و 101 و 323-207 و ج 2 ص 47 و 64 و 87 و ج 3 ص 78 و المحتضر لحسن بن سليمان الحلبي ص 96 و وصول الأخبار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص 54 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 98-103 و 190 و 222 و حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ص 80 و 327 و 338 و 424 و مدينة المعاجز ج 2 ص 420 و البحار ج 5 ص 69 و ج 8 ص 1 و ج 16 ص 412 و 413 و ج 21 ص 142 و ج 25 ص 224 و ج 26 ص 3 و ج 28 ص 45 و 55 و 222 و

350 و ج 29 ص 83 و 606 و ج 31 ص 316 و 333 و 351 و 362 و 368 و 371 و 376 و 414 و 417 و 429 و 433 و ج 32 ص 487 و 617 و ج 33 و 149 و 154 و 176 و 183 و ج 35 و 58 و 275 و ج 36 ص 331 و 418 و ج 37 ص 254-305 و ج 38 ص 123 و 240 و 246 و 247 و 331 و 334-338 و 341 و 342 و ج 39 ص 20 و 21 و 28 و 59 و 62 و 85 و ج 40 ص 2 و 9 و 10 و 43 و 78 و 88 و 95 و ج 42 ص 155 و ج 44 ص 23 و 35 و 63 و ج 49 ص 200 و 209 و 229 و ج 64 ص 148 و 194 و ج 68 ص 65 و ج 69 ص 146 و 155 و ج 72 و 445 و ج 82 ص 265 و ج 97 ص 362 و ج 99 ص 106 و ج 101 ص 424 و كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ص 79 و 81 و 82 و 137 و 146 و 236 و 239 و 342 و 435 و 443 و مناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرازي ص 106 و 133-135 و 201 و 216 و 220 و 446 و خلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج 1 ص 52 و 55 و 61 و 72 و 85 و 86 و 92 و 97 و ج 2 ص 213 و ج 7 ص 58 و 75 و 87 و 121 و 179 و 188 و 233 و ج 8 ص 263 و ج 9 ص 106 و 269 و 314 و نهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص 131 و 133 و النص و الإجهاد ص 491 و 564 و المراجعات ص 200 و 204 و 209 و 210 و 283 و 310 و 389 و سبيل النجاة في تنمة المراجعات لحسين الراضي ص 117 و 213 و 276 و مقام الإمام علي «عليه السلام» لنجم الدين العسكري ص 13 و 18 و 19 و 30 و 33 و الغدير ج 1 ص 39 و 197 و 198 و 208 و 212 و 213 و 297 و 396 و ج 2 ص 108 و ج 3 ص 115 و 201 و 228 و ج 4 ص 63 و 65 و ج 5 ص 295 و ج 6 ص 333 و ج 10 ص 104 و 258 و 259 و فذلك في التاريخ للسيد محمد باقر الصدر ص 27 و مستدرك سفينة البحار ج 7 ص 229 و ج 8 ص 231 و ج 10 ص 29 و 30 و 31 و 55 و نهج السعادة ج 1 ص 124 و 160 و 363 و ج 7 ص 471 و الإمام علي «عليه السلام» لحمد الرحمان الهمداني ص 253 و 282 و 307 و 586 و كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» للشيخ الشريفي ص 272 و مسند الإمام الرضا «عليه السلام» للطردي ج 1 ص 128 و ج 2 ص 116 و أضواء على الصحيحين للنجمي ص 329 و 344 و معالم المدرستين للعسكري ج 1 ص 296 و 316 و أحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ج 1 ص 245 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 43 و 564 و مواقف الشيعة ج 1 ص 102 و 305 و 315 و 440 و 454 و ج 2 ص 402 و ج 3 ص 269 و 302 و المناظرات في الإمامة للشيخ عبد الله الحسن ص 5 و 101 و 109 و 112 و 116 و 165 و 166 و 169 و 213 و 215 و 237 و 238 و 259 و 332 و 475. و فضائل الصحابة ص 13 و 14 و صحيح مسلم ج 7 ص 120 و سنن الترمذي ج 5 ص 304 و شرح مسلم للنووي ج 15 ص 174 و مجمع الزوائد ج 9 ص 109-111 و الديباج على مسلم للسيوطي ج 5 ص 386 و تحفة الأحوزي ج 10 ص 161 و مسند أبي داود ص 29 و المعيار و الموازنة للإسكافي ص 219 و 220 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 496 و مسند سعد بن أبي وقاص للدورقي ص 176 و تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 13 و الآحاد و المثاني ج 5 ص 172 و كتاب السنة لابن أبي عاصم ص 551 و 586-588 و 595 و 596 و مجلسان من إماء النسائي ص 83 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 44 و 45 و 120-125 و خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص 77-79 و 84 و 85 و 89 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 87 و 99 و جزء الحميري ص 28 و 34 و أمالي المحاملي ص 209 و حديث خيثة بن سليمان الأطرابلسي ص 199 و صحيح ابن حبان ج 15 ص 369 و المعجم الصغير ج 2 ص 22 و 54 و المعجم الأوسط ج 3 ص 139 و ج 5 ص 287 و ج 6 ص 77 و 83 و ج 7 ص 311 و المعجم الكبير ج 1 ص 146 و 148 و ج 2 ص 247 و ج 4 ص 17 و 184 و ج 11 ص 61 و ج 24 ص 146 و 147 و معرفة علوم الحديث للحاكم ص 252 و فوائد العراقيين للنقاش ص 94 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 59 و 264 و ج 5 ص 248 و ج 6 ص 169 و ج 9 ص 305 و ج 10 ص 222 و ج 13 ص 211 و ج 17 ص 174 و ج 18 ص 24 و درر السمط في خبر السبط ص 79 و نظم درر السمطين ص 24 و 134 و كنز العمال و ج 5 ص 724 و ج 9 ص 167 و 170 و ج 11 ص 599 و 607 و ج 13 ص 106 و 123 و 124 و 151 و 163 و 192 و ج 16 ص 186 و تذكرة الموضوعات للفتي ص 8 و كشف الخفاء للعجلوني ج 2 ص 384 و 420 و نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص 195 و فتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي ص 109 و 154 و إرغام المبتدع الغبي لحسن بن علي للسقاف ص 59 و قاموس شتائم للسقاف ص 198 و دفع الإرتياب عن

حديث الباب للعلوي ص 33 و تفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص 250 و خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص 186 و 243 و 245 و تفسير نور الثقلين ج 2 ص 314 و تفسير القرطبي ج 1 ص 266 و 267 و عدة الأصول (ط. ق) ج 1 ص 170 و رجال النجاشي ص 94 و 233 و 401 و الفهرست للطوسي ص 74 و نقد الرجال للفرشي ج 3 ص 176 و الفوائد الرجالية لبحر العلوم ج 4 ص 113 و طرائف المقال للبروجردى ج 2 ص 487 و 569 و معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج 3 ص 64 و 65 و ج 11 ص 96 و ج 18 ص 215 و تهذيب المقال للأبطحي ج 3 ص 489 و ج 5 ص 432 و التاريخ الكبير للبخاري ج 1 ص 115 و معرفة الثقات للعجلي ج 2 ص 184 و 457 و ضعفاء العقيلي ج 2 ص 47 و الكامل لابن عدي ج 2 ص 142 و 315 و ج 3 ص 207 و ج 6 ص 68 و 216 و ج 7 ص 39 و طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان ج 4 ص 264 و علل الدارقطني ج 4 ص 313 و 381 و تاريخ بغداد ج 1 ص 342 و ج 4 ص 176 و 291 و ج 5 ص 147 و ج 8 ص 52 و 262 و ج 9 ص 370 و ج 10 ص 45 و ج 12 ص 320 و تاريخ مدينة دمشق ج 12 ص 349 و ج 13 ص 150 و 151 و ج 18 ص 138 و ج 20 ص 360 و ج 21 ص 415 و ج 30 ص 359 و ج 38 ص 7 و ج 39 ص 201 و ج 41 ص 18 و ج 42 ص 53 و 116 و 143 و 146-148 و 150 و 153-157 و 162-175 و 177 و 179 و 180 و 182-185 و ج 54 ص 226 و ج 59 ص 74 و ج 70 ص 35 و 36 و أسد الغابة ج 4 ص 27 و ج 5 ص 8 و ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي ج 4 ص 209 و تهذيب الكمال للمزي ج 5 ص 577 و ج 8 ص 443 و ج 14 ص 407 و ج 20 ص 483 و ج 32 ص 482 و ج 35 ص 263 و تذكرة الحفاظ ج 1 ص 10 و 217 و ج 2 ص 523 و سير أعلام النبلاء ج 7 ص 362 و ج 13 ص 341 و ج 14 ص 210 و تهذيب التهذيب ج 2 ص 209 و ج 5 ص 160 و ج 7 ص 296 و لسان الميزان ج 2 ص 414 و الإصابة ج 4 ص 467 و أنساب الأشراف ص 96 و 106 و الجوهرة في نسب الإمام علي و آلِهِ للبري ص 14 و 15 و ذكر أخبار إصبهان ج 1 ص 80 و ج 2 ص 281 و 328 و البداية و النهاية ج 7 ص 376 و 378 و ج 8 ص 84 و وقعة صفين للمنقري ص 315 و بشارة المصطفى للطبري ص 352 و 374 و 409 و إعلام الوري للطبرسي ج 1 ص 326 و 331 و المناقب للخوارزمي ص 55 و 61 و 129 و 133 و 140 و 158 و 301 و كشف الغمة ج 1 ص 63 و 79 و 123 و 292 و 342 و ج 2 ص 24 و نهج الإيمان لابن جبر ص 68 و 119 و 379-405 و 531 و 616 و 658 و العدد القوية ص 51 و 247 و كشف اليقين ص 279 و 425 و 459 و 466 و النزاع و التخاصم للمقريزي ص 101 و جواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج 1 ص 37 و 197 و 296 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 292 و ينابيع المودة للقندوزي ج 1 ص 137 و 156 و 157 و 158 و 162 و 240 و 309 و 404 و 431 و 434 و ج 2 ص 86 و 146 و 153 و 302 و 303 و 386 و ج 3 ص 208 و 211 و 278 و 369 و 403 و اللعة البيضاء للتبريزي ص 67 و النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص 96 و 117 و 183 و الأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ص 23 و 328 و 336 و لمحات للشيخ لطف الله الصافي ص 43 و مجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي ج 1 ص 174 و ج 2 ص 329 و حياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج 1 ص 255 و حياة الإمام الرضا «عليه السلام» للقرشي ج 1 ص 169 و ج 2 ص 266 و 318.

وهي كلمة قالها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأمر المؤمنين «عليه السلام» في أكثر من مناسبة، أشهرها: حين تجهز «صلى الله عليه وآله» لغزو تبوك، وتخلف عنه جمع من المنافقين في المدينة انتظارا للفرصة، وأملا بإنجاز مؤامرتهم الشريرة، وسعيا لتحقيق نواياهم المشؤومة.

فإنه «صلى الله عليه وآله» قرر: أن يبقى عليا «عليه السلام» على المدينة مدة غيبته.

فتضايق المتآمرون من المنافقين، وتضايق معهم من لف لفهم، ممن كان عازما على المسير أيضا، لكي يبقوا على مقربة من المستجندات و التحولات، وليمكنهم التدخل في الوقت المناسب في مسار الأحداث، و انتهاز الفرص

ص: 343

واقترنتاصها، إن أمكن. أو دفع ما يرون فيه خطرا على مشاريعهم التأميرية التي يعدون لها العدة. كما أظهرته الوقائع اللاحقة.

وكان إبقاء علي «عليه السلام» في المدينة مخيفا لهم، فحاولوا أن يطلقوا شائعات حول القرار بإبقاء علي «عليه السلام»، من شأنها أن تمس الكرامة، وتؤدي العنفوان، من قبيل قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» خلف عليا «عليه السلام» استئقلا له (1).

أو قولهم: خلفه في النساء والصبيان (2).

ص: 344

1- المسترشد ص 129 و 444 والإرشاد ج 1 ص 156 و ذخائر العقبي ص 63 والمستجد من الإرشاد ص 95 و 96 و الصراط المستقيم ج 1 ص 316 و البحار ج 21 ص 208 و 245 و ج 37 ص 267 و الغدير ج 3 ص 198 و المناظرات في الإمامة ص 214 و الثقات ج 2 ص 93 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 31 و عن تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 368 و عن البداية والنهاية ج 5 ص 11 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 946 و كشف الغمة ج 1 ص 227 و عن عيون الأثر ج 2 ص 254 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 12 و سبل الهدى والإرشاد ج 5 ص 441 و نشأة التشيع والشيعة ص 109 و كتاب السنة ص 586 و إعلام الوري ج 1 ص 244 و قصص الأنبياء للراوندي ص 349 و شرح الأخبار ج 2 ص 195 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 183 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 378 و الثقات ج 2 ص 93 و كشف اليقين للعلامة الحلي ص 145.

2- مختصر تاريخ دمشق ج 17 ص 332 و الاعتقاد على مذهب السلف لأحمد بن الحسين البيهقي ص 205 و مسند أبي يعلى ج 1 ص 286 و معارج القبول ج 2 ص 471 و مسند فاطمة للسيوطي ص 62 و المعجم لابن المشني التميمي ص 230 و تحفة الأحوذى ج 10 ص 229 و تلخيص المتشابه في الرسم ج 2 ص 644 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 627 و تاريخ الأحمدي ص 99 و فضائل الصحابة للنسائي ص 14 و الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ط بيروت) ج 9 ص 41 و الحدائق لابن الجوزي ج 1 ص 387 عن البخاري، و مسلم، و البداية والنهاية ج 5 ص 7.

أو: كره صحبته (1).

أو: مله و كره صحبته (2).

أو: استثقله و كره صحبته (3).

أو: سئمه و كره صحبته (4).

و جاء الرد الإلهي الحاسم و الحازم ليقول رسول الله «صلى الله عليه و آله» لعلي «عليه السلام»: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

ص: 345

-
- 1- المسترشد ص 445 و شرح الأخبار ج 1 ص 97 و مسند ابن الجعد ص 301 و الطبقات الكبرى ج 3 ص 24 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 175 و أنساب الأشراف ص 94.
 - 2- مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج 1 ص 531 و 532 و فضائل الصحابة ص 13 و مسند سعد بن أبي وقاص ص 174 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 44 و 120 و 240 و خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص 76 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 86 و الكامل ج 2 ص 417 و عن تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 151 و 152 و مختصر تاريخ دمشق ج 17 ص 344.
 - 3- مقام الإمام علي «عليه السلام» ص 36 و مكاتيب الرسول هاشم ج 1 ص 595 و عن تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 117.
 - 4- الإحتجاج ج 1 ص 59 و مدينة المعاجز ج 1 ص 288 و البحار ج 21 ص 223 و تفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص 380 و بشارة المصطفى للطبري ص 316.

ألف: إن منزلة هارون من موسى، كما أشارت إليه آيات القرآن الكريم: هي أنه وزيره. وذلك بجعل من الله سبحانه، فإن الله جعل هارون وزيراً لموسى: . . وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (1).

أنه شد أزر النبي، وشد عضده.

أنه شريكه في أمر الدين، ونشره، وإبلاغه، وحفظه وفي كل شيء سوى النبوة.

أنه من أهله، فقد قال تعالى على لسان موسى «عليه السلام»: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أُشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (2).

وقال تعالى: قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ. (3).

أنه ردة للنبي.

أنه يصدق النبي، فقد قال تعالى حكاية عن موسى: فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون (4).

أنه خليفته في قومه. .

أن مهمته هي الإصلاح في أولئك القوم. .

قال تعالى حكاية عن لسان موسى «عليه السلام»: أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي

ص: 346

1- الآية 35 من سورة الفرقان.

2- الآيات 29-32 من سورة طه.

3- الآية 35 من سورة القصص.

4- الآية 34 من سورة القصص.

وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (1).

ب: قال العلامة الطباطبائي «رحمه الله» عن نبي الله هارون «عليه السلام»: «أشركه الله تعالى مع موسى «عليهما السلام» في سورة الصافات: في المنّ، وإيتاء الكتاب، والهداية إلى الصراط المستقيم، وفي التسليم، وأنه من المحسنين، ومن عباده المؤمنين (الصافات: 114-122) وعده مرسلا (طه: 47)، ونبيا (مريم: 53)، وأنه ممن أنعم عليهم (مريم: 58)، وأشركه مع من عدّهم من الأنبياء في سورة الأنعام في صفاتهم الجميلة، من الإحسان، والصلاح، والفضل، والاجتهاد، والهداية (الأنعام: 84-88)» انتهى (2).

ج: ليس المراد بإشراكه في حفظ الدين، ونشره، وتبليغه، ما هو على حد شراكة المؤمنين معه في ذلك من حيث إن وجوب التبليغ والإرشاد والدعوة إلى الله، والدفاع عن الحق والدين وتعليم الأحكام يعم الجميع، فيجب على الناس العاديين وعلى الأولياء والأنبياء أيضا. بل هي شراكة خاصة في كل أمره «صلى الله عليه وآله» باستثناء نزول الوحي عليه، ونيل درجة النبوة بصورة فعلية.

وتظهر آثار هذه الشراكة في وجوب طاعته «عليه السلام»، وفي حجية قوله، وفي كل ما أعطاه الله إياه من علم خاص، ومن عرض أعمال العباد عليه، ومن طاعة الجمادات له، ومن التصرفات والقدرات الخاصة، مثل طي الأرض، ورؤيته من خلفه، وكونه تنام عيناه ولا ينام قلبه، والإسراء

ص: 347

1- الآية 142 من سورة الأعراف.

2- الميزان (تفسير) ج 16 ص 44.

والمعراج إلى السماوات لرؤية آيات الله تبارك وتعالى وما إلى ذلك.

د: إنه «عليه السلام» من أهل النبي «صلى الله عليه وآله» والأهل يعيشون مع بعضهم بعفوية وشفافية ووضوح، فأهل النبي يشاهدون أحواله، ويطلعون على أسرارهم، فإذا كان وزيره، وشريكه منهم، فإن معرفته بكل هذه الأمور المعنوية تكون منطلقة من معرفته الواقعية بكل حالاته وخفاياه، وباطنه وظاهره. . ولا بد أن يدخل إلى ضمير هذا الوزير والشريك وإلى خلجات نفسه، وحنايا روحه، ويلاصق شغاف قلبه بصفته نبيا مقدسا وطاهرا بكل ما لهذه الكلمة من معنى، ولا يريد لنفسه رداء وشريكا ووزيرا بعيدا عنه، قد يفرض غموضه احترامه عليه، أو يخشى ويحذر ما يجهله منه. .

إن هذا الإشراف المباشر على حالات هذا النبي، والعيش معه بعفوية الأهل والأحبة ومن دون أن يكون هناك أي داع لتحفظه معهم، أو للتحفظ معه. . يعطي للإنسان السكينة والطمأنينة إلى صحة الرؤية، وسلامة المعرفة، وواقعيتها، فيترسخ الإيمان بصحة نبوته في العقل، و يتبلور صفاؤه في الوجدان، ويتجذر طهره في أعماق النفس، وينساب هداه في الروح والضمير إنسياب الدم في العروق. .

وهذه خصوصية لا يمكن أن توجد إلا لدى الأنبياء «عليهم السلام»، ومن هم في خطهم من الأولياء، والخلّص من المؤمنين. .

أما من عداهم من أهل الدنيا. . فلا يمكن أن تستقيم لهم الأمور إلا بوضع الحجب، وإنشاء السدود والحواجز أمام الناس، حتى أقرب الناس إليهم ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم فضلا عن غيرهم. . ومنعهم من المعرفة

بحقيقة سلوكهم، و بواقع نواياهم، وبما تكنّه ضمائرهم. . لأن معرفة الناس بذلك سوف تجرّ لهم الداء الدوي، و البلاء الظاهر و الخفي. .

ه : و أما الأخوة التي ينشدها النبي في الوزير: فقد تعني فيما تعنيه الأمور التالية:

أولاً: المساواة. . و الإشتراك. . و المماثلة في الميزات. . و الشبه في الصفات. .

و لذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كما ذكر المؤرخون كان يؤاخي بين كل و نظيره، ممن هو أقرب الناس إليه في الخلق، و في السيرة، و في الطموح، و في المستوى الفكري و العقلي، و سائر الصفات.

مع العلم: بأننا لا- نجد ملكا يعترف لأي مخلوق، سواء أكان وزيرا أو قريبا أو حتى ولدا بالمساواة معه في الصفات و الأخلاق، و سائر الميزات. بل هو يعطي لنفسه مقاما متميزا عن الناس كلهم، و يسعى لتعمية الأمر على الناس، و يتوسل إلى ذلك بأساليب شتى من الإبهام و الإيهام، و الإدّعاءات الزائفة، و المظاهر الخادعة.

ثانيا: إن هذا التشابه أو التقارب في الميزات من شأنه: أن يفرض تساويا في الحقوق لكل منهما بالنسبة لأخيه الآخر. . و هذا مرفوض أيضا في منطق أهل الدنيا، فإن الرؤساء و الملوك فيها، إن لم يجدوا لأنفسهم خصوصية، فلا بد من انتحالها، و التظاهر بما يوهم الخصوصية. كما ألمحنا إليه. .

فكيف يمكن أن يرضوا بالمساواة مع غيرهم في الحقوق و المزايا؟!

و: إن استثناء النبوة في كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن وزارة علي «عليه السلام» يفيد: أن المراد بمنزلة هارون من موسى: هو سائر مراتبها، و مختلف متعلقاتها. أي أن هذا الإستثناء يفيد عموم المنزلة و شمولها لكل

الأمر والجهات والمراتب، فهو بمنزلة في لزوم الطاعة، وفي حجية قوله، وفي حاكميته، وفي القضاء، والعطاء، والسلام، والحرب و السفر، والحضر، وفي الحياة، وبعد الممات. . وفي كل شيء. .

أنت هادي أمتي:

إشارة

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام» في هذه المناسبة: «أنت هادي أمتي. ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك، و أخذ بطريقتك. ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك، و رغب عن طريقك إلى يوم القيامة» (1).

ونقول:

إن هذه الكلمة قد تضمنت ثلاثة أمور هامة وأساسية. . وهي:

1-علي عليه السلام هادي أمة محمد صلى الله عليه وآله:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر في هذه المناسبة: أن عليا «عليه السلام» هادي أمته.

وهذا يدل على: أن ما أجراه «عليه السلام» في بني جذيمة ليس مجرد إيصال بعض مال استحققه أولئك الناس عوضاً عن متاع سلب منهم، أو ديات لقتلى سقطوا في عدوان تعرضوا له. بل هو أمر يرتبط بالهداية إلى الحق، و تعريف الناس بما يرضي الله تبارك و تعالى. .

ص: 350

1- الأُمالي للطوسي (ط سنة 1414 هـ) ص 498 و البحار ج 21 ص 143 و موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج 11 ص 219.

فكيف يمكن فهم هذا الأمر من الوقائع التي جرت له «عليه السلام» في مهمته تلك؟

إن الإجابة على هذا السؤال قد تكون من خلال ملاحظة تنوع العطاءات، وتنوع أسبابها، حيث أظهرت: أن لروعات النساء، وفزع الصبيان قيمة، وأنه لا بد من أن تودى الأجنة إذا أسقطت في مثل هذه الحالات، وأنه لا بد من بذل الأموال لإبراء ذمة الله ورسوله، ولأجل ما يعلمون، وما لا يعلمون. . . وغير ذلك مما تقدم. . . وتقدمت بعض الإشارات إلى وجوهه وأسبابه. .

وهي أمور لم تكن واضحة للناس، بل هي قد لا تخطر لأحد منهم على بال. .

وهي تدل على: أنه «عليه السلام» هو الذي يدرك أسرار الشريعة، ودقائقها، وكوامنها، ويعرف أهدافها، ومؤدياتها. .

ولعل مما يوضح ذلك: أنه «عليه السلام» قد أعطى مالا أيضا من أجل أن يرضوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليحفظ بذلك دينهم، ويصون إيمانهم.

2- السعيد من أحب عليا عليه السلام:

وقد بين «صلى الله عليه وآله» للناس: أن حقيقة السعادة تنال بأمرين:

أحدهما: حب علي «عليه السلام». .

والمقصود هو: حبه «عليه السلام» كما هو، وعلى ما هو عليه، وهو الذي يرضيه ما يرضي الله، ويغضبه ما يغضبه، فالسعيد هو من أحب عليا «عليه السلام» حتى وهو يجري عليه وعلى أهله وولده أحكام الله تعالى،

و يقيم عليه و عليهم حدوده، و لا تؤثر إقامته لها عليه و عليهم في محبته و في إخلاصه و طاعته له، فهو يحبه حتى و هو يجلده، و حتى و هو يقتص من ولده القاتل. أو يقطع يد ولده السارق.

أما حب علي «عليه السلام» لأنه شجاع مثلاً، فهو ليس حباً لعلي «عليه السلام»، بل هو حب للشجاعة فقط، فهو يحبها حتى لو ظهرت لدى أعداء الله ورسوله. و أعداء الإنسانية. فهذا الحب لا ينفع صاحبه و لا يسعده برضا الله تبارك و تعالى.

الثاني: الأخذ بطريقة علي «عليه السلام». . أي أن العمل الجوارحي يجب أن ينسجم مع المشاعر، و يستجيب لدعوتها أيضاً. . فالحب لعلي «عليه السلام» يدعو إلى التأسى و الإقتداء و بدون ذلك، فإن الحب يبقى عقيماً، ليس له أي امتداد أو قيمة، أو ما يوجب له البقاء.

غير أن الملاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه و آله» قد تحدث عن الأخذ بطريقة علي «عليه السلام»، و لم يأمر بأن يعمل نفس عمل علي «عليه السلام» بحيث يكون للعمل نفس قيمة و خصوصيات عمل علي «عليه السلام»، و نفس درجته في الإخلاص، و الخلو، و المثوبة، و سائر الآثار، بل المطلوب هو: أن يتبع المؤمن سبيله، و طريقته «عليه السلام»، و إن لم تتحقق المماثلة لها في سائر الخصوصيات و الآثار.

و لذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه و آله» قد رتب الشقاء على مخالفة طريقة علي «عليه السلام»، لا على فقدان الأعمال لخصوصيات و آثار و قيمة، و خصائص عمل علي «عليه السلام».

و ذلك لطف آخر من الله ورسوله بالعباد، و لهذا البحث مجال آخر.

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 353

الباب الثالث: نهايات فتح مكة الفصل الأول: الذين أهدر النبي صلي الله عليه وآله دمهم 7-106

الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة: 107-150

الفصل الثالث: تشريعات وأحكام 151-198

الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتاب. . و معاذ 199-218

القسم العاشر: من الفتح. . إلى الشهادة الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين. . تسع بعوث و سرايا. . الفصل الأول: بعوث و سرايا قبل بني جذيمة 223-244

الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة 245-292

الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح وأصرح 293-316

الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق 317-352

الفهارس: 353-366

ص: 355

الباب الثالث: نهايات فتح مكة الفصل الأول: الذين أهدر النبي صلى الله عليه وآله دمهم كذلك نجزي المجرمين:9

اقتلوهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة:11

1-عكرمة بن أبي جهل:12

لم يقم النبي صلى الله عليه وآله إلا لعكرمة:18

هل هذا اتهام لخالد؟! :21

غصّة عكرمة و يأسه:21

عكرمة مهاجر و مؤمن:22

لا تسبوا أبا جهل:23

تناقضات و تشابه بين قصتي صفوان و عكرمة:25

سر تعظيم عكرمة:25

2-صفوان بن أمية:30

يحسبون كل صيحة عليهم:33

إنقلاب الصورة:34

ما أسرع ما أجاب!! :34

هذه هي معاييرهم:35

صفوان بن أمية في ميزان الاعتبار:37

ص: 357

3-عبد العزى بن خطل:42

تغيير الاسم إحسان و تفضل:47

الهروب إلى الأمام:48

الكعبة لا تعيذ عاصيا و لا تمنع من إقامة الحد:49

4-عبد الله بن سعد بن أبي سرح:50

ابن أبي سرح أعظم إجراما:57

بين الحياء، و ظن السوء:59

تبارك الله أحسن الخالقين:60

عثمان و أخوه، و علي عليه السلام و أخته:62

كله صواب:63

استأمن له، ثم أتى به:64

أين كان علي عليه السلام؟! :65

الوسطاء لابن أبي سرح:66

مات و هو ساجد:67

5-عبد الله بن الزبير:69

6-الحويرث بن ثقيدر:74

أسلوب استدراجي:76

7-هبار بن الأسود:78

ذنب هبار:81

جراتهم على رسول الله صلى الله عليه و آله:82

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و آله:85

موقف الرسول صَلَّى الله عليه وآله من هبار: 86

سب من سبك: 89

تقوى هبار؟! : 90

سب المسلمين لهبار موضع ريب: 91

8-الحارث بن هشام: 91

9-زهير بن أمية: 91

10-عبد الله بن ربيعة: 92

11-زهير بن أبي سلمى: 92

12-مقيس بن صبابه: 92

13-الحويرث بن الطلائع الخزاعي: 94

14-كعب بن زهير: 94

15-وحشي بن حرب: 94

16-هيرة بن أبي وهب: 95

17-سارة: 95

18-أرنب مولاة ابن خطل: 97

19-فرتنى: 97

20-قرية: 97

21-أم سعد: 97

22-هند بنت عتبة: 98

تعقيب غير ضروري: 102

هند. . وأموال زوجها البخيل: 102

الفصل الثاني: أحداث جرت في فتح مكة لا تحدوا النظر إلى سهيل: 109

1-سبب تعظيم سهيل بن عمرو!!: 110

2-ليس هذا مدحا لسهيل بن عمرو: 111

إسلام ابني أبي لهب: 113

السائب شريك الرسول صلى الله عليه وآله في التجارة: 117

الخطبة الثانية للنبي صلى الله عليه وآله في مكة: 120

أحلت لي ساعة من نهار: 124

دية القتل المشرك: 125

لما ذا التزوير؟ 132!

أول قتل وداه النبي صلى الله عليه وآله: 133

لعلها خطبة أخرى في مكة: 133

تجديد أنصاب الحرم: 137

النبي صلى الله عليه وآله يقترض أموالا ويقسمها: 138

ضفائر أربع!! أم وفرة!!: 141

رفع شعر النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء: 143

شعرات النبي صلى الله عليه وآله لا تحترق: 144

جبر: الغلام المعذب: 146

مظاهر تقوى ابن عبادة: 147

لعل ثمة تزويرا: 149

ص: 360

الفصل الثالث: تشريعات وأحكام الولد للفراش: 153

الصلاة في مكة، والصلاة في بيت المقدس: 155

ضرب شارب خمر: 159

لا شفاعاة في حد: 160

لو سرقت فاطمة لقطعت يدها: 162

أسماء حب الرسول صلى الله عليه وآله أم زيد؟! : 164

أشياء يحرم بيعها: 166

كسر الدف والمزمار: 168

روايات مكذوبة: 173

متعة النساء عام الفتح: 179

روايات النسخ يوم الفتح: 182

مناقشة روايات النسخ: 184

تعدد نسخ تشريع المتعة: 190

مدة الإقامة التي يجب فيها القصر: 193

الفصل الرابع: مكة بعد الفتح بيد عتاب . و معاذ عتاب بن أسيد على مكة: 201

كتاب النبي صلى الله عليه وآله للمكيين مع عتاب: 203

الكتاب مصنوع: 206

عتاب قاض، أم أمير؟! : 206

تولية عتاب على مكة وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله: 206

خلاصة و توضيح: 208

لا حاجة إلى المبالغة في أمر عتاب: 210

تهديد المتخلفين عن الجماعة: 212

إستدلالات واهية أخرى: 212

النبي صَلَّى الله عليه وآله لا يعرف الأب من الابن: 213

أهل مكة أهل الله!! : 214

الشك في كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله لأهل مكة: 214

معاذ يعلم أهل مكة: 215

من هو معاذ بن جبل؟! : 216

القسم العاشر: من الفتح. . إلى الشهادة الباب الأول: من فتح مكة إلى حنين. . تسع بعوث و سرايا. . الفصل الأول: بعوث و سرايا قبل بني جذيمة بداية: 225

1-سرية خالد لهدم العزى: 227

الحدث في قفص الاتهام: 230

السادن. . بين الذكاء والغباء: 232

هل هذه سرية؟! : 232

قبل قصة بني جذيمة أو بعدها: 233

2-هدم سواع: 235

3-هدم مناة وقتلها: 237

4-سرية خالد بن سعيد إلى عرنة: 239

ص: 362

5-سرية هشام بن العاص إلى يلملم:239

6-سرية الطفيل الدوسي إلى ذي الكفين:240

7-سرية غالب بن عبد الله إلى بني مدلج:240

8-سرية عمر بن أمية إلى بني الديل:242

9-سرية ابن سهيل بن عمرو إلى بني محارب:243

الفصل الثاني: خالد يبيد بني جذيمة قتل بني جذيمة في النصوص والآثار:247

ما بهذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله:255

الغدر. . ثم القتل:256

1-شجاعة. . و نبل:259

2-غدر. . و لؤم:259

أما كان فيكم رجل رحيم:259

المعترضون على الجريمة:260

أهمية اعتراض ابن عوف:264

النبي صلى الله عليه وآله نصير المظلومين:266

توضيحات:266

لما ذا هذا العدد؟! :267

لما ذا خالد دون سواه؟! :268

خالد معروف بالغدر:268

أسلمنا. . أم صباناً؟! :269

خالد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله:270

حقيقة دوافع خالد: 272

دعوا لي أصحابي: 274

هل هذا الخلط متعمد: 278

الإقواء في الشعر المنقول: 279

اجتهاد خالد: 279

اجتهاد خالد عند الخطابي: 283

اعتراض ابن عوف و سالم و ابن عمر: 284

التناقض و الاختلاف: 285

أدفنوا أسراكم: 286

النداء عند السحر!! لما ذا؟! : 287

فعل خالد من أمر الجاهلية: 288

لما ذا لم يعاقب النبي صَلَّى الله عليه و آله خالدا؟! : 288

غضب النبي صَلَّى الله عليه و آله و إعراضه عن خالد: 290

الفصل الثالث: نصوص أخرى أوضح و أصرح أربع مائة قتيل من بني جذيمة: 295

القسوة و الغلظة: 297

ابن واضح يروي ما جرى: 297

الأموال من اليمن!! : 299

تفدية النبي صَلَّى الله عليه و آله عليا عليه السلام بأبويه: 302

لما ذا ينكسر عمر؟! : 305

الريب في موقف المهاجرين: 307

ص: 364

خالد يغضب على الأنصار فقط:308

أحقاد بني سليم:309

لما ذا يكتف بعضهم بعضا؟!310

النبي صلى الله عليه وآله ينتصر لعمار حين يقع في خالد:310

دفاع الأتباع!! تزوير واختراع!!:312

الفصل الرابع: حديث العترة هو القصص الحق نصوص هامة لا بد من التوقف عندها:319

1-ما جرى لأبي زاهر مثل ما جرى لبني جذيمة:319

2-رواية صحيحة عن الإمام الباقر عليه السلام:320

3-حديثان آخران:322

ذنب بني جذيمة:324

كتابة الخسائر:325

شكوك لا مبرر لها:328

دلالات باهرة في فعل علي عليه السلام:329

حكم علي عليه السلام حكم الله تعالى:334

فو الله، لو لا دين آل محمد:335

أنت مني بمنزلة هارون من موسى:337

أنت هادي أمتي:350

1-علي عليه السلام هادي أمة محمد صلى الله عليه وآله:350

2-السعيد من أحب عليا عليه السلام:351

ص:365

الفهارس 353

1-الفهرس الإجمالي 355

2-الفهرس التفصيلي 357

ص: 366

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايضاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

